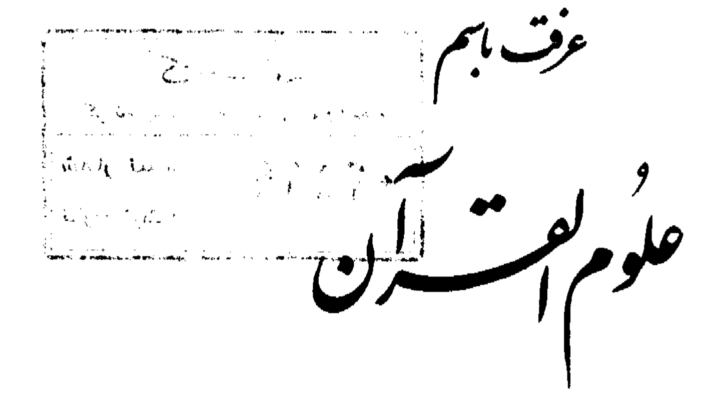


التمهيد
في
علوم القرآن



دراسات مبسطة عن مختلف شؤون القرآن الكريم



الجزء الثاني

تأليف

محمد هادي معرفة

سجل الكتاب

الكتاب : التمهيد في علوم القرآن **ـ الجلد الثاني**
المؤلف : الشيخ محمد هادي معرفة
الناشر : مركز مديريت حوزه علميه قم (١٠)
مطبعة : مهر قم
الطبعة : الثالثة
المطبوع : **١٠٠٠ نسخة**
التاريخ : **جمادى الاول ١٤١٠ الموافق لشهر آذر ١٣٦٨**

القراءة والقراء



القــراءات

فى نشأتها و تطورها

* القراءات فى نشأتها الاولى
* عوامل نشوء الاختلاف

١ـ بداءة الخط

٢ـ خلوه عن النقط

٣ـ تجريدي عن الشكل

٤ـ اسقاط الالفات

٥ـ تأثير اللهجة

٦ـ تحكيم الذوق والاجتهاد

٧ـ غلو فى الادب

٨ـ شذوذ نفسى

٩ـ عوامل اخرى

بسم‌الله الرحمن الرحیم

الحمدلله وسلام علی عباده الذین اصطفی محمد وآله الطاهرین

القراءات في نشأتها الاولى

القراءة ـ و تعنى وجهاً من محتملات النص القرآني ـ مصطلح قديم يرجع عهدها الى عهد الصحابة الاولين، حيث عمد جماعة من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله بعد وفاته، الى جمع القرآن فى مصاحف، كعبدالله بن مسعود و ابى بن كعب و معاذ بن جبل والمقداد ابن الاسود واضرابهم، و ربما اختلفوا فى ثبت النص اوفى كيفية قرائته، و من ثم اختلفت مصاحف الصحابة الاولى، و كان كل قطر من اقطار البلاد الاسلامية تقرأ حسب المصحف الذى جمعه الصحابى النازل عندهم.

كان اهل الكوفة يقرأون على قراءة ابن مسعود. و اهل البصرة على قراءة ابى موسى الاشعرى. و اهل الشام على قراءة ابى بن كعب و هكذا حسبما تقدم تفصيله فى الجزء الاول.

و استمر الحال الى عهد عثمان، حيث تفاقم امر الاختلاف، ففزع لذلك لفيف من نبهاء الامة امثال حذيفة بن اليمان، فأشاروا على عثمان ان يقوم بتوحيد المصاحف قبل ان يذهب كتاب الله عرضة الاختلاف والتمزيق.

فالذى كان من عثمان ان أمر جماعة بنسخ مصاحف موحدة و ارسالها الى الامصار و الجاء المسلمين على قراءتها و نبذ ماسواها

من مصاحف و قراءات اخرى.

لكن الجماعة الذين انتدبهم عثمان كانت تعوزهم كفاءة هذا الامر الخطير، و من ثـم وقعت فـي نفس تلك المصاحف اخطـاء املائية و مناقضات و بعض الاختلاف، الامر الذى اعاد على المسلمين اختلافهم فى قراءة القرآن.

كان عثمان قد بعث مع كل مصحف من يقرىء الناس على الثبت الموحد فى تلك المصاحف ـ على حساب انها موحدة ـ فبعث مع ـ المصحف المكى عبدالله بن السائب، و مع الشامى المغيرة بن شهاب، و مع الكوفى ابا عبدالرحمان السلمى، و مع البصرى عامر بن قيس... و هكذا (١).

و كان هؤلاء المبعوثون يقرؤون الناس فى كل قطر على حسب المصحف المرسل اليهم. و من ثم عاد محذور الاختلاف، نظراً لوجود اختلاف فى ثبت تلكم المصاحف (٢) مضافاً الى عوامل اخرى ساعدت على هذا الاختلاف (٣). فكان اهل كل قطر يلتزمون بمافى مصحفهم من ثبت، و من هنا نشأ اختلاف قراءة الامصار، بدلا من اختلاف القراء، الذى كان قبل ذاك. كانت القراءة قبل هذا الحادث تنسب الى جامعى المصاحف، اما الان فتنسب الى المصر الذى بعث اليه المصحف العثمانى ـ غير الموحد تماماً ـ فكانوا يقولون: قراءة مكة، قراءة الشام، قراءة المدينة، قراءة الكوفة، قراءة البصرة، و هكذا.

و من ثم فان الغاية التى بذلت من اجلها جهود، وثارت فى سبيل تحققها ضجة جماعات كاصحاب عبدالله بن مسعود و غيره، انها لم تنجح تماماً، و بقيت عوامل التفرقة والاختلاف تتفشى مع طول الزمان. كل ذلك مغبة تساهل الخليفة فى امر توحيد المصاحف، و لم يأخذ

١ـ راجـع: تهذيب الاسماء للنووى ق ١ ص ٢٥٧، و شرح مورد الظمآن للمارغنى ص ١٦

٢ـ تقدم تفصيل ذلك فى الجزء الاول ص ٣٤٩

٣ـ سوف نشرحها فى فصل قادم

بساق الجد فی هكذا امر خطير يمس ركيزة حياة المسلمين فی طول تاريخهم الخالد. و قد لمس الخليفة نفسه هذا الخلل فـی المصحف الذی رفع اليه (١) لكنه لم يكترث به و ابدی تساهله بشأن الاصلاح، الامر الذی يؤخذ عليه شديداً. هذا فضلا عن دلالةالامر علی عدم كفاءة الاشخاص الذين انتدبهم عثمان لهذا الامر الجلل، و عدم جدارتهم للقيام بهكذا عمل خطير. و مع ذلك فان الخليفة لميعد النظر فی أمر القرآن، و لعله كان تسرعاً فیالامر بلا مبرر معقول.

يحدثنا ابن ابیداود: انهم بعد ما اكملوا نسخ المصاحف، رفعوا الی عثمان مصحفا فنظر فيه فقال: قد احسنتم و اجملتم، اری فيه شيئاً من لحن، ستقيمه العرب بألسنتها. ثم قال: أما لو كان المملی من هذيل والكاتب منثقيف لم يوجد فيه هذا (٢) ما ندری لم هذا التساهل بشأن كتابالله العزيز الحميد. !

و لعل معترضاً يقول: هب ان الخليفة عثمان تساهل بشأن الخلل الذیلمسه فیمرسوم خطالمصحف، فلما ذا تساهل الخلفاء منبعدهبهذا الشأن، و لاسيما مثل الامام اميرالمؤمنين علی بن ابیطالب عليهالسلام الذی كان اعلم الصحابة بالقرآن و احرصهم علی حفظه و جمعه.

قلنا : سبق منا الاجابة علی ذلك، و انه لميكن من مصلحة الامة مساس القرآن ــ بعدذلكــ بيد اصلاح قط. والا لا تخذها اهل الاهواء والبدع ذريعة الی تحريف القـرآن والتلاعب بنصه الكـريم، بحجة اصلاح خطائه، فكان يقع القرآن الكريم عرضة الاطماع والسياسات المتبدلة حسب تطور الزمان.

و اول من احس بهذا الخطر الرهيب، هو الامام اميرالمؤمنين عليهالسلام فقام فی وجه هذا الباب و اغلقه غلقاً معالابد.

ذكروا ان رجلا قرأ بمسمع الامام عليهالسلام «و طلح منضود» (الواقعة : ٢٩) فجعل الامام يترنم لدی نفسه: ما شأن الطلح؟ انما هو

١ــ راجع : الجزء الاول ص ٣١٦

٢ــ المصاحف لابن ابی داود ص ٣٢ ــ ٣٣

طلع، كما جاء في قوله تعالى: «والنخل باسقات لها طلع نضيد» (ق : ١٠). و لم يكن ذلك من الامام اعتراضاً على القارىء، ولادعوة الى تغيير الكلمة، بل كان مجرد حديث نفس ترنم عليه‌السلام به. لكن اناساً سمعوا كلامه، فهبوا يسألونه: الا تغيره ؟فانبرى الامام، مستغرباً هذا الاقتراح الخطير، و قال كلمته الخالدة: «لايهاج القرآن بعداليوم ولا يحول» (١).

و اصبح موقف الامام عليه‌السلام هذا مرسوماً اسلامياً مع الابد: لايحق لمسلم ان يمد يد اصلاح الى اخطاء القرآن، مهما كانت نيته صادقة ام كاذبة، و بذلك حل القرآن الكريم وسط اطار من التحفظ الكامل على نصه الاصيل، و سلم من التحريف والتبديل أبدياً.

(ملحوظة): لابي‌بكر ابن الانباري ـ هنا ـ تعليقة، اظنها قدفرطت منه لا شعورياً. قال ـ بعدان نقل الحديث عن الامام عليه‌السلام ـ : «و معنى هذا انه رجع الى ما في المصحف و علم انه الصواب و ابطل الذى كان فرط من قوله» (٢).

و لاشك ان مثل هذا الاحتمال بالنسبة الى مثل الامام عليه‌السلام فضول ينم عن جهل قائله بموضع الامام من القرآن. الذى كان اعلم الصحابة بمواقع آى القرآن متى نزلت و اين نزلت و فيم نزلت (٣). و كان يرى نور الوحي و يشم ريح النبوة. و قال له الرسول صلى‌الله عليه‌وآله‌وسلم: انك تسمع مااسمع وترى ما ارى الا انك لست‌بنبى (٤) فكان باب مدينة علمه الذى منه يؤتى (٥). و من ثم كان الصحابة

١ـ تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣. مجمع‌البيان ج ٩ ص ٢١٨

٢ـ تفسير القرطبى ج ١٧ ص ٢٠٩. نقلا عن كتابه «المصاحف» الذى وضعه للرد على من خالف مصحف عثمان. انظر : الاتقان ج ١ ص ٧

٣ـ انظر : البرهان للبحرانى ج ١ ص ١٦ حديث : ١٣

٤ـ الخطبة القاصعة : نهج‌البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣

٥ـ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦. قال : حديث صحيح الاسناد

يرجعون اليه فيما اشكل عليهم ولايرجع الى احد منهم (١). ينحدر عنه السيل ولايرقى اليه الطير (٢).

أفي شأن مثل هذه الشخصية اللامعة فى افق العلم والاسلام يحتمل هكذا احتمالات ساقطة؟! اللهم الا ان يكون فى قلوبهم مرض «فأصمهم و اعمى أبصارهم» (٣) «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» (٤).

١ــ انظر : فضائل الخمسة للفيروزآبادى ج ٢ ص ٢٧١ ــ ٣٠٨

٢ــ نهج البلاغة ج ١ ص ٣١ الخطبة الشقشقية

٣ــ سورة محمد : ٢٣

٤ــ سورة الحج : ٤٦

عوامل نشوء الاختلاف

لاشك ان اختلاف مصاحف الامصار كان اهم عوامل نشوء الاختلاف القرائی، كان اهل كل مصر ملتزمين بالقراءة وفق مصحفهم، و على اقراء مقريهم الخاص. و هكذا قرأ ابن عامر ـ و هو مقرىء الشام ـ: «جاؤوا بالبينات و بالزبر» (آل عمران: ١٨٤) ـ بالباء ـ لان مصحف الشام كان كذلك. و قرأ الباقون بغير باء (١).

وقرأ نافع و ابن‌عامر: «سارعوا الی‌مغفرة من ربكم» (آل‌عمران: ١٣٣) ـ بلاواو ـ لان مصحف المدينة و مصحف الشام كانا خلواً عنها. و نافع مدنی، و ابن‌عامر شامی. وقرأ الباقون بالواو، لان مصاحفهم كانت مشتملة عليها (٢).

و هناك ـ ايضاً ـ عوامل اخری ساعدت علی هذا الاختلاف، نذكر منها مايلی: ـ

١ـ بداءة الخط

كان الخط عندالعرب آنذاك فی مرحلة بدائية، و من ثم لم تستحكم اصوله و لم تتعرف العرب الی‌فنونه والاتقان من رسمه و كتابته

١ـ الكشف ج ١ ص ٣٧٠. والمجمع ج ٢ ص ٥٤٨

٢ـ الكشف ج ١ ص ٣٥٦. والتحبير ص ٩٩

الصحيحة. و كثيراً ما كانت الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها، ولازال بقى شيء من ذلك فى رسم الخط الراهن. كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه و احتمال وجـوه، فالنون الاخيرة كانت تكتب بشكـل لايفترق عن الراء، و كذا الواو عن الياء. و ربما كتبوا الميم الاخيرة على شكل الواو. والدال على صورة الكاف الكوفية. والعين الوسط كالهاء كما ربما كانوا يفككون بين حروف كلمة واحدة، فيكتبون الياء منفصلة عنها، كمـا فـى «يستحيى» و «نحيى» و «احيى» اويحذفونها رأساً كما فى «ايلافهم» كتبوها «الافهم» بلا ياء. الامـر الذى اشكل على بعض القراء فقرأها وفـق الرسم بلا ياء، قـرأ ذلك ابوجعفر (١) فقد قرأ «ليلاف قريش» بحذف الهمزة و اثبات الياء. و «الافهم رحلة الشتاء والصيف» باثبات الهمزة و حذف الياء.

و قرأ ابن فليح «الفهم» بالهمز و سكون اللام. و هكذا اختلف القراء فى هذه الكلمة اختلافاً غريباً، من جراء عدم ضبط الكلمة فى مرسوم الخط تماماً.

و ربما رسموا التنوين نوناً فى الكلمة(٢)، كما كتبوا النون الفاً فى كثير من المواضـع، منها: «لنسفعاً بـالناصية» (العلق : ١٥) و «ليكوناً من الصاغرين» (يوسف : ٣٢) و هاتان النونان نون تأكيد خفيفة كتبوها بألف التنوين. و «و اذاً لاتيناهم من لدنا اجراً عظيماً» (النساء: ٦٧) كتبوا «اذاً» بدل «اذن» تشبيها بالتنوين المنصوب(٣).

و هكذا حذفوا واوات اوياءات بلا سبب معقول، فكان من اهم عوامل الابهام والاشكال فى القراءة بل فى التفسير ايضاً، كما فى قوله تعالى: «و صالحوا المؤمنين» (التحريم : ٤) فلم يكتبوا الواو هكذا: «و صالح المؤمنين» و من ثم وقع الاشتباه انه مفرد اريد به الجنس

١ــ مجمع البيان ج ١ ص ٥٤٤. و شرح مورد الظمآن ص ١٤٣

٢ــ كما فى «كأين». شرح مورد الظمآن ص ١٨٦

٣ــ المصدر

او جمع مضاف (١).

و حذفوا الالف من «عاداً الاولى» هكذا : «عاد الاولى» فربما اشتبه مشتبه انه فعل او اسم (٢) و زادوا الفاً فى «جاءنا» (٣) هكذا «جاءانا» والكلمة مفردة فربما ظنها الجاهل مثنى (٤). كما رسموا الفا بعد كثير من واوات زعموهن واوات جمع، و على العكس حذفوا كثيراً من الفات واو الجمع. فمن الاول قوله: «انما اشكوا بثى». و «فلايربوا». و «نبلوا اخباركم». و «ماتتلوا الشياطين». و من الثانى قوله : «فاؤ» و «جاؤ». و «فباؤ». و «تبوؤالدار». و «سعو». و «عتو» وغير ذلك كثير.

و من ثم ربماكان الاوائل يتهمون كتبة المصاحف فيرون الصحيح غير ما كتبوه، كما روى عن ابن عباس انه قرأ «و وصى ربك ان لاتعبدوا الا اياه» (الاسراء : ٣١) فقيل له: انه فى المصحف «وقضى ربك» فقال: التصقت احدالواوين فقرأه الناس «و قضى». ولو نزلت على القضاء ما اشرك به احد.

وفى لفظ ابن اشتة: استمدالكاتب مداداً كثيراً فالترقت الواو بالصاد (٥).

و روى ايضاً عنه انه قرأ «أفلم يتبين الذين آمنوا» (الرعد: ٣١) فقيل له: فى المصحف «أفلم ييأس» فقال: اظن الكاتب كتبها و هو ناعس (٦).

و قد صحح ابن حجر اسناد هذه الروايات (٧). لكن الصحيح

١ــ راجع: المجمع ج ١٠ ص ٣١٦، و شرح مورد الظمآن ص ٤٧

٢ــ شرح مورد الظمآن ص ١٢٥ والاية فى سورة النجم : ٥٠

٣ــ سورة الزخرف : ٣٨

٤ــ المصدر السابق ص ١٢٨

٥ــ الاتقان ج ١ ص ١٨٠ والدر المنثور ج ٤ ص ١٧٠

٦ــ تفسير الطبرى ج ١٣ ص ١٠٤ والاتقان ج ١ ص ١٨٥

٧ــ فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣

عندنا ـ على فرض صحة الأسناد ـ انها مؤولة الى غير مـا يبدو من ظاهرها. و قدمر منا الكلام حولها فى الجزء الاول (١).

٢ـ الخلو عن النقط

كان الحرف المعجم يكتب كالحرف المهمل بلانقط مائزة بين الاعجام والاهمال. فلا يفرق بين السين و الشين فيالكتابة. و لابين العين و الغين اوالراء والزاى، والباء و التاء والثاء و الياء. او الفاء عن القاف او الجيم والحاء و الخاء. و الدال عن الذال او الصاد عن الضاد او الطاء عن الظاء. فكان على القـارىء نفسه ان يميز بحسب القرائن الموجودة انها باء او ياء. جيم اوحاء. و هكذا.

منذلك قراءة الكسائي: «انجاءكم فاسق بنبأفتثبتوا» (الحجرات: ٦) و قرأ الباقون «فتبينوا» (٢).

وقرأ ابن عامر والكوفيون: «ننشزها». و قرأ الباقون «ننشرها» (البقرة: ٢٥٩) (٣).

و قرأ ابن عامر و حفص: «ويكفر عنكم». و قرأ الباقون «نكفر» (البقرة: ٢٧١) (٤).

و قرأ ابن السميقع «فاليوم ننحيك ببدنك» والباقون: «ننجيك» (يونس: ٩٢) (٥).

و قرأ الكوفيون غير عاصم «لنثوينهم من الجنة غرفاً». والباقون «لنبوئنهم» (العنكبوت: ٥٨) (٦).

و امثلة هذا النوع كثيرة جداً.

١ـ فى صفحة: ٣٢٢ ـ ٣٢٣ فراجع

٢ـ المكرر، لابى حفص الانصارى ص ١٤١

٣ـ الكشف ج ١ ص ٣١٠

٤ـ المصدر ص ٣١٦

٥ـ مجمعالبيان ج ٥ ص ١٣٠. والقرطبى ج ٨ ص ٣٧٩

٦ـ مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٠

٣ـ التجريد عن الشكل

كانت الكلمة تكتب عارية عن علائم الحركات القياسية فى وزنها و فى اعرابها. و ربما يحتار القارى فى وزن الكلمة و فى حركتها فيما اذاكانت الكلمة محتملة لوجوه، مثلا لم يكن يدرى «اعلم» امر أم فعل مضارع متكلم. فقد قرأ حمزة والكسائى «قال اعلم ان‌الله على كل‌شىء قدير» (البقرة: ٢٥٩) بصيغة الأمر. وقرأ الباقون بصيغة المتكلم(١). كما قرأ نافع قوله تعالى: «ولاتسأل عن أصحاب الجحيم» (البقرة: ١١٩) بصيغة النهى. و قرأ الباقون بصيغة المضارع المجهول (٢). و قرأ حمزة والكسائى: «و من يطوع» (البقرة: ١٥٨) بالياء و تشديد الطاء، مضارعاً مجزوماً. و قرأ الباقون بالتاء و فتح الطاء ماضياً (٣). الى غير ذلك من الشواهد المتوفرة فى المصحف الاول.

قال ابن ابى‌هاشم: ان السبب فى‌اختلاف القراءات السبع وغيرها، ان الجهات التى وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه اهل تلك الجهة. و كانت المصاحف خالية من النقط والشكل... قال: فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار (٤).

و قال سيدنا الاستاذ الامام الخوئى ـ دام‌ظلهـ : ان القراءات لم يتضح كونها رواية فلعلها اجتهادات من‌القراء. و تؤيد هذا الاحتمال تصريحات بعض الاعلام بذلك، بل اذا لاحظنا السبب الذى من اجله اختلف القراء فى قراءاتهم، و هو خلو المصاحف المرسلة الى‌الجهات من النقط والشكل، فانه يقوى هذا الاحتمال (٥).

١ـ الكشف ج ١ ص ٣١٢
٢ـ المصدر ص٢٦٢
٣ـ المصدر ٢٦٨
٤ـ التبيان ص ٨٦
٥ـ البيان ص ١٨١

٤ـ اسقاط الالفات

كان الخط العربى الكوفى منحدراً عن خط السريان، و كانوا لايكتبون الالفات الممدودة فى ثنايا الكلم (١)، و قد كتبوا القرآن بالخط الكوفى على نفس المنهج. الامر الذى اوقع الاشتباه فى كثير من الكلمات. فقد قرأ نافع و ابو عمرو و ابن كثير: «و ما يخادعون الا انفسهم» (البقرة : ٩) نظراً لان «يخادعون الله» فى صدر الاية قد كتبت بلا الف فزعموهما من باب واحد (٢).

و هكذا كتبوا «وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يــرجعون» ـو حرمـ بلا الف، و من ثم قرأ حمزة والكسائى و شعبة «و حرم» بكسر الحاء و سكون الراء (٣).

و قرأ الكوفيون «ألم نجعــل الارض مهداً» (النبأ : ٦) بــدل «مهاداً» لانها كتبت فى المصحف بلا الف (٤).

و قرأ ابو جعفر والبصريون : «و اذوعدنا موسى ثلاثين ليلة» فــى سورة البقــرة: ٥١ و فــى الاعراف و طــه بلا الــف، لانهــا هكذا كتبت. و قرأ الباقون «و اذ واعدنا» (٥).

و قرأ ابو عمرو و ابن كثير «بل أدرك» وقرأ الباقون «بل ادارك علمهم فى الاخرة» (النمل : ٦٦) و سبب الاختلاف انها كتبت فــى المصحف بلا الف، فقرأ كل حسب نظره فيما رآه مناسباً (٦).

و قرأ نافع «فى غيابات الجب» (يوسف : ١٠) و قرأ الباقون

١ـ راجع: الجزء الاول ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨

٢ـ الكشف ج ١ ص ٢٢٤

٣ـ شرح مورد الظمآن ص ١٢٦

٤ـ المصدر ص ١٢٧

٥ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٠٨

٦ـ الكشف ج ٢ ص ١٦٤

«فی غیابت الجب» (١) نظراً لان المصحف کان مجرداً عن الالف هکذا: «غیبت»، فاجتهد نافع فزعمه جمعاً. و اجتهد الاخرون فرأوه مفرداً. والمفروض ان رسم المصحف کان خلواً من الالف مع مدالتاء مطلقاً غالبیاً، و من ثم هذا الاشتباه والاختلاف.

***

تلك و اشباهها عوامل اولیة لاشتباه قراءة النص، و کان فاقداً لای علامة مائزة، و خالیاً من النقط والشکل، و مشوشاً فی رسم خطه بحذف او زیادة، فکان ذلك لامحالة موجباً للتشویش علی القاریء، فلم یکن یدری ـ مثلاـ ان قوله تعالی «لتکـون لمن خلفك آیـة» (یونس : ٩٢) انها بالفاء او بالقاف. او ان قوله «تبلو» (یونس: ٣٠) انها «تتلو» بتائین، او «نتلو» بنون ثم تاء، او «یتلو» بیاء ثم تاء. او ان قوله: «یعلمه» انها «نعلمه» او «تعلمه» او «بعلمه».

اضف الی ذلك بعض الزیادات المخلة بالمقصود، اذا لم یکـن القاریء عارفاً باصل النص من سماع خارج. کما فی قوله «لا عذبنه عذاباً شدیداً اولا اذبحنه» (النمل : ٢١) فـزادوا الفاً اثناء کلمـة واحدة (٢) «لا اذبحنه»، فربما یحسب القاریء الجاهل بالواقع انها «لا» النافیة، فی حین انها لام تأکید، والهمزة حرف المتکلم والالف زائدة.

و کذلك کلمة «لشایء» (٣) فی قوله «ولا تقـولن لشیء انی فاعل ذلك غداً» (الکهف : ٢٣) زادوا بین الشین والیاء الفاً لاعن سبب معقول. و کلمة «تایئسوا» فی قوله «ولا تیأسوا من روح‌الله انه لاییأس من روح‌الله الا القوم الکافرون» (یوسف: ٨٧) زادوا الفاً بعد حرف المضارع والفعل فی الموضعین «تایئسوا». «یایئس» بلاموجب (٤).

١ـ الکشف ج ٢ ص ٥

٢ـ شرح مورد الظمآن ص ١٨١

٣ـ المصدر ص ١٨٣

٤ـ المصدر ص ١٨٢

***

و على اى تقدير فان عدم انتظام خط المصحف الاول كان اول عامل فى نشوء اختلاف قراءة القراء .

كان على القارىء نفسه ان يختار نوع الحرف والشكل و تمييز الكلمة فى حركتها القياسية و نوعية اعرابهـا، فضلا عن اعجامها و تشكيلها، حسب ما يبدوله من قرائن و احوال و شواهد و نظائر، و مناسبة المعنى واللفظ، فكان عليه ـ لامحالة ـ ان يلاحظ جميع هذه الملاحظات ثم يختار القراءة التى يراها وفق الاعتبار الصحيح فى نظره.

ولاشك ان المذاويق والسلايـق، و كذلك الانظار والدلائـل تختلف حسب عقليات الاشخـاص و سابقـة المامهم بالامـر، و مبلغ ممارستهم للموضوع، و من ثم وقع الاختلاف فى قراءة القرآن حسب تفاوت الاجتهادات النظرية، فقد استند كل قارىء الى علل و حجج ربما تختلف عن حجج الاخرين.

وقدصنف كثير من العلماء فى مستندات القراءات المختلفة وذكروا عللها و حججها، منهم: ابوعلى الحسن بن احمد الفارسى فى كتابه «الحجة فى علل القراءات السبع». و منهم ابو محمد مكى بن ابى طالب القيسى، فى كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها» و سنذكر نماذج من كلامهما.

هذا ... و اما الرواية او السماع من الشيخ فلم يكن ينضبط تماماً اذا كانت تعتمد على مجرد الحفظ، و من غير ان تتقيد بالثبت فـى سجلات خاصة، اوفى نفس المصحف الشريف برسم علائم ـ مثلا ـ . فلا محالة كان يقع فيها خلط او اشتباه كثير، لا سيما اذا طالت الفترة بين الشيخ الاول والقارىء الاخير.

تلك اهم اسباب الاختلاف فى القراءات مضافة الى اجتهادات نظرية و اعتبارات كان القارىء يلاحظها و يستند اليها فى قـراءته. و سنفصل هذا الجانب فى الفصل التالى.

هـ تأثير اللهجة:

لاشك ان كل امة ـ و ان كانت ذات لغة واحدة ـ فان لهجاتها تختلف حسب تعدد القبائل والافخاذ المنشعبة منها. و هكذا كانت القبائل العربية تختلف مع بعضها فى اللهجة و في التعبير والاداء.

من ذلك اختلافهم فى الحركات، مثل «نستعين» ـ بفتح النون و كسر ها ـ قال الفراء: هى مفتوحة فى لغة قيس و اسد. و غيرهم يقولونها بكسر النون (١) و اختلافهم فى الحركة والسكون، مثل قولهم : معكم ـ بفتح العين ـ و معكم ـ بسكونها ـ قال الشاعر:

و من يتق فان الله معـه   ورزق الله مؤتاب وغاد (٢)

و اختلافهم فى ابدال الحروف، نحو: اولئك و اولالك. انشد الفراء :

أُلالك قومى لم يكونوا أشابة   وهل يعظ الضليل إلا أُلالكا (٣)

و اختلافهم في الهمز والتليين، نحو مستهزؤن و مستهزون.

و اختلافهم فى التقديم و التأخير، قال المبرد: تقول العرب : صاعقة وصواعق و هو مذهب اهل الحجاز، و به نزل القرآن. وبنو تميم يقولون : صاقعة و صواقع (٤).

و اختلافهم فى الاثبات والحذف، نحو استحيت و استحييت. او تبديل حرف صحيح معتلا، نحو امازيد و ايمازيد (٥).

و اختلافهم فى الامالة و التفخيم فى مثل قضى ورمى. واختلافهم فى تحريك الحرف الساكن بالكسر او الضم، فيقولون: اشتروا الضلالة ـ بكسر الواو و ضمها ـ .

١ـ انظر : كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٥٧

٢ـ اورده في اللسان مادة «اوب»

٣ـ الصاحبى لاحمد بن فارس: ص ٤٨

٤ـ الكامل ج ٢ ص ١٩٨ باب ٥١

٥ـ الصاحبى ص ٤٩

و اختلافهم في التذكير والتأنيث، فان من العرب من يقول : هذه البقر. و منهم من يقول : هذا البقر. و هذه النخيل و هذا النخيل.
و اختلافهم في الادغام، نحو : مهتدون و مهدون ـ بتشديدالدال فيالثانيةـ و اختلافهم فيالاعراب، نحو: مازيد قائماً، و مازيد قائم فان «ما» عند تميم غير عاملة. و عند الحجازيين عاملة عمل ليس.
و كذا قولهم: ان هذين. و ان هذان. و هي بالالف لغة لبني الحارث بن كعب، يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك،ومن ذلك قول قائلهم ـ هوبر الحارثي ـ (١):

تزود منا بين اذناه طعنة دعته الى هابي التراب عقيم

و علل بعض اهل الادب ذلك تعليلا يستدعي الاطراد. راجع ابن فارس في كتابه الصاحبي ٤٩ ـ ٥٠.
و اختلافهم في صورة الجمع، نحو : اسرى و اسارى.
واختلافهم فيالتحقيق ـ ايالمبالغة فياظهار الحرفاوحركتهـ والاختلاس، نحو: «يأمركم» ـ البقرة: ٦٧ـ فحقق ضمة الراء بعضهم و اختلسها بعض آخر. و نحو: «فمن عفيله» ـ البقرة: ١٧٨ ـ فحقق كسرة الفاء بعض و اختلسها آخر.
و اختلافهم في الوقف على هاء التأنيث، مثل: هذه امه ـبالوقف هاءـ و امت ـ بالوقف على تاء ساكنة ـ .
و اختلافهم في الاشباع الى حد توليد حرف، نحو: «انظور» في «انظر» انشد الفراء :

الله يعلم انا في تلفّتنا يوم الفراق الى جيراننا صور
وانني حيثما يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا ادنو فانظور

قال ابوالحسين احمد بن فارس: كل هذه اللغات مسماة منسوبة الى اصحابها، لكن هذا موضع اختصار، و هي و ان كانت لقوم دون

١ـ نسبه اليه في لسان العرب. غير انه روى: بين اذنيه

قوم، فانها لما انتشرت تعاورها الكل (١).

و من ذلك ايضاً مبالغتهم في اظهار الهمزة المفتوحة فتتبدل الى العين، و هى لغة دارجة في تميم وبنى قيس بن عيلان ـ كما قال الفراء ـ و تسمى «عنعنة تميم» فيقولون: «اشهد عنك رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم». قال ذوالرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

اراد «أأن». و ذوالرمة شاعر اسلامى بدوى مجيد.

لكنها لغة مذمومة، و من ثم قال احمد بن فارس ـ بصدد الاشادة بلغة قريش ـ الاترى انك لاتجد في كلامهم عنعنة تميم، و لا عجرفية قيس، و لاكشكشة أسد، و لا كسكسة ربيعة، و لاالكسر الذى تسمعه من اسد و قيس، مثل : تعلمون و نعلم ـ بكسر التاء والنون ـ و مثل: شعير و بعير ـ بكسر الشين و الباء ـ (٢).

***

كما ان بعض العرب كانت تنبر بالياء او الواو، اى تبدلهما همزة، و سماهم سيبويه «اهل التحقيق» يريد: المبالغين في اظهار الحرف. و قال: هى لغة رديئة و قد نهى النبى صلى الله عليه وآله و سلم عنها. قال رجل للنبى صلى الله عليه وآله و سلم: يا نبيءالله. فقال: لاتنبر باسمى. و في رواية: اننا معشر قريش لاننبر (٣).

قال سيبويه : بلغنا ان قوماً من اهل الحجاز من اهل التحقيق يحققون نبيء و بريئة (برية) و ذلك قليل ردىء (٤).

ولما حج المهدى، قدم المدينة فقدم الكسائى ليصلى بالناس، فهمز فانكر عليه اهل المدينة، و قالوا: انه ينبر في مسجد رسول الله

١ـ الصاحبى : ٥٠ ـ ٥١

٢ـ الصاحبى ص ٥٣. والوجيز ص ١٠١

٣ـ نهاية ابن الاثير ج ٥ ص ٧ واللسان مادة «نبر»

٤ـ كتاب سيبويه ج ٢ ص ١٧٠

صلى‌الله عليه‌وآله وسلم بالقرآن (١).

و كانت هذيل تقلب الواو المكسورة همزة، فتقول: «اعاء» بدل «وعاء» (٢).

و هذا الاختلاف بين القبائل كان قد يعظم ويشتد، كالخلاف بين القبائل العدنانية في‌الحجاز، والقبائل القحطانية في اليمن، سواء في المفردات والتراكيب ام في اللهجات، حتى قال ابو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير و اقاصي اليمن بلساننا، ولاعربيتهم بعربيتنا» (٣).

***

و بعد... فان لهجات العرب المختلفة كانت قد اثرت حتى في قراءة القرآن، لافي صدر الاسلام و على ايام حياة الرسول صلى‌الله‌عليه وآله‌وسلم فحسب، بل حتى في‌العصور المتأخرة، كان بعض القراء يقرأون وفق لهجات قبلية راهنة.

وقد عرض الدكتور شاهين روايات كثيرة عن القراء يرجع منشؤها الى اعتبارات لهجية اثرت في اختلاف القراءات‌القرآنية (٤).

و قال احمد امين: كان لهذا الخلاف نتائج، منها: اختلاف القراءات في القرآن، فانها تليت حسب اختلاف العرب في لغاتهم ولهجاتهم (٥).

و روى الكلبي ـ عن طريق ابي صالح ـ عن ابن عباس، قال: «نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن» (٦).

قال ابو عبيد: والعجز هم سعد بن بكر، و جشم بن بكر، و نصر بن

١ـ النهاية ج ٥ ص ٧

٢ـ المحتسب لابن جني ص ٨٤

٣ـ الخصائص لابن جني ج ١ ص ٣٩٢ وضحى الاسلام لاحمد امين ج ٢ ص ٢٤٤

٤ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٦٧

٥ـ ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٤٤

٦ـ المرشد الوجيز ص٩٢ والاتقان ج ١ ص ٤٧

معاوية، و ثقيف. و هذه القبائل هي التي يقال لها: عليا هوازن. و هم- الذين قال فيهم ابو عمرو بن العلاء: افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم. فهذه عليا هوازن، و اما سفلى تميم فبنودارم (١).

و في رواية اخرى عن ابن عباس: نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش و كعب خزاعة. قيل: و كيف ذاك؟ قال: لان الدار واحدة. قال ابو عبيد: يعني ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم (٢).

قال المقدسي: والكعبان: كعب بن لؤى من قريش، و كعب بن عمرو من خزاعة (٣).

و فسر السيوطى اللغة بكيفية النطق بالتلاوة من اظهار و ادغام و تفخيم وترقيق وامالة و اشباع ومد و قصر وتشديد و تخفيف وتليين و تحقيق ونحو ذلك (٤).

ولعلنا- في هذا العرض- اسهبنا الكلام فوق الحاجة، ولكنا توخينا من ذلك ايقاف القارىء على أمرين: الاول: مدى تأثير اللهجة في تفرقة امة واحدة في لغتها الواحدة. والثاني: عمق هذا التأثير، بحيث بقيت آثاره حتى العصور المتأخرة، و لم تنقلع جذوره رغم نهى النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم عنه، في مثل تحقيق الواو والياء المصطلح عندهم عن النبر. فهؤلاء القراء و منهم السبعة قد قرأوا بذلك، الامر الذى يقضي بالعجب، و قدمرت قراءة الكسائى بالنبر في مسجد النبي، و انكار اهل المدينة عليه ذلك. و ستوافيك امثلة من قراءة القراء بهذه اللهجة المذمومة بل المنهى عنها صريحاً.

نعم اذا كانت اللهجة معروفة مأنوسة فلابأس بها، كماورد في حديث ابى العالية: «قال: قرأ على رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله‌وسلم

١- المرشد الوجيز ص ٩٣

٢- الاتقان ج ١ ص ٤٧

٣- المرشد الوجيز ص ٩٣

٤- الاتقان ج ١ ص ٤٦

من كل خمس رجل، فاختلفوا فی اللغة، فرضی قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم اعرب القوم» (١).

و فی حديث ابن ارقم، قال: «كنا فی مسجد رسول‌الله صلی‌الله‌عليه وآله‌وسلم فجاء رجل و قال: أقرأنی عبدالله‌بن‌مسعود سورة، و أقرأنيها زيد، و أقرأنيها ابی بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول‌الله صلی‌الله عليه‌وآله. قال: و كان علی‌عليه‌السلام جالساً الی جنبه، فقال علی: ليقرأ كل انسان‌كما علم،كل حسن جميل» (٢).

ويحمل الحديث علی اختلاف اللهجات فی التعبير والأداء.

***

و فيمايلی عرض نموذجی لقراءات كان الباعث لها تأثير اللهجة:ـ

قرأ ابن كثير: «فاستوی علی سؤقه» (الفتح : ٢٩) بهمزة ساكنة. قال ابوحيان: هی لغة ضعيفة (٣) و قال الامام القسطلانی: والمبالغة فی نبر الهمزة و ضغط صوتها حتی تصير كصوت «المتهوع» و هو المتقیء (٤).

و اصطلح القراء بعد ذلكـ علی تسمية ذلك تحقيقا فی التعبير، و فسروه بالمبالغة بالشیء علی‌حده او علی‌حقه (٥). و كان كثير من القراء يقرأ بها. كالكسائی و حفص و حمزة و ابی‌بكر، و هو مذهب ورش (٦).

وقرأ بعضهم: «من‌ان‌تيمنه بقنطار» (آل‌عمران: ٧٥) بكسر التاء، و تخفيف الياء و فتح الميم، و سكون النون. قال الدانی: و هی لغة

١ـ الطبری الطبعة الاولی ١٣٧٤ ج ١ ص ٤٥

٢ـ تفسير الطبری ج ١ ص ١٠

٣ـ البحر المحيط ج ٨ص ١٠٣

٤ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات ج ١ ص ٢٠٨

٥ـ النشر ج١ ص ٢٠٥ و لطائف الاشارات ج ١ ص ٨٢١

٦ـ لطائف الاشارات ج ١ ص ٢٢٠

تميم، اى لهجتها الخاصة. و وافقه على ذلك ابوحيان فى‌البحر (١).
و قرأ ابن‌كثير ـ ايضاً ـ: «بالسؤوق والاعناق» (ص: ٣٣) (٢).
و قرأ سعيد بن جبير: «من اعاء اخيه» (يوسف: ٧٦) و هو من قلب الواو المكسورة همزاً، لهجة مطردة عند هذيل (٣).
و قرأ الحسن وابورجاء: «ولا أدرأتكم به» (يونس: ١٦) بالهمز ماضياً متكلما. قال ابوحاتم: قلب الحسن الياء كما فى لغة بنى الحرث ابن كعب، يقولون: «السلام علاك» ثم همز الألف على لغة من قال فى العالم: العألم. قلت: و هى لهجة النبر المذمومة، لغة لبعض بنى اسد و هذيل (٤) انظر الى هذا التفنن فى‌القراءة المؤدى الى التلاعب بآى القرآن حسب الاذواق والسلايق المنحرفة.
و قرأ ابوجعفر والحسن: «و اذا الرسل وقتت» (المرسلات: ١١) هى لهجة مضر السفلى (٥).
و قرأ طلحة بن مصرف «يؤنس» ـ بهمز الواو، و كسر النون ـ و «يؤسف» بالهمز و كسر السين (٦).
و قرأ ابوجعفر و نافع و ابو عمرو: «فاما ترئن من البشر احداً» (مريم: ٢٦) (٧).
و قرأ ابن محيصن: «بعد ذلك لمائتون» (المؤمنون: ١٥) (٨).
و قرأ الكسائى: «اشترؤا الضلالة» (البقرة: ١٦) بالهمز (٩).

١ـ البحر المحيط ج ٢ ص ٤٩٩ والكرمانى ص ٥١
٢ـ البحر ج ٧ ص ٣٩٧ والكرمانى: ٢٠٨
٣ـ المحتسب لابن جنى ص ٨٤. والبحر: ج ٥ ص ٣٣٢
٤ـ البحر: ج ٥ ص ١٣٣
٥ـ البحر ج ٨ ص ٤٠٥. والمحتسب ص ١٦٤
٦ـ شواذ القراءة للكرمانى ص ٦٦
٧ـ البحر ج ٦ ص ١٨٥. والمحتسب ص ٩٨
٨ـ البحر ج ٦ ص ٣٩٩
٩ـ القراءات القرآنية ص ١٢٠. والحجة للفارسى ج ١ ص ٢٧٨ ولكن من غير ان ينسبها الى الكسائى.

وقرأ ابورجاء و سعيدبن المسيب والاعمش: «كـوكب درىء» (النور: ٣٥) ـ بفتح الدال و تشديد الراء المكسورة وهمز الياء (١) ـ .

و قرأ ابو جعفر: «على كل جبل منهن جـزاً» (البقرة: ٢٦٠) بتشديد الزاى تخفيفاً للهمز (٢) و كذلك قرأ: «جز مقسوم» (الحجر: ٤٤) (٣).

وقرأ الزهرى: «لكم فيها دف» (النحل: ٥) بتشديد الفاء تخفيفاً بالهمز (٤).

و قرأ حفص: «اصحـاب المشمـة» (الواقعـة : ١٩) بتشديد الشين (٥).

و قرأ ابن محيصن: «لملاثمين» بادغام نون «من» فى اللام. و تشديد اللام. بدل «لمن الاثمين» (المائدة : ١٠٦) (٦).

و قرأ ـ ايضاً ـ : «يسألونك علنفال» بتشديد اللام و سكـون النون ـ اى عن الانفال ـ (الانفال : ١) (٧).

و قرأ الحسن والاعمش: «اساءوا السوى» بتشديد الواو المفتوحة (الروم: ١٠) (٨).

و قرأ عاصم و ابو عمرو: «سيغ شرابه» (فـاطر: ١٣) بتشديد الياء (٩).

وقرأ الحسن: «كماسيل» (البقرة: ١٠٨) بكسر السين وسكون

١ـ البحر ج ٦ ص ٤٥٦ والكرمانى ص ١٧١ والمحتسب ص ١١٣

٢ـ المحتسب ص ٣٠

٣ـ الكرمانى ص ١٢٩

٤ـ الكرمانى ص ١٣٠

٥ـ شاهين ص ١٣٦

٦ـ البحر ج ٤ ص ٤٤

٧ـ البحر ج ٤ ص ٤٥٦، والكرمانى ص ٩٣

٨ـ البحر ج ٧ ص ١٦٤

٩ـ المحتسب ص ١٣٢ والكرمانى ص ٢٠٠ والبحر ج ٧ ص ٣٠٥

الياء (١).

و قرأ يحيى و ابن معتمر: «فانهم ييلمون كما تيلمون» (النساء: ١٠٤) ـ بكسر ياء المضارعة و تائها ـ (٢).

و قرأ نافع: «ولم‌يكن له كفاً احد» بضـم الكاف و فتح الفـاء مخففاً (٣).

و قرأ الاعمش: «أنبونى» (البقـرة: ٣١) بضـم الباء و سكون الواو (٤).

٦ـ تحكيم الرأى والاجتهاد

و هذا اكبر العوامل تأثيراً فى اختيارات القراء، كان لكل قارىء رأى يعتمده فى القراءة التى يختارها، و كانوا ـ احيانـاً ـ مستبدين بآرائهم ولو خالفهم الجمهور او اهل التحقيق. و تقدم حديث نبر الكسائى بالهمز فى مسجد الرسول صلى‌الله عليه وآله و انكار اهل المدينة عليه (٥). كما انكروا على حمزة كثيراً من قراءاته، ولم‌يكن يعبأبهم لقوة ما كان يراه من حجج (٦). و هكذا استبد ابن شنبوذ بما يراه صحيحاً وان كان على‌خلاف المرسوم العثمانى، فعقد لاستتابته مجلس بحضرة الوزير ابن مقلة، فاغلظ فى‌الكلام عليهم اولا، حتى امر الوزير بضربه سياطاً ألجأته الى اعلان توبته مقهوراً عليه (٧). و انعقد مجلس آخر لابى بكر ابن مقسم، الذى كان يختار من القراءات مابدا له اصح فى العربية ولو خالف النقل او رسم المصحف (٨).

١ـ البحر ج ١ ص ٣٤٦

٢ـ المحتسب ص ٤٦. والبحر ج ٣ ص ٣٤٣

٣ـ البحر ج ٨ ص ٥٢٨

٤ـ الكرمانى ص ١٨١

٥ـ نقلا عن نهاية ابن الاثير ج ٥ ص ٧

٦ـ تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧

٧ـ طبقات القراء ج ٢ ص ٥٢

٨ـ الاتقان ج ١ ص٧٧. والطبقات ج ٢ ص ٥٤

نعم لم يكن انكارهم على امثال هؤلاء لجانب تحكيمهم للاراء والأذواق الاجتهادية، بل لجانب خروجهم عن موافقة مرسوم الخط، فالقراءة اذا كانت متوافقة مع ظاهر الرسم فلا تعد منكرة.

وقد كانت ميزة القراء السبعة وغيرهم من المشهورين المعتمدين، هو التزامهم بموافقة الرسم خطاً، كما يحدثنا ابومحمد مكى بأن حفصاً قرأ «كفواً» بالواو، فخفف الهمزة واواً. و كان حقه ان ينقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها، فيقول: كفاً لكنه رفض ذلك، لئلا يخالف الخط، فأعمل الضمة الاصلية.

و من ثم تلك المحاولات لتوجيه القراءات الشاذة، بل لمطلق القراءات اذا كانت موافقة للرسم.

انظر كيف يوجه الدمياطى قراءة حمزة: «و اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام» (النساء : ١) بجر الارحام عطفا على الضمير المجرور بالحرف، وفق مذهب الكوفيين (١). و يوجه قراءة ابن عامر: «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم» (الانعام: ١٣٧). قرأ «قتل» مرفوعاً نائب فاعل لـ «زين» التى قرأها مبنية للمفعول. و نصب «اولادهم» على انه مفعول به للمصدر. و جر «شركائهم» على اضافة المصدر اليه مع الفصل (٢) و امثال ذلك كثيرة فى توجيه القراءات الشاذة.

والكتب فى توجيه القراءات، ولاسيما الشاذة وذكر عللها وحججها كثيرة، منها: الحجة لابى على الفارسى، والمحتسب لابن جنى، و املاء مامن به الرحمان لابى البقاء، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى ابن ابى طالب. و غير ذلك مما يطول.

***

و اليك نماذج من تعاليل و حجج اعتمد عليها القراء، تكفى برهنة على مدى تحكيم الرأى والاجتهاد فى الاختيار:

١ـ اتحاف فضلاء البشر ص ١٨٥

٢ـ المصدر ص ٢١٧

قرأ ورش و حفص و ابو عمر: «البيوت، والغيوب، والجيوب، والشيوخ، والعيون» (١) بالضم فی اوائلها.

وقرأ قالون و هشام بكسر الباء من «البيوت» وضم باقيها.

وقرأ حمزة بالكسر فی اوائلها كلها.

وقرأ ابن‌ذكوان و ابن‌كثير والكسائی بضم الغين من «**الغيوب**» و كسر باقيها.

قال مكی: و وجه القراءة فيهن بالضم: انه أتی بهن علی الأصل، ولم يسأل عن الياء و ضمتها. و باب «فعل» ـ بسكـون العين و فتح الفاء ـ فی الجمع الكثير «فعول» بضم الفاء. و لما كان هذا النوع، لايجوز فيه الا الضم اذا لم يكن الثانی ياء، نحو: «كعوب، و دهور» اجری ماثانيه ياء علی ذلك، لانه أصله، ولئلا يختلف.

و وجه القراءة بالكسر: ان الكسرة مع الياء اخف من الضمة معها، والجمع ايضاً ثقيل، فكسر الاول للتخفيف، ولتقرب الحركة من الحرف الذی بعدها. فقد قالوا: شهد و لعب، بكسر اوليهما. و هكذا قالوا: سعيد و شهيد و رغيف، فكسروا الاول للثانی، اذهـو حـرف حلق، للتقريب من حركته. فكذلك كسروا اوائل هذه الجمـوع للتقريب من الحرف الثانی. و ان لم‌يكن حرف حلق، لكونه جمعاً. ولانه حرف ثقيل عليه حركة ثقيلة.

و اما من ضم بعضاً و كسر بعضاً فانه جمع بين لغتين. او هكذا سمعه من شيوخه.

ثم قال مكی: والضم هوالاختيار، لانه الاصل. و قال ابوحـاتم: لايجوز غير الضم... (٢)

وقرأ ابن‌كثير و ابو عمرو: «فلارفث ولافسوق» (البقرة: ١٩٧) بالتنوين والرفع. و قرأ الباقون بالفتح من غير تنوين.

١ـ الاول فی البقرة: ١٨٩. والثانی فـی المائدة : ١٠٩. والثالث فـی النور : ٣١. والرابع فی غافر: ٦٧. والخامس فی‌الحجر: ٤٥

٢ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٢٨٤

قال مكي: و وجه القراءة الاولى: ان «لا» بمعنى «ليس» والخبر محذوف. و وجه الثانية: ان «لا» نفى للجنس دلالة على النفى العام. لان التى بمعنى ليس لاتنفى الا واحدة والمقصود فى الاية هو العموم (١).

وقرأ الكسائى و حمزة: «قل فيهما اثم كثير» (البقرة : ٢١٩) بالثاء.

قال مكى: جعلاه من الكثرة، حملا على المعنى، و ذلك ان الخمر تحدث مع شربها، آثام كثيرة من لغط و تخليط، وسب و ايمان، وعداوة و خيانة، و تفريط في الفرائض و فى ذكر الله تعالى و غير ذلك. فوجب ان توصف بالكثرة، ولانه تعالى قدقال بعد ذلك: «و منافع للناس» فجمع المنافع، فكان يجب ان تكون الاثام ايضاً جمعاً. و ايضاً فان وصف الاثم بالكثرة ابلغ من وصفه بالكبر... و يسرد ادلة مسهبة...

وقرأ الباقون بالباء من الكبر، على معنى العظم، اى فيهما اثم عظيم ولانهم اجمعوا ان شرب الخمر من الكبائر. وقد وصف الله الشرك بالعظم، فقال: «ان الشرك لظلم عظيم» (لقمان: ١٣) فكذلك ينبغى ان يوصف ما قرب منه بالعظم، لانهما من الكبائر. ولانهم قالوا: مادون الكبائر صغائر، فوجب ان يقال فىالكبائر: كبير، لان الكثير مقابل القليل، والكبير مقابل الصغير.

ثم قال مكى: القراءتان حسنتان موجهتان، والباء احب الى، لان الجماعة عليه، و لقوله تعالى: «حوباً كبيراً» (النساء : ٢) وقوله: «والفتنة اكبر من القتل» (البقرة : ٢١٧) (الكشف ج ١ ص ٢٩٢).

انظر الى هذا التضارب فىالاراء والاختيارات، و كيف يتدخل مثل ابى محمد فى ترجيح احدى القراءتين على الاخرى، لحجج و تعاليل ــ ايضاًــ يعتمدها. و من ثم فان القائل بتواتر القراءات عن النبى صلىالله عليه و آلهوسلم يضرب على غير وتره.

والغريب: ان كتب القراءات ربما يذكرون احدى الحروف، من

١ــ المصدر ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦

غير ان ينسبوه الى قارىء مشهور اوغير مشهور، و يعللون بانه اجازة فلان النحوى مثلا.

قال محمد بن ابى نصر الكرمانى: و اجاز الزجاج: «من تفاؤت» (الملك: ٣) مهموزاً و هكذا قال فى قوله تعالى: «كفواً احد»: اجاز الزجاج : «كفئاً» بالهمز (١) و هل تصلح اجازة نحــوى لاختيار قراءة القرآن؟!.

الامر الذى ينبؤك على ان اعتبارهم «التواتر» فى القراءة كلام تشريفى ظاهرى، لم يعبأبه السلف والخلف عملياً اطلاقاً.

وأجدنى فى غنى عن سرد شواهد ــ بعد النماذج الثلاثةــ حيث وفرة الكتب المصنفة فى توجيه القراءات و ذكر عللها و حججها، و كثيرة فى متناول الجميع.

٧ــ غلو فى الادب:

من العوامل التى كانت تبعث على اختيار قراءة ــ ولو كانت شاذة خارجة على المشهور او مخالفة لرسم الخطــ هو غلو القارىء فيما اختص به من الادب العربى، معجباً بنفسه، فيزعم الصحيح فيمارآه، وفقاً للقواعد العربية التى تسلمها كليات لاينخرمن بوجه.

من ذلك مانجده فى ابى بكر العطار تلميذ ابن شنبوذ، كان اعلم دهره بالنحو و القراءة، و من ثم لم يكن يكترث بالمأثور من القراءات، و كان يختار لنفسه قراءة يراها صحيحة و مناسبة فى سياق معنى الاية، فكان يقرأ: «فلما استيأسوا منه خــلصوا نجبا» (يــوسف : ٨٠) بــدل «نجياً» (اعجاز القرآن للرافعى ص٥٧).

فكان مآل امره ان ثارت عليه ضجة الفقهاء، و حاكمه الامير، فلم يستطع الدفاع فاراد ضربه لكنه استسلم اخيراً فاستتيب (٢).

١ــ شواذ القراءات و اختلاف المصاحف ص ٢٤٦ و ص ٢٧٣

٢ــ النشر ج ١ ص ١٧. معرفة القراء ج ١ ص ٢٤٦ ــ ٢٤٩.

و نستطيع ان نعلل اكثر قراءات القراء النحويين، و استبدادهم بها ـ كالكسائي ـ بهذا التعليل «الغلو في الادب في شيء من الاعجاب بالنفس».

(ملحوظة): كثير من ائمة النحو والادب خطأوا القراء ورموهم بضعف المقدرة الادبية، و من ثم شطبوا على قراءاتهم مما كانوا يرونها مخالفة للقواعد العربية.

هذا ابو عثمان المازني يخطيء قراءة اهل المدينة: «لكم فيها معائش» (الاعراف : ١٠ والحجر: ٢٠) بالهمز. قال: هي خطأ، فلا يلتفت اليها، و انما اخذت عن نافع بن ابي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية. و له احرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا (١).

و قال ابوالعباس المبرد: اما قراءة اهل المدينة: «هؤلاء بناتي هن اطهر لكم» (هود: ٧٨) فهو لحن فاحش. و انما هي قراءة ابن مروان، و لم يكن له علم بالعربية (٢).

وقرأ ابو عمرو: «مالكم من ولايتهم» (الانفال: ٧٢) و «هنالك الولاية» (الكهف: ٤٤) ـ بفتح الواو ـ قال الاصمعي: هذا لحن منه (٣).

وقرأ ابن عامر: «ارجئه و اخاه» (الاعراف: ١١١) ـ بالهمز ـ قال الفارسي هي غلط. وتبعه في هذه التخطئة ابن مجاهد والحوفي (٤).

وقرأ ـ ايضاً ـ: «كن فيكون» (البقرة: ١١٧) ـ بنصب المضارع ـ قال ابن عطية: انها لحن (٥).

وقرأ ابو عمرو: «و انزل جنوداً لم يروها» (التوبة : ٢٦) ـ بالياء ـ . قال ابن مجاهد: هو غلط (٦).

١ـ البحر المحيط لابي حيان ج ٤ ص ٢٧١. والمنصف ج ١ ص ٣٠٧

٢ـ المقتضب ج ٤ ص ١٠٥. و شواذ ابن خالويه ص ٦٠

٣ـ النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٧٧

٤ـ البحر ج ٤ ص ٣٦٠

٥ـ البحر ج ١ ص ٣٦٦

٦ـ شواذ ابن خالويه ص ١١٨

و قرأ ابن كثير و ابو عمرو: «ان صدوكم عن المسجدالحرام» (المائدة : ٢) ـ بكسر همزة «ان» (١)ـ و انكرها النحاس (٢)، قال : و اما «ان صدوكم» بكسر «ان» فالعلماء الجلة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها، لاشياء ذكرها القرطبى بتفصيل (٣).

وقرأ نافع و ابن‌كثير و حمزة : «أمن هــو قانت» (الزمر: ٩) ـبتخفيف الميم (٤)ـ ولحنها الاخفش و ابوحاتم (٥).

وقرأ عاصم: «نجي المؤمنين» (الانبياء : ٨٨)ـ بنون واحدة و تشديد الجيم ـ ولحنها الزجاج والفارسى (٦).

و قد وصف ابوالفتح عثمان بن جنى عامة القراء ـ فــى كتابــه «الخصائص» ـ بضعف الدراية. ويصفهم فــى «المنصف» ـ بالسهو والغلط، اذليس لهم قياس يرجعون اليه (٧).

***

و بهذه المناسبة نذكر تلحين ابن‌قتيبة كثيراً من قراءات قــراء مشهورين هم من السبعة، و تحامله عليهم بقصر الباع و حبهم الصيت والشياع. و ان اكثر ما يقرأونه بدعة منهم لم يقرأبها الرسول صلى‌الله عليه وآله قط.

قال: و كذلك لحن اللاحنين من‌القراء المتأخرين، لا يجعل حجة على‌الكتاب وقدكان الناس قديماً يقرأون بلغاتهم. ثم خلف قوم بعدقوم من اهل الامصار و ابناء العجم، ليس لهم طبع اللغة، ولاعلم التكلف،

١ـ النشر فى القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥٤
٢ـ البحر ج ٣ ص ٤٢٢
٣ـ تفسير القرطبى ج ٦ ص ٤٦
٤ـ النشر ج ٢ ص ٣٦٢
٥ـ البحر ج ٧ ص ٤١٨
٦ـ البحر ج ٦ص٣٣٥
٧ـ راجع الدراسات : للعضيمة ج ١ ص ٣٢ ـ ٣٣

فهفوا فی کثیر من الحروف وزلوا و قرأوا بالشاذ و أخلوا.

منهم: رجل ـ يريد حمزة بن حبيب الزيات احد القراء السبعةـ ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، و قربه من القلوب بالدين. لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءاته اكثر تخليطا، ولا اشد اضطرابا منه، لانه يستعمل في الحرف ـ يريد القراءةـ مايدعه في نظيره، ثم يؤصل اصلا و يخالف الى غيره لغير ماعلة. و يختار في كثير من الحروف مالايخرج له الا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا الى نبذه في قراءته مذاهب العرب و اهل الحجاز، بافراطه في المد والهمز والاشباع، و افحاشه في الاضجاع والادغام، و حمله المتعلمين على المركب الصعب، و تعسيره على الامة مايسره الله.

وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقتهم، وليس ذلك الالما يرونه من مشقتها و صعوبتها، و طول اختلاف المتعلم الى المقرىء فيهـا، فاذا رأوه قد اختلف في ام الكتاب عشراً، و في مائة آية شهراً، و في السبع الطول حولا، و رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دار الوريدين راشح الجبينين، توهموا ان ذلك لفضيلة في القراءة و حذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله ولاخيار السلف و لاالتابعين، ولا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهلة رسلة.

ثم قال: و ما اقل من سلم من هذه الطبقة ـ من القراء على نمط حمزةـ في حرفه من الغلط والوهم.

فقد قرأ بعض المتقدمين ـ يريد الحسن البصريـ: «ماتلوتـه عليكم ولا ادرأتكم به» (يونس : ١٦) فهمز، و انما هـو من دريت بكذا و كذا.

و قرأ : «و ما تنزلت به الشياطون» (الشعراء : ٢١٠). توهم انه يجمع بالواو والنون (١).

١ـ راجع في ذلك: القراءات الشاذة ص ١٠٨. والكشاف ج ٣ ص ١٢٩. و في البحر المحيط ج ٧ ص ٤٦: «قال ابو حاتم هي غلط منه او عليه . و قال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين. و قال الفراء: غلط الشيخ، ظن انها النون التي على هجائن...»

و قرأ آخر ـ هو ابن محيصن (١) ـ : «فلا تشمت بي الاعداء» (الأعراف: ١٥٠) بفتح التاء و كسر الميم و نصب «الاعداء». و انما هو من: أشمت الله العدو فهو يشمته و لايقال : شمت الله العدو.

وقرأ يحيى بن وثاب ـ تابعي كوفي قارىء معروف ـ : «و ان تلوا او تعرضوا» (النساء : ١٣٥) ـ بضم لام «تلوا» و سكون الواو ـ من الولاية. ولاوجه للولاية هنا و انما هي «تلووا» ـ بواوين ـ من: ليك في الشهادة و ميلك الى احد الخصمين عن الاخر. قال الله عزوجل: «يلوون ألسنتهم بالكتاب» (آل عمران : ٧٨). و اتبعه على هذه القراءة الاعمش و حمزة (٢).

وقرأ الاعمش: «و ما انتم بمصرخي» (ابراهيم : ٢٢) بكسر ياء المتكلم. كأنه ظن ان الباء تخفض الحرف. واتبعه على ذلك حمزة (٣).

وقرأ حمزة: «ومكر السيىء. ولا يحيق المكر السيىء الا باهله» (فاطر : ٤٣) «باسكان الهمز في «السيىء» الاول. و ضمه في الثاني. و اسقاط الاعراب غلط (٤) ...» (٥).

١ـ راجع: البحر ج ٤ ص ٢٩٦

٢ـ راجع: اتحاف فضلاء البشر ص ١٩٥ والكشاف ج ١ ص ٣٠٤

٣ـ جاء في البحر المحيط ج ٥ ص ٤١٩: «و قرأ يحيى بن وثاب والاعمش و حمزة «بمصر خي» ـ بكسر الياء ـ و طعن كثير من النحاة في هذه القراءة: قال الفراء: لعلها من وهم القراء، فانه قل من سلم منهم من الوهم، و لعله ظن ان الباء في «بمصر خي» خافضة للفظ كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك... و قال الاخفش: ما سمعت هذا من احد من العرب و لامن النحويين. و قال الزجاج : هذه القراءة رديئة مرذولة، ولاوجه لها الاوجه ضعيف».

٤ـ كانت عبارة ابن قتيبة هنا مغلقة و ربما كانت خلاف المصطلح، فعدلناها على عبارة البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٩.

٥ـ تأويل مشكل القرآن ص ٥٨ ـ ٦٣

٨ــ شذوذ نفسي:

قالوا: و من عوامل اختيار القراءة الشاذة مـا يرجـع الى علل روحية، يروم اصحابها الاشتهار بمخالفة المشهور. او عقد نفسية تنفجر فى وجه الاعراف التقليدية، فتتمثل فى قالب الاختيارات الشاذة.

كان محمد بن الحسن، ابن مقسم، ابوبكر العطار، المقرىالنحوى (٢٦٥ ــ ٣٥٥) تروقه القراءة بحروف تخالف الأجماع، فكان يقرأ ــ لعلل لا ترجع الـى النقل ولا الاخذ من الشيوخ ــ فى كثير من الايات ما يخالف القراءة المشهورة مادة، و ان وافقت رسم المصحف خطاً. كقراءته: «فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً» (يوسف: ٨٠) قرأ «نجباً» جمع «نجيب». و شاع امره فاحضره السلطان و استتابه فاذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته. و قيل انه لم ينزع عنها، و كان يقرأ بها الى ان مات.

قال الداني: كان عالماً بالعربية، حافظاً للغـة، حسن التصنيف، مشهوراً بالضبط والاتقان، الا انه سلك مسلك ابن شنبوذ، فاختارحروفاً خالف فيها ائمة العامة، و كان يذهب الى ان كل قراءة توافق خـط المصحف فالقراءة بها جائزة و ان لم تكن لها مادة (١).

و كان محمد بن الحسن، ابوالحسن، ابن شنبوذ (ت ٣٢٨) شيخ الاقراء مع ابىبكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤). و كان ابن شنبوذ اعلم منه و اوسع اطلاعاً بالقراءات و بفنونها و انواعها. جـاب البلاد وطاف الأمصار فى طلب العلم والسماع من الشيوخ على خلاف زميله الذى تصدر مقام «شيخ القراء» من قبل السلطان فى بغداد، و كان قليل الاطلاع، لم يخرج فى طلب العلم، و لم تكن له خبرة بفنون القراءات القديمة والحديثة (البرهان ج ١ ص ٣٢٧).

و من ثم كان بينابن شنبوذ و ابن مجـاهد تنافس علـى عادة الاقران، و كان ابن شنبوذ يحط من ابن مجاهد، و يقول: هذا العطشى،

١ــ بغية الوعاة ص ٣٦. و معرفة القراء ج ١ ص ٢٤٦

لم تغبر قدماه فی طلب العلم، و كان اذا اتاه رجل للقراءة عليه يسأله: هل قرأت على ابن مجاهد، فان قال: نعم، لم يقرئه.

فلئن كان ابن مجاهد يعتز بمنصبه الرسمی، فقد كان ابن شنبوذ يعتز بمقام علمه وسعة اطلاعه، و كان يؤنب صاحبه بلاهوادة.

و كان ابن شنبوذ يقرأ بالمشهور والشاذ، و كان يرى جواز الصلاة بماجاء فی مصحف ابی، و مصحف ابن مسعود، و بما صح فی الاحاديث، مع ان الاختلاف فی جوازه كان معروفاً بين الفقهاء قديماً و حديثاً ـ و كان يتعاطى ذلك جهاراً.

و كانت نقطة ضعف اخذها عليه ابن مجاهد، فرفع امره الى السلطان، و عقد له ـ كما عقد لابن مقسمـ مجلس بأمر رسمی من شيخ القراء ابن مجاهد، و كان ذلك فی سنة ٣٢٣.

قال الدانی: حدث ابوالقاسم بن زنجی الكاتب الانباری، قال: حضرت مجلس الوزير ابیعلی بن مقلة، وزير الراضی بالله العباسی. و قد احضر ابن شنبوذ وجرت معه مناظرات فی حروف، شهد عليه الشهود أنه يقرأ بها، و هی شواذ، فاعترف منها بما عمل به، بمحضر منالشاهدين: محمد بن موسی الهاشمی، و ابیايوب محمد بن احمد، و هما يومئذ شاهدان مقبولان، و كان القاضی عمربن محمد بنيوسف و كان قد حضر المجلس ابن مجاهد و جماعة منالقراء.

فاغلظ ابنشنبوذللوزير فیالخطاب، وللقاضی، ولابنمجاهد، ونسبهم الى قلة المعرفة، و انهم لميرحلوا فی طلب العلم كمارحل.

فامر الوزير بضربه سبع درر، و هو يدعو على الوزير، بان يقطع الله يده، و يشتت شمله، و استتابوه قهراً عليه.

و كتب نسخة المحضر ابن مجاهد بيده. و فی آخرها: «اعترف ابن شنبوذ بما فی هذه الرقعة بحضرتی، و كتب ابن مجاهد بيده، يوم السبت، لست خلون من ربيع الاخر، سنة ثلاث و عشرين و ثلاثمأة».

و قد استجيب دعاؤه على الوزير، و قطعت يده وذاق الذل. ولما يمض على هذه الحادثة سنة كما توفی ابن مجاهد فی نفس

العام ٣٢٤. (١)

و اذا كنا نراجع تراجم اكثرية القارئين بالشذوذ، نجدهم أناساً فضلاء علماء، أساءت الظروف بمنزلتهم العلمية، فنبذتهم وراء الظهور، و قدمت غير الاكفاء، و من ثم كانت عقد نفسية و شذوذ و انحرافات عن المسير العام.

وايضاً ـ فان اكثرية القراءات المرمية بـالشذوذ، لم تكن شاذة بمعناها الحقيقي و انما رميت بالشذوذ لانها خلاف معهود العامة، و خلاف ما يعرفه شيوخ الاقراء، في الامصار، ممن حازوا مناصب رسمية، و غالبيتهم قليلوا الرحلة، قصيروا الباع، في العلم وسعة الاطلاع.

انظر الى مايتأسفه الامام بدرالدين ـ نقلاعن اثيرالدين ابي حيان ـ من قصر الهمم في طلب العلم، والرحلة في الاخذ و تلقي القراءة من الشيوخ، و من ثم اقتصارهم على ما في التيسير والشاطبية والتبصرة والكافي ونحوها، في حين ان هذه الكتب لم تحو حتى جميع القراءات المأثورة عن السبعة، فكيف بغيرها. و انما هي قـل من كثر و نـزر من بحر (٢).

و من ثم كان بعض مشايخ الاقراء ـ بين آونة و اخرى ـ يجيزون القراءة المرمية بالشذوذ، اذا كانت عليها مسحة من الصحة المعتبرة. من ذلك ما وقع اخيراً (عام ١٣٧٧ هـ) في مصر. فقد اجاز شيخان من مشايخ الاقراء ـ لحسن نيتهما ـ القراءة بالشواذ من ذوات الاصالـة السلفية. غير ان الرأى العام و في مقدمتهم مشيخة الازهر، قـام في وجههما، فاضطرا الى التوبة. و حكم عليهما بنفي البلد لمدة عـام، و لم تنفع بشأنهما شفاعة الشافعين (٣).

هذا، ولنا في جواز القراءة بالشاذ مذهب آخر: لانجيز في القرآن غير قراءة واحدة ـ لا السبعة ولا العشرة ولا غيرها ـ و سنتكلم عنها في

١ـ معرفة القراء الكبار، الذهبي، ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٥

٢ـ راجع البرهان ج ١ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥

٣ـ المصحف المرتل ص ٣٠١

فصل قادم.

عوامل اخرى :

هناك عوامل اخرى زعموها ذات صلة بتكبيف قراءة القرآن، او اختيار قراءة غير قراءة الاخرين.

* منها: زعم خطاء النسخة، فيمامر من مزاعم ابن عباس و غيره في قوله تعالى: «وقضى ربك» (الاسراء: ٣١) انها كانت «و وصى ربك» فاستمد الكاتب مداداً كثيراً فالترقت الواو بالصاد (١).

* و منها: تخليط التفسير بالنص، كاكثر القراءات المنسوبة الى ابن مسعود و ابى بن كعب و غيرهما، مما فيهـا زيادة ـ تفسيريـة ـ نحو قوله تعالى: «كـان الناس امة واحدة (فاختلفـوا) فبعث الله النبيين» (البقرة: ٢١٣) (٢) و ربما جاء قارىء متأخر فزعمها قراءة خاصة، كما قرأ بعضهم: «ليس عليكم جناح ـ في مواسم الحجـ ان تبتغوا فضلا من ربكم» (البقرة: ١٩٨) و تنسب الى ابن عباس (٣).

* و منها اهداف سياسية حاولت تغيير النص وفق اغراض خاصة، كما يذكر بهذه المناسبة قراءة ابن الخطاب: «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ـبالرفعـ الذين اتبعوهم بـاحسان ـباسقاط الواوـ» (براءة: ١٠٠) كان يعتقد اختصاص المهاجرين بالسابقية، و ان فضل الانصار في متابعتهم. و بذلك صرح لمن انكر عليه قراءته هذه، في قصة مشهورة بينه و بين زيد و تحكيمهما ابياً في ذلك (٤).

* **ومنها: نظرات كلامية** (عقائدية) كانت ترى الصحيح ـأحياناًـ في غير القراءة الدارجة. كمن قرأ من المعتزلة: «و كلمَ اللهَ موسى

١ــ راجع: الجزء الاول ص ٣٢١

٢ــ راجع: الجزء الاول ص ٢٦٠

٣ــ الكشاف للزمخشري: ج ١ ص ٢٤٥

٤ــ انظر، تفسير الطبري ج ١١ ص ٧

تكليماً» (النساء: ١٦٤) بنصب لفظ الجلالة (١) زاعماً انه تعالى لايتكلم على حقيقته. هذا و قد اجمع النحويون- كما قال النحاس- على انك اذا أكدت الفعل بالمصدر لايكون مجازاً، و انه لايجوز فى قول الشاعر: «امتلاء الحوض و قال قطنى» ان يقول: قال قولا، فكذا لما قال: «تكليماً» وجب ان يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذى يعقل (٢) فوجب ان يكون من موسى عليه‌السلام.

و كذا نسب الى بعضهم أنه قرأ: «فتوبوا الى بارئكم و أقيلوا انفسكم» (البقرة : ٥٤) (٣) نظراً لعدم صحة الامر بقتل النفس، و هكذا كثير من القراءات المنسوبة الى ذوى المذاهب الخاصة، كانت مخالفة للقراءة المشهورة.

* ومنها: ضعف امكانية القارىء أدبياً، و عدم معرفته بقواعد اللغة، فربما يلحن فى قراءة القرآن و يعد ذلك قراءة، نظراً لموقعه الاجتماعى المعروف، كقراءات منسوبة الى ابى حنيفة ـ و هو مشهور باللحن فى كلامه- يحكى عنه: انه قرأ «انمايخشى‌الله ـبالرفع- من عباده العلماء ـ بالنصب ـ» (فاطر: ٢٨) وتنسب‌الى عمربن عبدالعزيز ـايضاً- (٤) و ربما توجه بان معنى الخشية ـ فى هذه القراءة- هو التعظيم والتكريم. و هى محاولة لتوجيه قراءة شاذة (٥).

و قد سبق تلحين كثير من ائمة الادب كثيراً من قراءات قراء مشهورين.

***

و بعد... فهذه العوامل الاخيرة، يجب ان يشطب عليها فى حقل

١- الاشارات للقسطلانى : ج ١ ص ٦٦

٢- انظر: تفسير القرطبى ج ٦ ص ١٨

٣- تنسب هذه القراءة الى قتادة. القرطبى ج ١ ص ٤٠٢

٤- راجع القرطبى ج ١٤ ص ٣٤٤

٥- انظر : البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٤١

الابحاث القرآنية بعد ان كانت لاتمت الى قانون او سبب معروف فى هذا الباب، ولم يكن اصحابها اختصاصيين فى فـن القـراءة، فكانت قراءاتهم تلك محض مصادفة اتفاقية، غير منسلكـة ضمن «قـراءات القرآن» ـ بما فى هذه الكلمة من شمول، لكن فى اطار اصطلاحى معروفـ و ما تلك القراءات الا كخواطر او هواجس نفسية خطرت لغير ذى اختصاص، و سجلت نظراً لموقعية قارئها آنذاك. كقـراءة ابى‌بكرـ قبيل وفاتهـ: «وجاءت سكرة الحق‌بالموت» (ق : ١٩) (١) ولم تكن عن سوى خطأ لسنى جرى على لسانه غفلة.

و من ثم فان امثال هذه القراءات، لاتعد حتى من الشواذ المبحوث عنها فى بحث انواع القراءات.

اذ نعنى بالقراءة فى موضوع بحثنا هى التى تبتنى على اجتهاد صاحبها الفنى، ولو عن خطاء فى استنباطه يراه صحيحاً فى نظره. اما هذه القراءات فلا تعدو اشتباهات جارية على السن غير ذوى الفن، اما غفلة او عن قصد لايمت الى اصول القراءات بصلة.

و عليه، فالقراءات من هذا القبيل ساقطة رأساً.

١ــ البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٣٥

وقفة عند مسألة

تواتر القراءات

١ - ٢

١ - تصريحات ائمة الفن

تلك التى قدمناها ـ فىالفصل السابق ـ كـانت عوامل نشوء الاختلاف بين القراء، و كانت وافية بالدلالة على ان اختياراتهم كانت اجتهادية، مستندة الى حجج و تعاليل فصلها كتب القـراءات. الامر الذى يكفى للرد على زاعمى تواترها عنالنبىصلىالله عليه و آله فلا يكون هو صلىالله عليهوآله الذى قرأها بهذه الوجوه، التى لم يتنبه لهاسوى قراء سبعة او عشرة جاؤوا فى عصور متأخرة!؟

و ان تواتراً هذا شأنه، لجدير بأن يرمى قائله بالشطط فىالرأى. غير ان جماعات تغلبت عليهم العامية، وراقتهم تحمسات عاطفية، فى كل شأن يرجع الى شؤون المقدسات الدينية، لا يزالون يزمرون و يطبلون حول حديث «تواتر القراءات». و ربما يرمون منكرها بالكفر والجحود، و من ثم فان الحقيقة اصبحت مهجورة و مطمورة فى ثنايا هذا الغوغاء والعجاج العارم.

لكن الحق احق ان يتبع، و ان الحقيقة فى ضوء البراهين القاطعة اولى بالاتباع.

و نحن اذنوافيك بأدلة كافلة لاثبات «عدم تواتر القراءات» وعدم مساسه بمسألة «تواتر القرآن» الثابت قطعياً، نقدم تصريحات ضافية من أئمة الفن، تدليلا على انكار العلماء المحققين طراً لحديث تواتر القراءات، معاعترافهم بتواتر القرآن وانلاملازمة بين المسألتين: ـ

قال الامام «بدر الدين الزركشى»: «اعلم أن القرآن والقراءات

حقيقتان متغايرتان فالقرآن: هو الوحي المنزل علـى محمد صلى‌الله عليه وآله للبيان والاعجاز. والقراءات: هى اختلاف ألفاظ الـوحي المذكور، فى كتبة الحروف او كيفيتها...».

ثم قال: «والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، و قيل: بـل مشهورة... والتحقيق: انها متواترة عن الائمة السبعة.

اما تواترها عن النبى صلى‌الله‌عليه وآله ففيه نظر، فان اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات، و هى نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر، فى استواء الطـرفين والواسطة، و هذا شيء موجود فى كتبهم. و قد اشار الشيخ شهاب‌الدين ابوشامة فى كتابه «المرشد الوجيز» الى شيء من ذلك» (١).

***

و قال الشيخ شهاب‌الدين «ابو شامة»: «و اما من يهول فى عبارته، قائلا: ان القراءات السبع متواترة، لان القرآن انزل على سبعة احرف، فخطاؤه ظاهر، لان الاحرف السبعة المراد بها غير القراءات السبع، على ما سبق تقريره فى الابواب المتقدمة» (٢).

قال: «ولو سئل هذا القائل عن القراءات السبع التى ذكـرها، لم يعرفها و لم يهتد الى حصرها، و انما هو شيء طرق سمعه فقاله غير مفكر فى صحته، و غايته ـ ان كان من اهل هذا العلم ـ ان يجيب بما فى الكتاب الذى حفظه.

والكتب فى ذلك ـ كما ذكرنا ـ مختلفة، و لا سيما كتب‌المغاربة والمشارقة، فبين كتب الفريقين تباين فى مواضع كثيرة فكم فى كتابه من قراءة قد انكرت، وكم فات كتابه من قراءة صحيحة فيه ما سطرت. على انه لو عرف «شروط التواتر» لم يجسر على اطلاقه هذه العبارة، فى كل حرف من حروف القراءة.

١ـ البرهان ج ١ ص ٣١٨ ـ ٣١٩

٢ـ راجع: المرشد الوجيز ص ١٤٦ الباب الرابع

فالحاصل: انا لسنا ممن يلتزم التواتر فی جمیع الالفاظ المختلف فیها بین القراء، بل القراءات کلها منقسمة الی متواتر و غیر متواتر، و ذلك بین لمن انصف و عرف، وتصفح القراءات و طرقها.

و غاية ما يبديه مدعی تواتر المشهور منها، کادغام ابی عمرو، و نقل الحركة لورش، وصلة میم الجمع و هاء الکناية لابن کثیر، انه متواتر عن ذلك الامام الذی نسبت القراءة الیه، بعد ان یجهد نفسه فی استواء الطرفين والواسطة. الا انه بقی علیه التواتر من ذلك الامام الی النبی صلیالله علیه و آله و سلم فی کل فرد فرد من ذلك، و هنالك تسکب العبرات، فانها من ثم لم تنقل الاآحاداً، الا اليسير منها. و قد حققنا هذا الفصل ـ ایضاً ـ فی کتاب البسملة الکبیر و نقلنا فیه من کلام الحذاق من الائمة المتقنین ما تلاشی عنده شبه المشنعین، وبالله التوفيق» (١).

***

و قال الحافظ «ابن الجزری»: «کل قراءة وافقت العربية ـ ولوبوجه ـ و وافقت احد المصاحف العثمانية ـ ولو احتمالاً ـ وصح سندها، فهی القراءة الصحيحة. سواء کانت عن الائمة السبعة ام عن العشرة ام عن غیرهم، من الائمة المقبولين. و متی اختل رکن من هذه الثلاثة، اطلق علیها «ضعيفة» او «شاذة» او «باطلة». سواء کانت عن السبعة ام عمن هو اکبر منهم».

قال: «هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق منالسلف والخلف. صرح بذلك الامام الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الدانی، و نص علیه ـفی غیر موضع ـ الامام ابو محمد مکی بن ابیطالب، و کذلك الامام ابوالعباس احمد بن عمار المهدوی، و حققه الامام الحافظ ابوالقاسم عبدالرحمان بن اسماعیل المعروف بابی شامة. و هو مذهب

١ـ المرشد الوجيز ص ١٧٧ ـ ١٧٨

السلف الذی لایعرف عن احد منهم خلافه» (١).

قال: «و قد شرط بعض المتأخرین التواتر فی هذا الرکن، ولم یکتف بصحة السند. وزعم ان القرآن لا یثبت الا بالتواتر، و ان‌ماجاء مجیء الاحاد لایثبت به قرآن. و هذا مما لایخفی مافیه، فان التواتر اذا ثبت لایحتاج فیه الی الرکنین‌الاخیرین من الرسم وغیره، اذماثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبی صلی‌الله علیه وآله‌وسلم وجب قبوله و قطع بکونه قرآناً، سواء وافق الرسم ام خالفه، و اذا اشترطنا التواتر فی کل حرف من حروف الخلاف انتفـی کثیر من احـرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الائمة السبعة و غیرهم».

قال: «و لقد کنت ـقبلـ اجنح الی هذا القول، ثم ظهر فساده و موافقة ائمة السلف والخلف» (٢).

***

و قال «جلال‌الدین السیوطی»: «اعلم ان القاضی جلال‌الدین البلقینی قال: القراءة تنقسم الی متواتـر و آحاد وشاذ، فـالمتواتر: قراءات السبعة المشهورة. والاحاد: قراءات الثلاثة، و تلحق بها قراءة الصحابة. والشاذ: قراءة التابعین، کالاعمش و یحیی بن وثاب و ابن جبیر و نحوهم».

قال السیوطی. «وهذا الکلام‌فیه نظر، یعرف مماسنذکره. واحسن من تکلم فی هذا النوع امام القراء فی زمانه شیخ شیوخنا ابوالخیر ابن الجزری» ـ ثم نقل کلامه بطوله وعقبه بمایلی: «قلت: اتقن الامام‌ابن الجزری هذا الفصل جداً...» (٣).

***

و قال «الامام الـرازی»: «اتفق الاکثرون علـی ان القراءات المشهورة منقولة بالنقل المتواتر. و فیه اشکال، و ذلک لانا نقول: هذه

١ـ النشر ج ١ ص ٩

٢ـ النشر ج١ ص ١٣

٣ـ الاتقان ج ١ص ٧٥ ـ ٧٧ النوع ٢٢ ـ ٢٧

القراءات المشهورة، اما ان تكون منقولة بالنقل المتواتر اولا تكون، فان كان الاول، فحينئذ قدثبت بالنقل المتواتر ان الله قدخير المكلفين بين هذه القراءات و سوى بينها في الجواز، و ان كان كذلك كان ترجيح بعضها على البعض واقعاً على خلاف الحكم الثابت بالتواتر، فوجب ان يكون الذاهبون الى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للتفسيق ان لم يلزمهم التكفير.

لكنا نرى ان كل واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة، و يحمل الناس عليها و يمنعهم عن غيرها، فوجب ان يلزم في حقهم ماذكرنا.

و اما ان قلنا: ان هذه القراءات ما ثبتت بالتواتر، بل بطريق الاحاد، فحينئذ يخرج القرآن عن كونه مفيداً للجزم والقطع واليقين، و ذلك باطل بالاجماع. ولقائل ان يجيب عنه فيقول: بعضها متواتر، ولاخلاف بين الامة فيه، و تجويز القراءة بكل واحدة منها، و بعضها من باب الاحاد، و كون بعض القراءات من باب الاحاد لايقتضي خروج القرآن بكليته عن كونه قطعياً، والله اعلم» (١).

قلت: قد اشتبه عليه تواتر القرآن بتواتر القراءات، و من ثم وقع في المأزق الاخير، و سنبين ان القرآن شيء والقراءات شيء آخر، فلا موقع للشق الاخير من الاشكال.

***

و قال «الحجة البلاغي»: «و ان القراءات السبع ـ فضلا عن العشر ـ انما هي في صورة بعض الكلمات، لابزيادة كلمة او نقصها، و مع ذلك ما هي الاروايات آحاد عن آحاد، لاتوجب اطمئناناً ولاوثوقاً، فضلا عن وهنها بالتعارض، و مخالفتها للرسم المتداول، المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة. و ان كلا من القراء و هو واحد ـ لم تثبت عدالته ولا وثاقته ـ يروى عن آحاد، و يروى عنه آحاد

١ـ التفسير الكبير ج ١ ص ٦٣

وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه، فكم اختلف حفص و شعبة في الرواية عن عاصم. و كذا قالون و ورش في الرواية عن نافع... وهكذا. مع ان أسانيد هذه القراءات الاحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح اهل السنة في الاسناد، فضلا عن الامامية، كما لا يخفى على من جاس خلال الديار.

فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة. هذا و كل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ماهو المرسوم المتداول بين المسلمين، و ربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة» (١).

***

و قال سيدنا الاستاذ «الامام الخوئي» ـ دام ظله ـ : «المعروف عند الشيعة الامامية انها غير متواترة، بل القراءات بين ماهو اجتهاد من القارىء، و بين ماهو منقول بخبر الواحد، و قد اختار هذا القول جماعة من المحققين من اهل السنة، و غير بعيد ان يكون هذا هو المشهور بينهم (٢) ـ ثم برهن على ذلك بما حاصله ـ :

١ـ ان استقراء حال القراء يورث القطع بأن القراءات نقلت الينا بأخبار الاحاد.

٢ـ و ان التأمل في الطرق التي اخذ القراء عنها يدل بالقطع على أنها انما نقلت اليهم بطريق الاحاد.

٣ـ و ان اتصال الاسانيد بهم انفسهم يقطع التواتر، حتى لو كان متحققاً في جميع الطبقات، فان كل قارىء انما ينقل قراءته بنفسه.

٤ـ و ان احتجاج كل قارىء على صحة قراءته و اعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على اسنادها الى اجتهادهم دون التواتر عن النبي صلى‌الله عليه وآله وسلم والا لم يحتج الى الاحتجاج.

٥ـ أضف الى ذلك انكار جملة من الاعلام على جملة من القراءات.

١ـ آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٠ الفصل الثالث من المقدمات

٢ـ البيان ص ١٣٧

ولوكانت متواترة لما صح هذا الانكار» (١).

و ذكر الشيخ «طاهر الجزائرى»: «انه لم يقع لاحد من الائمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات. و قد صرح بعضهم (٢) بأن التحقيق ان القراءات السبع متواترة عن الائمة السبعة، اما تواترها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ففيه نظر، فان اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات موجود فى الكتب، و هى نقل الواحد عن الواحد» (٣).

تحمسات عاطفية فارغة

تلك تصريحات ضافية من ائمة الفن قديماً و حديثاً، تنبؤك ـ بوضوح ـ عن واقعية ناصعة لامجال للتشكيك فيها، وسنعرضها على ادلة وافية باستجلاء الحقيقة اكثر.

و مع ذلك فقد تحمس البعض و بالغ فى الاشادة بشأن القراءات السبع، قائلا: من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر، فقوله كفر، لانه يؤدى الى عدم تواتر القرآن جملة... و يعزى هذا الرأى الى مفتى البلاد الا ندلسية ابى سعيد «فرج بن لب» وقد تحمس لرأيه كثيراً و ألف رسالة كبيرة فى تأييد مذهبه والرد على من رد عليه.

لكن دليله الذى استند اليه لا يسلم له، فان القول بتواتر القرآن لايستلزم القول بتواتر القراءات، للفرق الواضح بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصح ان يكون القرآن متواتراً فى غير القراءات السبع، او فى القدر المتفق عليه عند القراء جميعاً، او فى القدر الذى اتفق عدد منهم يؤمن تواطؤهم على الكذب، قراء كانوا ام غير قراء بينما لاتكون القراءات السبع متواترة، و ذلك فى القدر الذى اختلفوا

١ـ المصدر ص ١٦٥

٢ـ لعله يقصد الامام بدرالدين الزركشى فيما تقدم كلامه، راجع: البرهان ج ١ ص ٣١٨ ـ ٣١٩

٣ـ التبيان طبعة المنار ١٣٣٤، ص ١٠٥. والبيان ص ١٧٠

فيه (١). وسنوضح ذلك بتفصيل.

و هكذا بالغ «ابن‌السبکی» فی «جمع‌الجوامع» قال: «القراءات السبع متواترة تواتراً تاماً، ای نقلها عن النبی صلی‌الله علیه‌وآله‌وسلم جمع یمتنع‌عادة تواطؤهم علی‌الکذب لمثلهم وهلم جراً. ولایضر کون اسانید القراء آحاداً، اذ تخصیصها بجماعة لا یمنع مجیء القراءات عن غیرهم، بل هو الواقع، فقد تلقاهاـ عن اهل کل بلد بقراءة امامهمـ الجم الغفیر عن مثلهم، وهلم جراً» (٢).

ویناقش قوله هذا، بأنها لو تواترت جمیعاً لما اختلف القراء فی شیء منها. و ایضاً فان کلامه الاخیر ابان اشتباه قائله فی خلط التواتر عن النبی صلی‌الله علیه وآله بالتواتر عن القراء.

***

وللاستاذ «الزرقانی» ـهناـ اضطراب فی الاختیار بینما یختار اولا مذهب ابی شامة الانف، اذا هو یرجع عنه زاعماً اتساع افق اطلاعه اخیراً.

لکن فی کلامه اولا تحقیق، بینما رجوعه لا یعدو رجوعاً عن تحقیق الی تقلید فی تحمس عاطفی فارغ.

قالـ اولاـ : «ورأی ابی شامة هذا کنت اقول فی‌الطبعة الاولی: انه امثل الاراء فیما أری، و ذلك للامور التالیة:

انه یستند فی دعواه و فی دلیله الی الواقع، و ذلك: ان‌القراءات السبع وقع اختلاف بعضها حقیقة فی النطق بالفاظ الکلمات تارة، و بأداء تلك الالفاظ أخری، و من هنا کانت الدعوی مطابقة للواقع.

ثم ان دلیله یقوم علی الواقع ـ ایضاًـ فی ان بعض الروایات مضطربة فی نسبتها الی الائمة القراء، فبعضهم نفاها و بعضهم اثبتها، و ذلك امارة انتفاء التواتر، لان الاتفاق فی کل طبقة من الجماعة

١ـ راجع: مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٥

٢ـ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٦

الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب، لازم من لوازم التواتر، و قدا تنتفى هذا الاتفاق هنا، فينتفى التواتر، لما هو معلوم، من انـه كلما انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وايضاً، فان هذا الرأى صادرعناخصائى(۱) متمهر فىالقراءات و علوم القرآن، و هو «ابو شامة» و صاحب الدار ادرى بمافيها.

و اخيراً، فان هذا الرأى يتفق و ما هو مقرر لدى المحققين، من ان القراءات قد تتوفر فيها الاركان الثلاثة المذكورة فى ذلكالضابط المشهور و قد تنتفى هذه الاركان، كلا او بعضاً، لا فرق فى هذا بين القراءات السبع و غير السبع على نحو ما تقدم. كما يتفق ايضاً مع ما صرحوا به من تقسيم القراءات باعتبار السند الى ستة اقسام (۲).

ثم استدرك اختياره هذا برجوعه أخيراً، قال: لكنى بعد معاودة البحث والنظر، و اتساع افق اطلاعى فيما كتب اهل التحقيق فى هذا الشأن، تبين لى أن أبا شامة أخطأه الصواب، و اننى اخطأت فى مشايعته ـو جعل يرد على الوجوه المذكورة بمايلىـ:

قال: ان الغطاء قد انكشف عن ان القراءات السبع، بل القراءات العشر كلها متواترة فى الواقعـ (لم يبين عن النبى صلىالله عليه وآله ام عن القراء) ـ قال، وانالخلاف بينها لا ينفى عنها التواتر ـ (لمندر بماذاكشف هـذا الغطاء، ولـم يشرح كيف لايتنافـى الخـلاف مـع تواترها) ـ .

و قال: «اما ان اباشامة اخصائى متمهر، فسبحان من له العصمة. والكمال لله وحده. على ان الذى رد عليه و اخترنا رأيهـ و هو ابن الجزرىـ ايضاً اخصائىمتمهر، وكم ترك الاول للاخر. و اخيراً قال: و اما تقسيم القراءات الى ستة اقسام فهو يرجع الى مطلق القراءات، و كلامنا ـهناـ فى خصوص القراءات السبع (۳).

۱ـ هكذا فى عبارته، والصحيح : اختصاصى

۲ـ مناهل العرفان ج ۱ ص ۴۳۸ـ ۴۳۹

۳ـ مناهل العرفان ج ۱ ص ۴۳۹ ـ ۴۴۰

ولعله تابع القاضي البلقيني، في قوله: «فالمتواتـر: القراءات السبع». الذي شطب عليه تلميذه جلال‌الدين السيوطي، و قال: و هذا الكلام‌فيه نظر، واختارمذهب ابن‌الجزري بصحة‌التقسيم المذكور (١) و قد تقدم كلامه.

أما مذهب ابن الجزري في كتابه «منجد المقرئين» الذي اعجب الاستاذ الزرقاني، فقد عدل عنه في سائر كتبه التحقيقية، على عكس الاستاذ، فكان مذهبه في المنجد مسيطراً عليه جانب العاطفية اكثر من جانب تحقيق الواقع، لكن الحقيقة جذبته أخيراً الى اختيار مـا هو الحق، و يقتضيه التحقيق النزيه، قال: «و لقـد كنت ـ قبلـ (٢) اجنح الى هذا القول (اي القول بتواتر السبع) ثم‌ظهر فساده وموافقة ائمة السلف والخلف» (٣) و قد تقدم نقل كلامه بطوله.

بينما الامام ابن الجزري يعدل عن رأيه الاول، عدولا عن تحمس عاطفي الى لمس الواقعية، فان مقلده الاستاذ، يعدل عن تحقيق هداه اليه تقليده الاول، الى عصبية مضلة زعمها اتساع افق فكري، في حين انه تقليد اعمى صرف.

هذا و قد عرف ابن الجزري بابدال شرط التواتر الى شرط صحة السند فحسب ، قال في ارجوزته:

فكل ما وافـق وجه نحو   وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح اسناداً هو القرآن   فهـذه الثلاثـة الاركـان
وحيثما يختل ركن اثبت   شذوذه لوانه في السبعة (٤)

و اشتهر بهذا المذهب سلفاً و خلفاً، كمـا عرفت عن السيوطي و غيره، و حتى في كتب القراءات المتأخرة (٥).

١ـ راجع: الاتقان ج ١ ص ٧٥
٢ـ اشارة الى ماسجله في المنجد
٣ـ النشر ج ١ ص ١٣
٤ـ شرح طيبة النشر لاحمد بن محمد بن الجزري ص ٥ـ٦
٥ـ راجع: محمد سالم محيسن في المهذب ج ١ ص ٢٧

هفوة من عظيم:

المعروف من مذهب اهل البيت ـ عليهم السلام ـ : ان القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة كما في الحديث المتفق عليه عن الامام الصادق عليه السلام (١).

و على ذلك سار فقهاء الامامية خلفاً عن سلف، لم يشذ عنهم أحد لا قديماً ولا حديثاً. نعم أخذوا من القراءات المشهورة المتلقاة بالقبول لدى عامة المسلمين طريقاً الى القرآن الموحى الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا بجواز القراءة بما يتداوله القراء المعروفون، و بذلك صح احاديثهم المروية عن اهل البيت. و عملهم الذي ساروا عليه في الفقه والاستنباط.

قال الشيخ ابو جعفر الطوسي ـ قدس سره ـ : «ان العرف من مذهب أصحابنا والشائع من اخبارهم و رواياتهم: ان القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد، غير أنهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء» (٢) و قد عرفت ـ في الفصل المتقدم ـ كلام الحجة البلاغي، والامام الخوئي، و هكذا تجد كلمات علمائنا متفقة في ذلك في جميع مصنفاتهم الفقهية والكلامية و كتبهم في القرآن والتفسير.

هذا... و قد شذ كلام غريب من شيخنا الشهيد الثاني زين الدين الجبعي ـ قدس سره الشريف ـ ذكر في كتابه «المقاصد العلية في شرح الالفية»: «ان كلا من القراءات السبع، من عند الله تعالى، نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله تخفيفاً على الامة و تهوينا على اهل هذه الملة» (٣).

١ـ اصول الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ـ ج ٢ ص ٦٣٠ الحديث : ١٢ باب النوادر من كتاب «فضل القرآن».

٢ـ تفسير التبيان ج ١ ص ٧

٣ـ مفتاح الكرامة ـ كتاب الصلاة ـ ص ٣٩٢

و هذا الكلام من مثل هذا الرجل العظيم مستغرب جداً و لايقبل أى تأويل او حمل وجيه.

و اظنه قد فرط منه ذلك فى أوليات تآليفه من غير تحقيق ـ نظير ماكتبه ابن الجزرى فى منجده ثم رجع عنه فى سائر كتبه المتأخرة التحقيقيةـ و من ثم لانرى لذلك اثراً فى سائـر تآليفـه التحقيقية الضخمة التى كتبها متأخراً، كمسالك الافهام فى شرح شرايع الاسلام، والروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية، و غيرهما.

و قد رد عليه الوحيد البهبهانى ـ فى حاشية المدارك ـ قـائلا: «لا يخفى ان القراءة عندنا نزلت بحرف واحـد، من عند الـواحد، والاختلاف جاء من قبل الرواية ـ اشارة الى حديث الامام الصادق عليهالسلام الانف الذى تسلمه الاصحاب بالقبول ـ » (١).

و قال الشهيد الثانى ـايضاًـ : «ليس المراد بتواتر القراءات ان كل ماورد من هذه السبع متواتر، بل المراد: انحصار المتواتر الأن فيما نقل من هذه القراءات فان بعض ما نقل عن السبعة شاذ، فضلا عن غيرهم، كما حققه جماعة من اهل هذا الشأن».

قال سبطه «السيد محمد العاملى» ـبعد نقل ذلك عنهـ : «هذا مشكل جداً لكون المتواتر لا يشتبه بغيره».

قال السيد محمد الجواد العاملى: «و كـلام الشهيد الثانى هذا ـبظاهرهـ قد يخالف كلامه السابق، معانه ذكر الكلامين فى كتاب واحد، والجمع بينهما ممكن.» (٢).

قلت: ذلك دليل على ان كلامـه الاول صدر منه من غير تحقيق ولاالتفات ـعنجدـ الى فحواه، والا فكيف هذا التناقض؟! ولايخفى عدمامكان الجمع بينالكلامين، ولايين كلامه الاول وكلام سائرعلمائنا

١ـ جواهرالكلام ج ٩ ص ٢٩٤

٢ـ مفتاح الكرامة ـ كتاب الصلاةـ ص ٣٩٣

الاعلام. فالصحيح: انه من اوليات كتاباته فى الفقه، اذلم نجد له اثراً فى سائر تآليفه اطلاقاً.

اما موقع القراءات السبع المشهورات من القرآن الثابت الجائز قراءته فى الصلاة عندنا، فسنتكلم عنه في فصل قـادم عند مـا نعرض اختيارنا فى القراءة الصحيحة.



٢ـ أدلة في وجه زاعمي التواتر

*ـ مصطلح التواتر
*ـ أسانيد تشريفية
*ـ آحاد لاتواتر
*ـ انكارات على القراء
*ـ قراءات شاذة من السبعة
*ـ تعاليل و حجج اجتهادية
*ـ تناقض في القراءات
*ـ القرآن والقراءات شيئان
*ـ حديث السبعة والقراءات السبع
*ـ تلخيص البحث في سطور



مصطلح التواتر:

التواتر مصطلح فن «معرفة الحديث» حيث يقسم الـى متواتر و مشهور و مستفيض و آحاد، و صحيح و حسن و مرسل و ضعيف...

والحديث المتواتر: ما بلغ رجال اسناده في جميع الطبقات حداً فيالكثرة والانتشار، بحيث يؤمن ـ قطعياً ـ تواطؤهم علـى مصانعة الكذب. و من ثم يجب فيالحديث المتواتر توفر الشروط التالية:

١ـ اتصال الاسناد من الراوى الأخير الى مصدر الحديث الاول اتصالا تاماً.

٢ـ يبلغ عدد الرواة والناقلين حداً من الكثرة والانتشار فـوق الاستفاضة والاشتهار بما يؤمن تواطؤهم على الكذب.

٣ـ أن يحتفظ بنفس الحجم من كثرة النقلة فى كل دورو طبقة، فالكثرة تنقل عن الكثرة و هكذا الى المصدر الاول.

و عليه فلو تضاءل حجـم العدد فى طبقة من هذه الطبقـات او انتهت الى واحد ثم أخذ ايضاً في الانتشار والتضخم، فان هذا لايسمى متواتراً فى الاصطلاح، و يدخل في أخبار الاحاد.

و حديث «تواتر القراءات» ـ ان تسلمناهـ فمن النمط الاخير، انها متواترة عن القراء انفسهم، أما من قبلهم فالى طبقة الصحابة وعهد رسولالله صلىاللهعليهوآله فلاتعدو أخباراً آحاداً، لوكان هناك اسناد، والا فالامر أفضح. مما سيبدو من خلال بحوثنا التالية.

أسانيد تشريفية

اصطلح المؤلفون فيالقراءات على ذكر اسناد القراء، و لاسيما السبعة، متصلا الى رسولالله صلىالله عليه و آله و هذا شيء التزموه مهما استدعى تكلفا ظاهراً، فـى حين ان القـراء انفسهم لم يكـونوا يلتزمون بذلك فى غالب اختياراتهم، و انما يذكرون لها حججاً و

تعاليل، ذكرتها كتب القراءات بتفصيل.

والارجح ان الاسانيد المذكورة في بعض كتب القراءات- كالتيسير والتحبير والمكرر- أسانيد تشريفية، محاولة لنسبتها الى النبي صلى‌الله عليه وآله وسلم تفخيماً بشأن القراءة، و هي من شؤون القرآن الكريم. والا فادنى تمحيص بشأن هذه الاسانيد يكشف عن واقعية مفضوحة.

مثلا: نجد عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨)- اقرب القراء السبعة الى عهد الصحابة- لاسند له متصلا الى احد الصحابة الاختصاصيين بقراءة القرآن، فقد ذكر ابن الجزري في اسناده تسعة اقوال، و اخيراً يرجح أنه قرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي، و هذا قرأ على عثمان بن‌عفان، و عثمان قرأ على‌النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ثم ينقل عن بعضهم: انه لايدري على من قرأ ابن عامر؟ (١)

ثم نتساءل: من هذا المغيرة المخزومي الذي قرأ عليه ابن عامر؟ يقول الذهبي «وأحسبه كان يقرىء بدمشق في دولة معاوية، ولايكاد يعرف الا من قبل قراءة ابن عامر عليه!» (٢).

انظر الى هذا التهافت الباهت والدور الفاضح، يعزى اسناد قراءة ابن عامر الى شيخ مجهول لايعرف الا من قبله!؟

ثم من أين عرفوا أن المغيرة -هذا- قرأ على عثمان؟ و بأي سند اثبتوا هذه التلمذة المصطنعة؟ و متى تصدى عثمان لاقراء الناس؟ أفي زمان خلافته المضطرب، ام قبله؟ ومن‌الذي وصف عثمان بشيخ القراءة او الاقراء، سواء في حياة الرسول صلى‌الله عليه‌وآله ام بعد وفاته؟!

نعم هكذا اسناد مفضوح لايستدعي تحمساً او تعصباً اعمى، فضلا عن نعته بالتواتر المكذوب!

١- طبقات‌القراء ج ١ ص ٤٠٤

٢- معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٤٣

آحاد لاتواتر:

ثم علی فرض ثبوت اسناد بین القاریء و أحد الصحابة الاولین، فهو اسناد آحاد لایبلغ حدالتواتر، ولا یتوفر فیه شروطه أصلا.

هذا عبدالله بن کثیر ـ ثانی القراء قرباً الی عهد الصحابة ـ (ت ١٢٠) لم یذکروا فی رجاله سوی ثلاثة: عبدالله بن السائب، و مجاهد ابن جبیر، و درباس مولی ابن عباس.

و کذا عاصم بن ابی‌النجود ـ ثالث القراء قرباً ـ (ت ١٢٨) رجاله اثنان: ابو عبدالرحمان السلمی، و زربن حبیش.

و أبعد القراء ـ زماناً ـ بعهد الصحابة هو الکسائی (ت ١٨٩) ذکروا له ثلاثة رجال: حمزة بن حبیب، و عیسی بن عمر، و محمد بن ابی لیلی. و هل یثبت التواتر ـ فی هذا الطول من الزمان ـ بطرق ثلاثة او اثنین؟

نعم ذکروا لنافع خمسة رجال، ولحمزة سبعة، ولابی عمرو اثنی عشر، و ذلك ایضاً لا یثبت التواتر، لانها آحاد فی مصطلح الفن، کما لا یخفی.

هذا مع الغض عن الخدشة فی رجالات هذه الاسانید، ممن کان یعوزهم صلاحیة الاقراء، او لیس من شأنهم التصدی لاقراء الناس، مثلا ذکروا من شیوخ حمزة «الامام جعفر بن محمد الصادق علیه‌السلام» و ان مقام امامته الکبری لتشغله عن التصدی لهکذا امور صغیرة، کما لم‌نر أثراً من قراءة الامام علیه‌السلام فی قراءة حمزة و لاهو نسبها الی الامام علیه‌السلام.

ومن ثم قال ابوشامة: «و غایة ما یبدیه مدعی التواتر... انه متواتر الی ذلك الامام الذی نسبت القراءة الیه، بعد ان یجهد نفسه فی استواء الطرفین والواسطة، الا انه بقی علیه التواتر من ذلك الامام الی النبی صلی‌الله‌علیه وآله... و هنالك تسکب العبرات...» (١) قلت: بل ودون

١ـ المرشد الوجیز ص ١٧٨

اثباته خرط القتاد.

على ان مسارب الشك في صحة تلكم الطرق ملموسة، بعد ان لم يكن لها أثر في كتب الاوائل، و انما هوشيء صنع متأخراً ـ في القرن الثالث ـ يوم اصبحت القراءة والاحاطة بفنونها صنعة رائجة. و لم ينقل ـ بنقل صحيح ـ ان احداً من القراء أسند قراءته الى السماع او النقل المتواتر عن النبي صلى‌الله عليه‌وآله قط.

و شيء آخر: انه يجب في التواتر استواء الطرفين والواسطة في عدد الرجالات الناقلين، في حين ان النقل المتواتر المتأخر عن القاريء ينتهي اليه وحده. و هو الذي ينقل لنا انه سمعها متواتراً ـ فرضاً ـ عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله او احد الصحابة، و هنا ينقطع التواتر، لان الواسطة اصبح واحداً.

و من ثم قال سيدنا الاستاذ ـ دام‌ظله ـ: «اتصال اسانيد القراءات بالقراء انفسهم يقطع تواتر الاسانيد، حتى لوكان رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فان كل قاريء انما ينقل قراءته بنفسه» (١).

انكارات على القراء:

و اقوى دليل يرشدنا الى عدم اعتراف الائمة السلف بتواتر القراءات، تلك استنكاراتهم على قراءات كثير من القراء المشهورين، و حتى السبعة، و كيف يجرأ مسلم محافظ، ان ينكر قراءة يرى تواترها عن النبي صلى‌الله‌عليه وآله وسلم؟

هذا الامام احمدبن حنبل كان ينكر على حمزة كثيراً من قراءاته، و كان يكره ان يصلي خلف من يقرأ بقراءة حمزة، ياترى، اذا كانت قراءة حمزة ـ و هو من السبعة ـ متواترة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌و آله

---

١ ـ البيان ص ١٦٥

و ان النبی صلیالله علیهوآله هو الذی قرأها و نقلت الـی حمـزة متواترة قطعية، فما الذی يدعو الی كراهتها، أفهل يكره مسلم قراءة قرأها رسول‌الله ـ صلیالله عليه و آله ـ ؟!

و كان ابوبكر بن عياش يقول : قراءة حمزة عندنا بدعة. و قال ابن دريد: انی لاشتهی أن يخرج من‌الكوفة قراءة حمزة. و كان ابن المهدی يقول: لوكان لی سلطان علی من يقرأ قراءة حمزة، لاوجعت ظهره و بطنه. و كان يزيد بن هارون يكـره قراءة حمزة كـراهة شديدة (١).

وتقدم تلحين‌ائمة النحو والادب كثيراً من قراءات القراء الكبار، وقدأنكر المبرد قراءةحمزة: «و الارحام» ـ بالخفض ـ و«مصرخی» ـ بكسر الياء ـ و انكر مغاربة النحاة كابن عصفور، قراءة ابن عـامر: «قتل اولادهم شركائهم» ـ برفع «قتل» و نصب «اولادهم» و خفض «شركائهم» (٢) و خطأ الفارسی قراءة ابن عـامر: «ارجئه» (٣) و تقدم تفصيل ذلك (٤).

وهل يجرأ مسلم أن يخطیء اوينكر قراءة هی متواترةعن‌رسول‌الله صلیالله عليه و آله ؟! فان دل ذلك فانما يدل علی ان ما انكروه شیء منسوب الی نفس القراء، انكـاراً عليهم، لا انكـاراً لشیء ثبت عـن رسول‌الله صلیاللهعليه وآله قطعياً، تدلنا علی ذلك التعليلات الواردة فی هذه المناسبات تبريراً للانكارات المزبورة، فقد انكر ابوالعباس المبرد قراءة اهل المدينة: «هؤلاء بناتی‌هن‌اطهر لكم» (٥) قال: هو

١ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٢٧ ـ ٢٨

٢ـ البرهان ج ١ ص ٣١٩

٣ـ البحر المحيط ج ٤ ص ٣٦٠

٤ـ فی الفصل السابق ص ٣٦.

٥ـ سورة هود: ٧٨ بنصب «اطهر» و هی قراءة شاذة

لحن فاحش، و انما هی قراءة ابن مروان، ولم‌یکن له‌علم بالعربیة (۱) و امثال ذلك كثير.

و قد عقد ابن قتیبة باباً جمع فیه نماذج من غلط القراء المشهورين و فيهم من السبعة: حمزة و نافع. قال: و ما اقل من سلم من هذه الطبقة فی حرفه من‌الغلط والوهم (۲) کما جمع محمدعضیمة کثیراً من موارد خطأ النحاة فيها القراء، و نسبوهم الى قلة المعرفة و ضعف الدراية، و نقل عن ابن جنی: وصفه للقراء ـ بصورة عامة ـ فی کتابه «الخصائص» بضعف الدراية. و فی کتابه «المنصف» بالسهو والغلط، اذلیس لهم قیاس یرجعون اليه (۳). و غير ذلك مايطول.

و جاء فی المرشد الوجیز باب مما نسب الى القراء، و فيه انکارات من اهل اللغة و غيرهم. منها: الجمع بين الساكنين فی‌تاءات البزی. کان یشدد التاء فی اوائل الافعال المستقبلة فی حال الوصل، فی احد و ثلاثين موضعاً من القرآن، نحو: «ولا تيمموا الخبيث» (البقرة : ۲۶۷) (٤). و منها: ادغام ابی عمرو، کان یدغم اول‌حرفین مثلين اجتمعا من كلمتين، سواء سکن ما قبله او تحرك، فی جمیع القرآن، نحو: «شهر رمضان» (البقرة : ۱۸۵) و «ذات الشوكة تکون» (الانفال: ۷) (٥). و منها: قراءة حمزة: «فما اسطاعوا» (الكهف : ۹۷)ـ قرأ بتشديد الطاء. مدغما التاء فی الطاء، و جمع بين الساكنين و صلا (٦) و يعدد كثيراً من الامثلة خطأوهم فيها ونسبوهم

۱ـ المقتضب ج ٤ ص ۱۰۵
۲ـ تأويل مشكل القرآن ص ٦١
۳ـ دراسات لاسلوب القرآن ج ۱ ص ۳۲ فما بعد
٤ـ راجع: التيسير ص ۸۳
٥ـ راجع: التيسير ص ۲۰ و سیأتی فی ص ۷۳
٦ـ راجع: التيسير ص ١٤٦

الى الوهم و ضعف الدراية (١).

***

اضف الى ذلك انكارات العامة علـى كثير من قـراءات السبعة، و ربما كانوا يضطرونهم الى النزول وفق الرأى العام، مما يدل علـى ان اختيارهم الاول كان عن اجتهاد لاغير.

و قد تقدم حديث انكار اهل المدينة على الكسائى نبره فى قراءة الهمز جاء فى نهاية ابن الاثير، قال: ولما حج المهدى قدم الكسائى يصلى بالمدينة، فهمز فانكر عليه اهل المدينة، وقالوا: انه ينبر فـى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله بالقرآن.

والنبر : همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز فى كلامهـا، قـال رجل: «يا نبىء الله» فنهره النبى صلى الله عليه وآله و قال: «انا معشر قريش لا ننبر» و فى رواية : «لا تنبر باسمى» (٢).

قال ابن مجاهد: قال لى قنبل (احدراويى ابن كثير) : قال القواس فى سنة ٢٣٧: الق هذا الرجل (يعنى البزى، الراوى الاخر لابن كثير) فقل له: هذا الحرف ليس من قراءتنا، يعنى «وماهو بميت» (ابراهيم: ١٧) مخففاً. و انما يخفف من الميت من قدمات، و اما من لم يمت فهو مشدد. فلقيت البزى فأخبرته، فقال: قدرجعت عنه... (٣).

و لولا ان اختياره الاول كان عن اجتهاد، لما صح له الرجوع، و لما جاز الانكار عليه.

و ايضاً قال محمد بن صالح: سمعت رجلا يقول لابى عمـرو بن العلاء: كيف تقرأ «لا يعذب عذابه أحـد، و لا يوثق وثاقه أحـد»؟

١ــ فى المرشد الوجيز لابى شامة ص ١٧٤ فما بعد

٢ــ النهاية ج ٥ ص ٧

٣ــ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٥٢ عن منجد المقرئين لابن الجزرى

(الفجر : ٢٦) فقال : «لا يعذب» ـ بكسر الذال المشددة ـ . فقال له الرجل : كيف؟ و قدجاء عن النبى صلى‌الله عليه و آله و سلم «لايعذب» بالفتح ـ فقال ابو عمرو: لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبى صلى‌الله عليه و آله ما اخذته عنه، أو تدرى ما ذاك؟ لانى أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف ماجاءت به العامة (١).

انظر الى كلام ابى عمرو هنا، انه يعتمد فى قراءته على تسالم عامة المسلمين (وهو احدمقاييسنا فى اختيار القراءة الصحيحة فيما سيأتى) و يترك رواية الواحد الى جانب ولا يعبأ بها.

هذا... فى حين ان الفتح هى قراءة الكسائى من السبعة، و يعقوب من العشرة، والحسن من الاربعة (٢).

أفهل يعقل وجود رواية متواترة بلغت الكسائى و هو فى مؤخرة القرن الثانى ولم تبلغ ابا عمرو، و هو فى مقدمة هذا القرن؟!

***

و ذكر ابن الجزرى: ان من القراءات ما نقله ثقة، ولاوجه له فى العربية، و هذا لايقبل و ان وافق خط المصحف، و لايصدر مثل هذا الا على وجه السهو والغلط و عدم الضبط، و يعرفه الائمة المحققون و الحفاظ الضابطون، و هو قليل جداً، بل لايكاد يوجد.

و قد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن «نافع»: «معائش» بالهمز.

و ما رواه ابن بكار عن ايوب عن يحيى عن «ابن عامر»: «ادرى أقريب» بفتح الياء مع اثبات الهمز.

١ـ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٥٢ عن منجد المقرئين لابن الجزرى

٢ـ اتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٩

و مارواه ابو على العطار عن العباس عن «ابىعمرو»: «ساحران تظاهرا» بتشديد الظاء.

و ما ذكره بعض شراح الشاطبية فـى وقف «حمزة» على نحو: «اسمايهم» و «اوليك» بياء خالصة. و نحو: «شركاوهم» و «احباوه» بواو خالصة. و نحو: «بدأكم» و «أخاه» (١) بألف خالصة.

و نحو: «را» فى «رأى». و «ترا» فى «تراءى». و «اشمزت» فى «اشمأزت» و «فادارتم» فى «فادارأتم» بالحذف فى ذلك كلـه مما يسمونه «التخفيف الرسمى» ولايجوز فى وجه من وجوه العربية.

قال: فهذا وان كان منقولا عن ثقة، الا انه لايقبل اذ لاوجه له (٢).

قلت: و هو اقوى شاهد على ان ليس كل ما ثبت عن السبعة متواتراً عن النبى صلى‌الله عليه وآله و الا لما صح رده، ولوجب قبوله اطلاقاً.

قراءات شاذة من السبعة:

لدينا ـ مضافة الى ما سبق ـ قراءات من السبعـة رميت بالشذوذ، لمخالفتها القياس، او وقوعها موضع انكار عامة المسلمين، مما يدل على انها اختيارات اجتهادية رآها اصحابها خطأ اولقلـة المعرفـة بمقاييس الكلام الصحيح، و من ثم رفضها الائمة المحققون والحفاظ الضابطون، فاتسمت بالشذوذ. و منع الفقهاء من القراءة بها فى الصلاة او فى غيرها بسمة كونها قرآناً.

من ذلك: الجمع بين الساكنين فى تـاءات البزى صاحب قراءة ابن كثير من السبعة. كان يشدد التاء التى تكون فى اوائل الافعال المستقبلة فى حال الوصل فى احد و ثلاثين موضعاً من القرآن، نحو «ولا تيمموا الخبيث» (البقرة: ٢٦٧) (٣).

١ـ فى موضعين (الاعراف: ١١١ والشعراء: ٣٦) فانه حفف الهمزة المفتوحة فيهما الفاً

٢ـ النشر ج ١ ص ١٦ ــ ١٧

٣ـ الكشف ج ١ ص ٣١٤ و تقدم فى ص ٦٨

و من ذلك ايضاً: ادغام ابی عمرو اذا اجتمع مثلان، اما فی کلمة واحدة ففی‌موضعین، احدهما فی‌البقرة ـ ٢٠٠ـ «مناسککم» والثانی فی المدثر «ما سلککم». و اما اذاکانا في كلمتين فانـه كان يـدغم الاول فی الثانی سواء سکن ما قبله او تحرك فی جمیع القرآن، نحو قوله: «فیه هدی» «شهر رمضان» «ان یـأتی یوم» «لا ابرح حتی» «یشفع عنده» (١).

و قراءة حمزة : «فما اسطاعوا» (الکهف : ٩٧) حیث قلب التاء طاء و أسکنها فادغمها فی‌الطاء مع سکون السین ایضاً. و هی قراءة شاذة (٢).

و قراءة ابی عمرو: «بارئکم» (البقرة : ٥٤) بسکون الهمزة. و «یأمرکم» و «تأمرهم» و «یأمرهم» و «ینصرکم» و «یشعرکم» حیث وقع فی‌القرآن، کل ذلك‌باختلاس ضمة الراء، و هی قراءة شاذة (٣)

و قراءة ابن‌کثیر: «یابنی لاتشرك بالله» (لقمان : ١٣) بسکون الیاء (٤).

وقراءة قنبل ـ صاحب قراءة ابـن‌کثیرـ «سبأ» (النمل: ٢٢) بسکون الهمز (٥).

وقراءة حمـزة: «مکـرالسییء» (فاطر: ٤٣) باسکـان الهمز فی‌الوصل (٦).

وقراءة قنبل: «نرتعی» (یوسف: ١٢) باثبات الیاء بعدالعین (٧)

١ـ التیسیر للدانی ص، ٢٠ و تقدم فی ص ٦٨
٢ـ الکشف ج ٢ ص ٨٠
٣ـ النشر ج ٢ ص ٢١٢
٤ـ التیسیر ص ١٧٦
٥ـ التیسیر ص١٦٧
٦ـ التیسیر ص ١٨٢
٧ـ التیسیر ص ١٣١

وقراءته: «يتقي ويصبر» (يوسف: ۹۰) باثبات الياء بعد القاف (۱).

وقراءة هشام ـ صاحب قراءة ابـن عامرـ: «افئيدة من الناس» (ابراهيم : ۳۷) باثبات الياء بعد الهمزة (۲).

وقراءة نافع و ابن كثير و ابن عامر «ليكة» (الشعراء: ۱۷٦ و ص: ۱۳) بلام مفتوحة من غير همز بعدها و لا الف قبلها، و فتح التاء. وقرأ الباقون «الايكة» بالالف واللام مع الهمزة و خفض التاء (۳).

و قرأ قنبل: «سأقيها» (النمل: ۳٤) بهمـزة ساكنة بعد السين بدل الالف (٤).

وقرأ حمزة: «والارحام» (النساء : ۱) بالخفض (٥).

و قرأ ابن عامر: «كن فيكون» (البقرة: ۱۱۷ و آل عمران: ٤۷ والنحل: ٤۰ و مريم: ۳٥ و يس: ۸۲ و غافر: ٦۸) بالنصب. و تـابعه الكسائي في النحل ويس فقط (٦).

و قرأ حمزة ـ ايضاً ـ كمامر: «قتل اولادهم شركائهم» (الانعام: ۱۳۷) بالفصل بين المضافين (۷).

هذه و امثالها كثير يجدها الباحث في كتب القراءات (۸)، فكم

۱ـ التيسير ص ۱۳۱

۲ـ التيسير ص ۱۳٥

۳ـ الاتحاف ص ۳۳۳

٤ـ النشر ج ۲ ص ۳۳۸

٥ـ التيسير ص ۹۳

٦ـ التيسير ص ۷٦

۷ـ النشر ج ۲ ص ۲٦۳

۸ـ كالتيسير لابي عمرو الداني، والنشر لابن الجزري، راجع بالخصوص ج ۱ ص ۱۰. والكشف لمكي بن ابي طالب، و اتحاف فضلاء البشر للدمياطي. و امثالها. و راجع تصريح ابي شامة على شذوذ هذه القراءات في كتابـه المرشد الـوجيز ص ۱۷٤ ـ ۱۷٦.

للسبعة و رواتهم من شواذ خرجت عن ضابطة القراءة الصحيحة المقبولة، فكانت موضع انكار العلماء قاطبة، فلا يصح كونها قرآنا كما لاتجوز قراءتها في الصلاة.

تعاليل و حجج اجتهادية

ذكر ابو محمد مكى بن ابىطالب فى كتابه الكبير «الكشف عن وجوه القراءات السبع» حججاً و تعاليل لمختلف القراءات (١) بصورة مستوعبة، كان اعتمدها القراء فىاختياراتهم، كل حسباجتهاده الخاص و ملاحظته الخاصة من غير اعتبار نقل او سماع. نذكر منها نماذج:

١ـ قوله تعالى: «آيات للسائلين» (يوسف: ٧) قرأه ابن كثير بالتوحيد «آية للسائلين»، جعل شأن يوسف كله آية واحدة على الجملة، و ان كان فى التفصيل آيات كما قال: «و جعلنا ابن مريم و امه آية» (المؤمنون: ٥٠) فوحد، و ان كان شأنهما التفصيل.

و قرأ الباقونبالجمع، لاختلاف احواليوسف، ولانتقاله من حال الى حال ففى كل حالة جرت عليه آية، فجمع لذلك.

قال ابومحمد: و هو الاختيار، لان الجماعة عليه (٢).

٢ـ قوله تعالى: «فى غيابة الجب» (يوسف: ١٠) قرأ نافعوحده بالجمع «غيابات الجب» لان كل ماغاب عن النظر منالجب فهو غيابة. فقد القى فى غيابات منالجب. و قرأ الباقون بالتوحيد، لان يوسف لم يلق الافى غيابة واحدة.

٣ـ قوله تعالى: «يرتع و يلعب» (يوسف: ١٢) قرأ الكوفيون

١ـ و هكذا ابو على الفارسى فى كتابه المبسط «الحجة فى علل القراءات السبع» فى جزئين و غيره.

٢ـ الكشف ج ٢ ص ٥

و نافع بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون. و عن ابن كثير انــه قــرأ «نرتع» بالنون و «يلعب» بالياء. و كسر الحرميان العين من «يرتع» و اسكنها الباقون.

و حجة من قرأ بالياء انه اسند الفعل الى يوسف. وحسن الاخبار عنه باللعب لصغره. لانه مرفوع عنه فيه اللوم.

وحجة من قرأ بالنون انه حمله على الاخبار من اخوة يوسف عن انفسهم، اذ لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت واللعب بغير الباطل جائز.

وحجة ابن كثير ان «يلعب» مسند الى يوسف. و «نرتع» الى اخوته.

و حجة من قرأ باسكان العين انه جعله من «رتع يرتع» اذا رعى فاسكن العين للجزم جوابا للطلب في قوله: «ارسله معنا».

و حجة من كسر العين انه جعله من «رعى يرعى» فان لامه ياء فكان حذفها علامة للجزم (١).

٤ـ قوله تعالى: «المخلصين» قرأ نافع و اهل الكوفة بفتح اللام حيث وقع فيما فيه الف ولام، مبنياً للمفعول، لان الله أخلصهــم اى، اختارهم لعبادته، و قرأ الباقون بــكسر اللام مبنياً للفاعــل، لانهم هم اخلصوا انفسهم للعبادة.

قال ابومحمد: و فتح اللام أحب الى، لانهم لم يخلصوا انفسهم لعبادة الله الا من بعد ان اختارهم الله لذلك و اخلصهم (٢).

٥ـ قوله تعالى: «وزرع و نخيل صنوان و غير صنوان» (الرعد: ٤) قرأ حفص و ابن كثير و ابو عمرو بالرفع فــي الكلمات الاربع. عطفاً على «قطع» و قرأ الباقون بالخفض عطفا على «اعناب». فهو

١ـ الكشف ج ٢ ص ٥ ـ ٧

٢ـ الكشف ج ٢ ص ٩ ـ ١٠. والكلمة في سورة يوسف: ٢٤

اقرب اليه من «قطع» (١).

٦ـ قال ابوعلي: حجة من فتح الياء في مثل «و تدعونني الى النار» (غافر: ٤١) ان أصل هذه الياء الحركة، لانها بازاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء. و حجة من اسكن: ان الفتحة مع الياء قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركتان الاخريان فيها... (٢).

٧ـ قوله تعالى: «تنبت بالدهن» (المؤمنون: ٢٠) قرأ ابن كثير و ابوعمرو بضم التاء و كسر الباء. و قرأ الباقون بفتح التاء و ضم الباء.

قال ابو محمد: حجة من ضم التاء: انه جعله رباعياً، و جعل الباء في «بالدهن» زائدة، لكن دلت الباء على ملازمة الانبات للدهن، كما قال: «اقرأ باسم ربك»... و حجة من فتح التاء: انه جعله ثلاثياً، والباء في «بالدهن» للتعدية. قال: والاختيار الفتح، لان الجماعة عليه (٣).

تلك نماذج سبعة كافية للدلالة على مبلغ مداخلة الاجتهاد في اختيار القراءات و قلما نجد استنادهم الى سماع او نقل.

و تقدم حديث البزي فيرجوعه عن قراءة «ميت» مخففاً، لماتبين له انه مخطىء في الاختيار (٤) ولولا اعتماده على الاجتهاد لما صح له الرجوع.

تناقض في القراءات:

في القراءات المضبوطة عن أئمة القراء، السبعة و غيرهم، كثير

١ـ الكشف ج ٢ ص ١٩

٢ـ الحجة لابي علي، ج ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥

٣ـ الكشف ج ٢ ص ١٢٧

٤ـ راجع الصفحة : ٦٩

من مناقضات و مباينات بحيث لاتجتمع على معنى واحد، الأمر الذى يتنافى و نص الوحى الذى لا يحتمل اختلافاً أصلا، «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء : ٨٢) هذا هو المقياس لمعرفة وحى السماء ومن ثم لايصح اسناد هذا الاختلاف الى النبى صلى‌الله عليه و آله.

و من ثم استغرب الامام بدرالدين الزركشى توجيه هكذا قراءات بجعل القراءتين بمنزلة آيتين، اذفرض آيتين متناقضتين فى القرآن مستحيل اطلاقاً (١).

من ذلك: اختلافهم فى قراءة: «اولامستم النساء» (النساء: ٤٣) قرأ حمزة والكسائى: «اولمستم». والباقون: «اولامستم». و قد بنى الفقهاء نقض وضوء اللامس و عدمه على هذا الاختلاف(٢).

وكذلك اختلافهم فى جواز وطىء الحائض عند انقطاع الدم وعدمه قبل الاغتسال ينظرالى‌اختلاف قراءة: «حتى يطهرن» (البقرة: ٢٢٢) بالتشديد ـ هى قراءة حمزة والكسائى ـ او بـالتخفيفـ هى قراءة الباقين ـ (٣).

و من ذلك: قراءة الكسائى وابى‌جعفر : «ألا يسجد والله» (النمل: ٢٥) بتخفيف «ألا» ـ استفتاحية ـ فتدل على وجوب السجدة. و قرأ الباقون بالتشديد قال الفراء: فلاتدل على الوجوب (٤).

و من‌ذلك قراءة نافع وابن‌عامر وحفص والكسائى: «وارجلكم» (المائدة: ٦) منصوباً، عطفاً على «ايديكم» دليلا على وجوب الغسل. و قرأ الباقون بالخفض عطفاً على «رؤوسكم» دليلا على وجوب

١ـ راجع: البرهان ج ١ ص ٣٢٦

٢ـ المصدر. والقرطبى ج ٥ ص ٢٢٣. والكشف ج ١ ص ٣٩١

٣ـ القرطبى ج ٣ ص ٨٨. والكشف ج ١ ص ٢٩٣

٤ـ البرهان ج ١ ص ٣٢٦

المسح (١).

و من ذلك: «و ادكر بعدامة» (يوسف: ٤٥) اى بعد حين. او «بعدأمه» اى بعد نسيان. و كذلك: «ربنا باعديين اسفارنا» (سبأ: ١٩) فعلا ماضياً ليكون اخباراً عن ماض سبق، او فعل امر، ليكون طلبا لحصوله بعد ذلك. (٢).

و قوله: «اذتلقونه بألسنتكم» (النور: ٥١) بتشديد القاف المفتوحة، بمعنى تقبلونه. او «تلقونه» بكسر اللام و ضم القاف مخففة، من «ولق» اذاكذب (٣).

وقرأ نافع وابن‌عامر: «واتخذوا من مقام‌ابراهيم‌مصلى» (البقرة: ١٣٠) بفتح الخاء ماضياً اخباراً عما سبق. و قرأ الباقون بصيغة الامر، ايجاباً على هذه الامة (٤).

وقرأ الكسائي: «هل تستطيع ربك» (المائدة: ١١٢) بتاءالخطاب و نصب «ربك» بحذف مضاف اى سؤال ربك. و قرأ الباقون بالياء و رفع «ربك» فاعلا (٥) والقراءتان بظاهرهما: متنافيتان.

وقرأ ابن‌كثير: «كانما يصعد الى السماء» (الأنعام: ١٢٥)، بتخفيف الصاد والعين، و قرأ الباقون بالتشديد فيهما، وفى الاولى محاولة الصعود بلاتكلف، و فى الثانية تكلف فى الصعود، كأنه تكلف مالا يطيق شيئاً بعد شيء، و هما متنافيان (٦).

و قرأ ابن عامر: «زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم» (الانعام: ١٣٧) «زين» مبنياً للمفعول. و «قتل» مرفوعاً

١ــ الاتحاف ص ١٩٨. والكشف ج ١ ص ٤٠٦

٢ــ الاتحاف ص ٣٥٩

٣ــ راجع : المرشد الوجيز ص ١٨٠

٤ــ الكشف ج ١ ص ٢٦٣

٥ــ الكشف ج ١ ص ٤٢٢

٦ــ الكشف ج ١ ص ٤٥١

نائب فاعل. و «اولادهم» منصوباً مفعول المصدر المضاف «قتل» و «شركاؤهم» بالخفض مضافاً اليه للمصدر. و هی قراءة ضعيفة. للفصل بين المضافين، وهی لغة رديئة.

وقرأالباقون: «زين» مبنياً للفاعل: و «قتل» منصوباً مفعولا به مضافاً الى «اولادهم». و «شركاؤهم» مرفوعاً فاعل «زين» (١).

ففی القراءة الاولی يكون «شركاؤهم» فاعلا للقتل. و فی الثانية فاعلا للتزيين و يكون المشركون هم القاتلين. فكم بينهما من فرق؟

و قرأ الكوفيون: «قد كذبوا» (يوسف: ١١٠) بالتخفيف، ای ان المرسل اليهم ظنوا انهم قد كذبوا فيما اتتهم به الرسل. و قرأ الباقون بالتشديد، ای ظن الرسل ان قومهم قد كذبوهم. ولا يجتمع المعنيان (٢).

القرآن والقراءات حقيقتان متغائرتان:

قال القاضی ابوسعيد فرج بن لب الاندلسی ـ فيما تقدم كلامه ـ: «من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر، فقوله كفر، لانه يؤدی الى عدم تواتر القرآن» (٣).

هذا كلامه المبالغ فيه من غير ان يوافقه عليه أحد من المحققين، نظراً لعدم تلازم بين الامرين. و قد تقدم كلام الامام الزركشی: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هوالوحی المنزل على محمد صلى‌الله عليه و آله والقراءات هی اختلاف الفاظ الوحی المذكور فی كتبة الحروف او كيفيتها» (٤).

١ـ الكشف ج ٢ ص ٤٥٣

٢ـ الكشف ج ٢ ص ١٥

٣ـ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣٥

٤ـ البرهان ج١ ص ٣١٨

ولم يشك احد من المسلمين في تواتر القرآن، في حين انه لم يلتزم بتواتر القراءات سوى القليل. و تقدم كلام ائمة الفن في ذلك.

قال الشيخ الزرقاني: «الدليل الذي اعتمد ابوسعيد لايسلم له... للفرق بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصح ان يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع اوفي القدر الذي اتفق عليه القراء، اوفي القدر الذي اتفق عليه عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب، قراء كانوا امغير قراء، بينما تكون القراءات السبع غير متواترة...»

قال سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ دام ظله ـ: «ان تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لان الاختلاف في كيفية تعبير الكلمة لاينافي الاتفاق على اصلها، كما ان الاختلاف في خصوصيات حدث تاريخي ـ كالهجرة مثلا ـ لاينافي تواتر نفس الحدث، على ان الواصل الينا بتوسط القراء انما هو خصوصيات قراءاتهم، و اما اصل القرآن فهو واصل الينا بالتواتر بين المسلمين، و بنقل الخلف عن السلف، و تحفظهم عليه في الصدور و في الكتابات، ولادخل للقراء ـ بخصوصهم ـ في ذلك اصلا. و لذلك فان القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا ان هؤلاء القراء السبعة او العشرة لم يكونوا في عالم الوجود اصلا.

ان عظمة القرآن و رفعة مقامه اعلى من ان تتوقف على نقل اولئك النفر المحصورين» (۱).

و في كلام سيدنا الاستاذ ـ اخيراً ـ الحجة القاطعة على اولئك الذين يرون تواتر القرآن من زاوية القراءات السبع فحسب، فيقصرون النص القرآني ـ الذي هو كتاب المسلمين قاطبة ـ في اطار هؤلاء النفر النزر اليسير، فيالها من نظرة قاصرة و قصيرة المدى.

لاشك ان القرآن ـ وهو نص الوحي الالهي الحكيم ـ متواتر بين

۱ـ البيان ص ۱۷۳

المسلمين تواتراً قطعياً، فی جمیع سوره و آیه و کلماته، کلمة کلمة، بحيث لو ابدلنا كلمة من القرآن، او ابدلنا من مكانها الـى آخـر، لاستنكرها المسلمون، و وجدوها شيئاً غـريباً عن اسلـوب كلام‌الله العزيز الحميد.

و من ثم فان القراءات التی كانت لا توافق نص المصحف، كانت مستنكرة لدى المسلمين، العامة والعلماء، و عدوها شاذة منبوذة، و قد تقدم فی الفصل السابق انكار جماعة من كبار العلماء على قراء قرأوا خارج المتعارف، و كذا انكارات من عامة المسلمين على قراءمعروفين كبار. كما لم‌يجز الفقهاء القراءة بها فی الصلاة ولا اعتبروها قرآنا من كلام الله المجيد.

وستأتی ـ فی فصل اختيار القراءة الصحيحةـ شروط التعرف‌الى القرآن المتواتر، المتسالم لدى عامة المسلمين.

***

بقی هنا اعتراض: ان القراءات اذالم تكن متواترة جميعاً فـان القرآن يصبح فی بعض آيهـ و هو الذی اختلفت القراءة فيهـ غير متواتر، كما فی «مالك» و «ملك»و قد قریء بالوجهين، فايهما النص؟

و قد استدل ابن‌الحاجبـ فی‌مختصراصولهـ بذلك لاثبات تواتر القراءات السبع (١). قال: والافيلزم ان يكون بعض القـرآن غير متواتر. اذلو اختلف القراء فی كلمة، كما فی‌مثل «غيابة» او «غيابات»، و مثل «آية» او «آيات»، و «ملك» او «مالك» و نحو ذلك مماقریء بوجهين او باكثر، فان التزمنا بتواتر القراءات جميعاً فهو، والافأی

١ـ نقلا عن البيان ص ١٧٤

القرائتين تكون قرآنا لتكون الاخرى غير قرآن، و اذاترددنا فى ذلك فان معناه الترديد فىالنص الاصلى، و هذا لا يلتئم والقولبتواتر النص القرآني.

والجواب: ان النص الاصلى هو ما ثبت في المصحف الكـريم، والذى اجمعت الامة عليه نصاً واحداً. و انما جاء الاختلاف في كيفية قرائته و في اسلوب تعبيره، الامر الذي لا يتنافى و ثبوت تواترالاصل، كما في كثير من اشعار الشعراء القدامى، حيث اصل البيت او القصيدة ثابتة لـه بالتواتر و ان كان الـرواة مختلفين فـي بعض الكـلمات او الحركات.

و يزيدنا وضوحاً ما قدمناه سابقاً: ان اختلاف القراء كان عـن اجتهاد منهم في تحقيق الكلمة تعبيراً، في حين وحـدة النص الثابت في المصحف، و ذلك لان اختلافهم جاء من قبل عراء المصحف الاول عن أى علامة مائزة، و عن الاشكال والنقط، بل و عن الالفات، وربما زيادات خارجة عناسلوب الخطالصحيح، لمكان جهل العرب الاوائل باصول الكتابة المتقنة.

فقد كتبوا «ملك» بميم ولام وكاف. ولكن بما ان عادتهم كانت على حذف الالفات جرياً مع مرسوم خط السريان، و من ثـم اجتهد بعض القراء زاعماً ان الكلمة مرسومة على نفس النمط، فقرأها «مالك» بالالف، مستنداً في ذلك الى تعاليل و حجج تؤيد اختياره. فقد قرأ عاصم والكسائى بالالف محتجين بقوله تعالى «قل اللهم مالكالملك» (آلعمران: ٢٦) و ادلة اخرى سردها ابو محمد بتفصيل (١).

١ــراجع: الكشف فى القراءات السبع ج ١ ص ٢٥ ــ ٢٦

و قرأ الباقون «ملك» بلا الف، جرياً مع ظاهر الرسم، محتجين بقوله تعالى «الملك القدوس» (الحشر: ٢٣) و ادلة اخرى.

و هكذا كلمة : «غيابة الجب» (يوسف : ١٠) كانت مرسومة هكذا «غيبت الجب» قرأها نافع بالالف جمعاً، زاعماً انها مرسومة محذوفة الالف فى كلا الموضعين بعد الياء و بعد الباء. فقرأها «غيابات». و عللها بان كل ماغاب عن النظر منالجب غيابة. و قرأ الباقون مفرداً «غيابة» على ظاهر الخط، معللين بان يوسف لم يلق الا فى غيابة واحدة (١).

كما ان «آيات للسائلين» (يوسف: ٧) كانت مكتوبة «آيت» بلا الف، و من ثم قرأها ابن كثير بالتوحيد جرياً معظاهرالخط محتجاً بأن شأن يوسف كله آية واحدة. كما فى قوله «وجعلنا ابن مريم و امه آية» (المؤمنون : ٥٠). و قرأ الباقون «آيات» اعتماداً على ان الالف محذوفة ولانتقال يوسف من حال الى حال، ففى كل حال جرت عليه آية (٢).

اذن فليس اختلاف القراءة بالذى يضر بوحدة النص الاصل، الثابت فى المصحف الاول، مما تسالمت عليه الامة عبر التاريخ.

و قد اخرج ابن اشتة فى كتاب «المصاحف». و ابن ابى شيبة فى «فضائل القرآن». من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني، قال: «القراءة التى عرضت على النبى صلىالله عليه و آله فى العام الذى قبض فيه، هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم» (٣).

و الى ذلك ـ ايضاًـ أشار الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال: «القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء منقبل

١ـ الكشف ج ٢ ص ٥

٢ـ الكشف ج ٢ ص ٥

٣ـ الاتقان ج ١ ص ٥٠

الرواة» (١).

***

ولك أن تسأل: اذا اختلفت القراءة في نص واحد، فمن أين يعرف النص الاصل؟ بعد احتمال الخط لكلتا القراءتين.

قلنا: سنشرح ـ في فصل قادم ـ شروط اختيار القراءة الصحيحة، الموافقة للنص الاصل، وهي: القراءة المشهورة، المعروفة بين الناس، و تلقتها الامة بالقبول في جميع ادوارها. و من ثم فان القراءات التي كانت تخرج عن محدودة العرف العام، كانت تقع موضع انكارهم، و تقدمت أمثلة على ذلك (٢).

***

وسؤال آخر: هل لا يقدح اختلاف مصاحف الامصار الاولية ـ على ما شرحنا في الجزء الاول ـ في تواتر النص الاصل الواحد؟

قلت: كلا، فان الثبت الاصل ـ ايضاً ـ من بين تلكم المصاحف، هو ما اجمعت عليه الامة و وقع موضع اتفاقهم، وشاع وذاع عبر التاريخ و كان ثبت غيره في سائر المصاحف مهجوراً، و من ثم فهو شاذ منبوذ.

مثلا: اختلف مصحف الشام مع مصحف الكوفة، فكان ثبت الشام: «و أوصى بها ابراهيم» (البقرة: ١٣٢) و كان ثبت الكوفة: «ووصى». لكن الامة اعترفت بالثاني و نبذت الاول. و هو دليل قاطع على ان الصحيح هو ذاك دون الاخر. و من ثم لاتجوز القراءة وفق المأثور عن مصحف الشام في خصوص هذه الاية.

١ـ الكافي ج ٢ ص ٦٣١

٢ـ صفحة: ٧١

و جاء في مصحف المدينة والشام: «سارعوا» بلا واو (آل‌عمران: ۱۳۳) و في مصحف الكوفة والبصرة: «وسارعوا». و وقع اجماع الامة على الثاني.

وجاء في مصحف المدينة والشام: «قال الملاء» بلاواو (الانعام: ۳۲). و في مصحف العراقين: «و قال الملاء». ولكن وقع اجماع الامة على الاول.

وجاء في مصحف المدينة والشام: «هو الذى ينشركم» (يونس: ۲۲) و في مصحف العراقين: «هو الذى يسيركم» والاجماع على الثاني. و هكذا... (۱)

والخلاصة : ان طريقنا الى معرفة النص الاصل، هو اجماع الامة في مختلف عصورها و على تباين نزعاتها، لكنها اتفقت على كتابها الكريم، كلام‌الله العزيز الحميد، فاحتفظت بنصه الاصل متغلبة على كافة عوامل الاختلاف في هذا المجال. و ما هى الامعجزة قرآنية باهرة: «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» (الحجر: ۹) اى بين اظهركم لافى اللوح المحفوظ. فلم يزل و لايزال هذا الكتاب الالهى الخالد يشق طريقه الى الامام، مع الابدية بسلام.

الاحرف السبعة والقراءات السبع :

لم نجد من علماء الفن من يرى أى صلة بين حديث «انزل القرآن على سبعة احرف» و «القراءات السبع» المعروفة، نعم سوى تداوله على ألسنة العوام و غوغاء الناس، لاعن مستند معروف، و قد رد على هذه المزعومة الشائعة كثير من الائمة النقاد، كابن الجزرى و ابى شامة والزركشي و ابى محمد مكى و ابن تيمية و اضرابهم. و نسب ابن

۱ــ راجع: الجزء الاول ص ۳۵۳

الجزرى هذا الوهم الى الجهلة العوام و من لاعلم لــه من الغوغاء الطغام (١).

قال ابو محمد مكى: «فاما من ظن ان قراءة كل واحد من هؤلاء القراء احد الاحــرف السبعة التى نص النبى صلى‌الله عليه وآله عليه، فذلك منه غلط عظيم. اذ يجب ان يكون مالم يقــرأ به هؤلاء السبعة متروكاً، اذ قد استولوا على الاحرف السبعة التى عند النبى صلى‌الله عليه وآله فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده» (٢).

وقال ابو شامة: «ظن قوم ان القراءات السبع الموجودة الان هى التى اريدت فى الحديث، و هو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة، و انما يظن ذلك بعض اهل الجهل» (٣).

قال: «وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له باصول هذا العلم ان قراءة هؤلاء الائمة السبعة هى التى عبر عنها النبى صلى‌الله عليه و آله بقوله: «انزل القرآن على سبعة احرف» فقراءة كل واحد من هؤلاء حــرف من تلك الاحرف. و لقد اخطأ من نسب هذا الى ابن مجاهد» (٤).

و قال ابن تيمية: «لانزاع بين العلماء المعتبرين أن الاحرف‌السبعة التى ذكرها النبى صلى‌الله عليه و آله ان القرآن انزل عليها، ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل اول من جمع ذلك ابن مجاهد، ليكون ذلك موافقاً لعدد الاحرف التى انزل عليها القرآن، لالاعتقاده واعتقاد غيره من‌العلماء: ان‌القراءات السبع‌هى‌الحروف‌السبعة، او ان هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم» (٥).

١ــ تحبير التيسير ص ١٠

٢ــ كتاب «الابانة» له ص ٣. و فى المرشد الوجيز ص ١٥١

٣ــ الاتقان ج ١ ص ٨٠

٤ــ المرشد الوجيز ص ١٤٦

٥ــ فى فتوى له سجلها ابن الجزرى فى النشر ج ١ ص ٣٩

و يزيد هذا الوهم شناعة : انه يستدعى ان تبقى الاحـرف السبعة التى اجاز النبى صلىالله عليهوآله قراءتها ــ فى المفروض ــ قـابعة فى زاوية الخمول مجهولـة، حتى ينبـغ من القراء هـؤلاء السبعة بالخصوص فى عصور متأخرة تدريجياً، ثم تبقى الاحرف السبعة التى اجازها النبى ــ صلىالله عليه وآلـه وسلم ــ لجميع الامة فىاحتكار سبعة من القراء فقط.

فىحين وجود قراء، هماكبر من هؤلاء السبعة قدراً و اعظم شأناً، فلم تسعهم الاحرف السبعة، و كأن النبى صلىالله عليهوآله أوصى الى ابن مجاهد الذى جاء فى مطلع القرن الرابع، ليخصص هؤلاء السبعة فقط بتلك الاحرف و يحرم الاخرين، سواء السابقين واللاحقين..!

قال أبو محمد الهروى: «ولايتوهم انصراف حديث السبعة الى قراءة سبعة منالقراء يولدون فى عصر متأخر بسنين، لانه يؤدى الى ان يكون الخبر متعرياً عن فائدة الى ان يحدثوا، ويؤدى الـى انـه لايجوز لاحد من الصحابة أن يقرأوا الا بما علموا ان السبعة منالقراء يختارونه. قال: و انما ذكرناه، لان قوماً من العامة يتعلقون به» (١).

و بهذه المناسبة، رأينا منالافضل تخصيص الفصل التالى للتكلم عن حديث «انزل القرآن على سبعة احرف»، استيضاحاً لجانب مدلوله، الذى يبدو مجملا قدبلغت الاحتمالات فيه اربعين وجهاً. أما منناحية السند فلم يثبت عندنا.

تلخيص البحث :

و تلخص من مجموع بحوثنا المتقدمة : ان اثبات تواتر القراءات

١ــ فى كتابه «الكافى». راجع: البرهان ج ١ ص ٣٣٠

عن النبى صلى‌اللّٰه‌عليه وآله شيء يبدو مستحيلا:

*ـ **اولا: لا دليل على ذلك**، و دون اثباته تسكب العبرات على حد تعبير **ابى شامة (١)**.

*ـ وثانياً: ان لاختلاف القراءات عوامل ذاتية ـ شرحناها فى فصل سابق ـ كانت هى السبب لنشوء الخلاف بين القراء.

*ـ وثالثاً: ان أسانيد القراء الى النبى صلى‌اللّٰه‌عليه‌وآله أسانيد آحاد موجودة فى كتب القراءات ولم‌يكن شيء منها متواتراً حسب المصطلح.

هذا فضلا عن الشك فى اكثرية هذه الاسانيد التى يبدو عليها اثر الوضع والاختلاق، ولعلها أسانيد تشريفية مصطنعة من غير ان يكون لها واقع.

*ـ و رابعاً: انكارات علماء الامة و زعماء الملة على قراءات كثير من القراء المرموقين، لدليل على أنها ليست متواتـرة عندهم، والا فكيف يجرأ مسلم ان يرد قراءة هى متواترة عن النبى‌صلى‌اللّٰه‌عليه‌وآله؟

*ـ و خامساً: وجود قراءات شاذة عن السبعة ينفى تواتر قراءاتهم فرداًفرداً.

*ـ وسادساً: استناد القراء الى حجج و تعاليل اعتبارية نظـرية، لدليل على ان اختياراتهم كانت اجتهادات والافلو ثبتت قـراءاتهم بالتواتر لم‌يكن حاجة الى تعليل اعتبارى.

*ـ وسابعاً: وجود التناقض بين القراءات ينفى تواترها عن النبى صلى‌اللّٰه عليه‌وآله اذ نص الوحى لا يحتمل اختلافاً.

*ـ و ثامناً: لاملازمة بين مسألة «تواتر القرآن» المعترف بها لدى الجميع. و بين مسألة «تواتر القراءات» التى لم يلهج بهاسوى المقلدة الرعاع.

١ـ المرشد الوجيز ص ١٧٨

*ـ و تاسعاً: لا علاقة بين «حديث نزل القرآن على سبعة احرف» و قراءة القراء السبعة و انما هى شبهة وقع فيها بعض العوام الاغبياء ـ على حد تعبير الامام ابى الفضل الرازى ـ (١). والحمدلله اولا واخيراً

واليك الان البحث عن حديث الاحرف السبعة: ـ

١ـ راجع: النشر ج ١ ص ٤٣

حديث
الأحرف السبعة

١ـ الحديث فى روايات اهل‌البيت ـ ع ـ

٢ـ الحديث فى روايات اهل‌السنة.

٣ـ مناقشة اجمالية فى مدلول الحديث.

٤ـ اختيار تفسير «الاحرف» باللهجات.

٥ـ انواع اختلاف القراءات.

١ـ روى ابوجعفر الصدوق بسند فيه (محمدبن‌يحيى الصيرفى) ـ و هو مجهول ـ عن حماد بن عثمان عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام قال: «ان القرآن نزل على سبعة احرف، و أدنى ما للامام ان يفتى على سبعة وجوه» (١).

و فسر العلماء الاحرف فى هذا الحديث بمعنى البطون، اى كل آية تحتمل وجوهاً من المعنى، و ان كانت ربما تخفى على العامة، لكن الامام المعصوم عليه‌السلام يعرفها، فيفتى عليها.

٢ـ و روى ـ ايضاً ـ بسند آخر، فيه (احمد بن هلال) ـ وهو غال متهم فى دينه ـ عن عيسى بن عبدالله الهاشمى عن ابيه عن آبائه، قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله «أتانى آت من‌الله فقال ان‌الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت يارب، وسع على‌امتى، فقال ان‌الله يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة احرف» (٢).

و الاحرف فى‌هذا الحديث هى اللهجات العربية المختلفة، كما يأتى فى‌أحاديث اهل‌السنة بنفس المضمون، مراداً بها نفس المعنى. فقد وسع الله على هذه الامة أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة على ما سنذكر.

١ـ الخصال ابواب السبعة ج ٢ ص ٣٥٨ رقم ٤٣

٢ـ المصدر رقم ٤٤

٣ــ و روى محمد بن الحسن الصفار، بسند فيه ترديد، (هكذا: عن ابن ابى عمير او غيره) عن جميل بن دراج عن زرارة عن الامام ابى جعفر الباقر عليه‌السلام قال: «تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، و منه مالم يكن بعد، ذلك تعرفه الائمة» (١).

و هذا الحديث كالحديث الاول، مراداً بالاحرف هى الوجـوه التى تحتملها الاية الواحدة، المعبر عنها بالبطون فى سائر الاحاديث.

٤ــ و روى ابو عبدالله محمد بن ابراهيم النعمانى ــ مرسلا ــ عن الامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: «انزل القرآن على سبعة اقسام، كل منها شاف كاف. و هى: امر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و قصص...» (٢).

هذا الحديث تفسير للاحرف السبعة بفنون من الكـلام اشتمل عليها القرآن الكريم. كما جاء التصريح به ايضاً فى حديث ابن مسعود و ابى قلابة الاتى.

قـال المحدث الفيض الكـاشانى: «والتوفيـق بين ــ هذه ــ الروايات ان يقال: ان للقرآن سبعة أقسام من الايات، و سبعة بطون ــ من المعانى ــ لكل آية. ونزل على سبع لغات ــ اى لهجات ــ» (٣).

تلك احاديث «انزل القرآن على سبعة احرف» مروية عن أئمة اهل البيت ــ عليهم السلام ــ لكن بأسانيد لـم تثبت وثاقتها، كمانبه عليه سيدنا الاستاذ، و من قبله شيخه الحجة البلاغى، و غيرهما.

***

١ــ بصائر الدرجات ص ١٩٦

٢ــ رسالة النعمانى، فى صنوف آى القرآن، و نسبت ــ ايضاً ــ الى سعد بن عبدالله الاشعرى، والشريف المرتضى. راجع: بحار الانوار ج ٩٣ ص ٤ و ص ٩٧

٣ــ تفسير الصافى ــ المقدمة الثامنة ــ ج ١ ص ٤٠

و امامن طرق الجماعة فأحسن من جمع مختلف احاديثها هو الامام شهاب الدين ابوشامة المقدسي. ذكرها في الباب الثالث من كتابه «المرشد الوجيز».

قال: الفصل الاول في سرد الاحاديث في ذلك:

١ـ ففي الصحيحين عن ابن شهاب قال: حدثني عبيدالله بن عبدالله، ان عبدالله بن عباس حدثه ان رسول‌الله ـ صلى‌الله‌عليه وآله ـ قال: «أقرأني جبرئيل عليه‌السلام على حرف واحد، فراجعته فلم ازل استزيده و يزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف» (١).

٢ـ و فيهما عن ابن شهاب ـ ايضاً ـ ان عمر سمع هشام بن الحكم يقرأ في صلاته على حروف لم يكن يعرفها، فأتى به الى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله فقال: «كذلك انزلت، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف، فاقرأوا ما تيسر منه» (٢).

٣ـ و عن ابي بن كعب، قال: كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة انكرتها فدخلنا جميعاً على رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله و دخل ثالث، فقرأ كل واحد منا غير قراءة صاحبه، فجعل النبي صلى‌الله عليه‌وآله يحسن الجميع، فدخلني من ذلك شك، و لما رأى النبي صلى‌الله عليه وآله ماقد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً (٣) فقال: «يا ابي، ان ربي ارسل الى ان اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هون على امتي، فرد الى الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت اليه، فرد الى الثالثة: اقرأه على سبعة احرف» (٤).

٤ـ و عن ابي بن كعب ـ ايضاً ـ قال: قال رسول‌الله صلى‌الله

١ـ هذا الحديث رواه البخاري ج ٦ ص ٢٢٧. و مسلم ج ٢ ص ٢٠٢

٢ـ البخاري ج ٦ ص ٢٢٨، و مسلم ج ٢ ص ٢٠٢

٣ـ و في رواية: فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف رسول‌الله ـ ص ـ ذلك في وجهي فضرب في صدري... تفسير الطبري ج ١ ص ١٤

٤ـ مسلم ج ٢ ص ٢٠٣. و مسند احمد ج ٥ ص ١٢٧

عليه‌وآله: «يا ابى انى اقرئت القرآن على حــرف و حرفين و ثلاث حتى بلغت سبعة احرف». ثم قال: «ليس منها الاشاف كاف، ان قلت سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، مالم تختم آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب» (١).

٥ــ و عنه ــ ايضاً ــ : ان رســول‌الله صلى‌الله عليه وآلــه لقــى جبرئيل، فقال له: «انى بعثت الى امة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل‌الذى لم‌يقرأ كتاباً قط. قال: يامحمد، ان القرآن انزل على سبعة احرف» (٢).

٦ــ وعن ابى‌جهيم الأنصارى: ان رجلين اختلفا فى‌آية من‌القرآن، فمشيا الى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله فقال: «ان هذا القرآن نــزل على سبعة احرف فلاتماروا فيه فان مراء فى‌القرآن كفر» (٣).

٧ــ وعن ابى هريرة، قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله: «نزل القرآن على سبعة أحرف، عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً» (٤).

٨ــ وعن عبدالله بن مسعود، قال : قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: «انزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر و بطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع» (٥).

٩ــ وعنه ــ ايضاً ــ قال : قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله: «انزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء فيه كفر ــ ثلاث مرات ــ فما عرفتم منه فاعملوا به و ما جهلتم فردوه الى عالمه» (٦).

١٠ــ و عن زيد بن ارقم، قال: جاء رجل الى رسول‌الله صلى‌الله

١ــ سنن ابى داود ج ٢ ص ١٠٢

٢ــ الترمذى ج ٥ ص ١٩٤ رقم ٢٩٤٤

٣ــ البيهقى فى شعب الايمان ج ١ ص ٣٧٢ ظ . و مسند احمد ج ٤ ص ١٦٩

٤ــ المصنف ج ٢ ص ٦١

٥ــ تفسير الطبرى ج ١ ص ٩

٦ــ نفس المصدر

عليه وآله ـ فقال: أقرأني عبدالله بن مسعود و زيـد و ابى فاختلفت قراءتهم، بقراءة أيهم آخذ؟ قال: فسكت رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله، قال: و على عليه‌السلام الى جنبه، فقال على: «ليقرأ كل انسان كما علم، كل حسن جميل» (١) و فى حديث عبدالله: أن رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله أسر الى على عليه‌السلام فقال على: «ان رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله يأمركم ان يقرأ كل رجل منكم كما علم». فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه. قال الحـاكم: هذا حـديث صحيح الاسناد (٢).

١١ـ و روى عن ابن مسعود عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله أنه قال: «كان الكتاب الاول نزل من باب واحد، و على حرف واحد. و نزل القرآن من سبعة ابواب و على سبعة احرف زجـر، و أمر، و حـلال، و حرام و محكم، و متشابه، و امثال...» (٣).

١٢ـ و عن ابى‌قلابة، قال: بلغنى ان النبى صلى‌الله عليه وآله قال: «انزل القرآن على سبعة أحرف: امر، و زجر، وترغيب، و ترهيب، و جدل، و قصص، و مثل» (٤). .

تلك جل أحاديث الجماعة، ادعوا تواترها (٥) لكنها مختلفة المدلول بما لايلتئم و مصطلح التواتر، الذى عمدته وحدة المضمون فى‌الجميع، و من ثم فان الاحاديث المذكورة تنقسم الى اربع طوائف:

الاولـى، تعنى: اختلاف اللهجـات فى التعبير والاداء. وهى الاحاديث رقم: ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ١٠.

الثانية، تعنى: جواز تبديل الكلمات المترادفة بعضها مكان بعض،

١ـ تفسير الطبرى ج ١ ص ١٠

٢ـ المستدرك ج ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

٣ـ تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣

٤ـ المصدر ص ٢٤

٥ـ راجع: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ١ ص ٢١

كالحديث رقم: ٤ و ٧.

الثالثة، تعني: اختلاف معانى الايات، فكل آية تحتمل معانى، بعضها ظهر و بعضها بطن، كالحديث رقم: ٨ و ٩.

الرابعة، تعني: تنوع الايات الى ابواب سبعة، كالحديث رقم: ١١ و ١٢.

غير ان الكثرة مع الطائفة الاولى، و اليها انصرفت وجهة نظر العلماء، بشأن الاحرف السبعة التى اجاز النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله قراءة القرآن بها، اما الطوائف الاخر فشاذة او باطلة رفضها ائمة التحقيق.

و احسن من تكلم فى هذا الموضوع هو الامام ابن الجزرى، تكلم عن احاديث السبعة فى عشرة وجوه، استوعب الكلام فيها باسهاب (١) و الاجدر هوالبحث عن احاديث السبعة بالتكلم فى كل طائفة بما يخصها من كلام و تمحيص. واليك اجمالياً:

***

اما الطائفة الاولى ـ و تعنى اختلاف اللهجات ـ فتوسعة على الامةفى قراءة القرآن، فان البدوى لايستطيع النطق كالحضرى، ولا الامى يتمكن فى تعبيره كالمثقف الفاضل. ولا الصغير كالكبير، ولاالشيخ كالشاب. فضلا عن اختلاف لهجات القبائل فى تعبير كلمة واحدة، بما تعجز كل قبيلة عن النطق بغير ماتعودت عليه فى‌حياتها. وهكذا اختلاف امم غير عربية فى‌القدرةعلى‌النطق بالالفاظ‌العربية، فلو كانت الامة الاسلامية على مختلف شعوبها، مكلفة بالنطق على حد سواء، لكان ذلك من التكليف بغير المستطاع، و «لايكلف‌الله نفساً الاوسعها» (البقرة: ٢٨٦).

و قد روى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام عن آبائه

١ـ راجع: النشر ج ١ ص ٢١ الى ص ٥٤

ـ عليهم السلام ـ عن رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله قال: «ان الرجل الاعجمى من امتى ليقرأ القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» (١).

و هذاهو معنى قوله صلى‌الله‌عليه وآله: «انى بعثت الى امة اميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط» فرخص لامته ان يقرأوا القرآن على سبعة أحرف، على اختلاف لهجاتهم، لايكلفون لهجةخاصة هم عاجزون عنها.

و قوله ـ فى رواية اخرى ـ : «فاقرأوا كيف شئتم» اى كيفما استطعتم. او قوله: «يقرأ كل رجل منكم كما علم» اى كما يحسنه‌حسب معرفته و مقدرته فى التعبير والاداء (٢).

و من ذلك مارواه ابوالعالية، قال: قرأ على رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله من كل خمس رجل، فاختلفوا فى اللغة ـ اى فى اللهجة ـ فرضى قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم اعرب القوم (٣).

قال ابن قتيبة: «فكان من‌تيسيره تعالى: ان أمره صلى‌الله‌عليه‌وآله بأن يقرىء كل قوم بلغتهم و ماجرت عليه عادتهم:

فالهذلى يقرأ «عتى حين» يريد «حتى حين» (المؤمنون : ٥٤) لانه هكذا يلفظ بها و يستعملها.

والاسدى يقرأ : تعلمون و تعلم ـ بكسر تاء المضارعة ـ و «تسود وجوه» (آل‌عمران : ١٠٦) ـ بكسر التاء ـ و «ألم اعهد اليكم» (يس : ٦٠) بكسر الهمز فى اعهد.

والتميمى يهمز، والقرشى لايهمز. والاخر يقرأ «قيل» (البقرة: ١١) و «غيض» (هود: ٤٤) ـ با شمام الضم مع الكسر ـ و «ردت»

١ـ وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٦

٢ـ راجع: تأويل مشكل القرآن ص ٣٤

٣ـ تفسير الطبرى ج ١ ص ١٥

(يوسف : ٦٥) ـ باشمام الكسر مع الضم ـ و «مالك لاتأمنا» (يوسف: ١١) باشمام الضم مع الادغام. و هذا مالا يطوع به كل لسان.

ولوان كل فريق من‌هؤلاء، امران يزول عن لغته، و ماجرى عليه عنياده، طفلا و نـاشئاً و كهلا، لاشتد ذلك عليه، و عظمت المحنة فيه ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة، و تذليل للسان، و قطع للعادة. فاراد‌الله برحمته و لطفه ان يجعل لهم متسعاً فى اللغات و متصرفا فى الحركات، كتيسيره عليهم فى‌الدين (١).

قال ابن يزداد الاهوازى : وجاء عن على بن ابى‌طالب عليه‌السلام و ابن عباس، انهما قالا: نزل القرآن بلغة كل حى من‌احياء العرب.

و فى رواية عن ابن عباس: أن النبى صلى‌الله عليه وآلـه كان يقرىء الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبرئيل، فقال: يا محمد، أقرىء كل قوم بلغتهم.

قال ابوشامة: هذا هو الحق، لانه انما ابيح أن يقـرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغى ان يوسع على‌قـوم دون قـوم، فلايكلف أحد الاقدر استطاعته، فمن كانت لغته الامالة، او تخفيف الهمز، او الادغام، او ضم ميم‌الجمع، او صلة هاء الكناية، او نحو ذلك، فكيف يكلف غيره؟ و كذا كل من كان من لغته ان ينطق بالشين التى كالجيم فى نحو: اشدق، والصاد التى كالزاى فى نحو: مصدر، والكاف التى كالجيم، والجيم التى كالكاف، و نحو ذلك، فهم فى ذلك بمنزلة الالثغ (٢) والارت (٣) لا يكلف ماليس فى‌وسعه، و عليه ان يتعلم ويجتهد (٤).

١ـ تأويل مشكل القرآن ص ٣٩ ـ ٤٠

٢ـ الالثغ: من كان بلسانه لثغة، اى قلب السين ثاء او الراء غيناً

٣ـ الارت: من كان فى لسانه رتة، اى عجمة و عدم افصاح.

٤ـ المرشد الوجيز ص ٩٦ ـ ٩٧

هذا ما نختاره في تفسير الأحرف السبعة، باختلاف لغات العرب اى لهجاتهم فـى التعبير والاداء. وقـدمر تفسير السيوطى «اللغة» بكيفية النطق بالتلاوة، من اظهار و ادغام، و تفخيم، و ترقيق، و امالة، و اشباع، و مد، و قصر، وتشديد، و تليين، و تحقيق، و نحو ذلك (١).

والحرف ـ فى اللغة ـ: الطرف والناحية والشفير. قال ابن سيدة: فلان على حرف من أمره، اى ناحية منه، اذا رآى شيئاً لايعجبه عدل عنه، و فى التنزيل العزيز: «و من الناس من يعبد الله على حـرف» (الحج: ١١) اى اذا لم‌يرما يحب انقلب على وجهه.

و روى الازهرى عن ابى الهيثم، قال: اما تسميتهم الحرف حرفاً، فحرف كل شيء ناحيته، كحرف الجبل والنهر والسيف و غيره.

فالكلمة اذا كانت تعبر بوجوه، فكل وجه لها حرف، لان وجـه الشيء طرفه وجانبه الذى يبدو منه. و بما ان القراءة ـ و هى كيفية فى تعبير الكلمة ـ وجه من وجوه تعبير اللفظ، فهى حرف، والجمع: أحرف.

وروى الازهرى ايضاً عن ابى العباس، انه سئل عن قوله صلى‌الله عليه وآله: نزل القرآن على سبعة أحرف. فقال: ما هى الا لغات. قال الازهرى: فابوالعباس النحوى ـ وهو واحـد عصره ـ قـد ارتضى ما ذهب اليه ابو عبيد، و استصوبه (٢).

واللغات : هى‌لغات العرب اى لهجاتهم فى كيفية التعبير والاداء.

قال‌البغوى: «أظهرالاقاويل، وأصحها، وأشبهها‌بظاهر‌الحديث:ان المراد من هذه الحروف اللغات، و هو ان يقرأ كل قـوم من‌العرب بلغتهم، و ماجرت عليه عادتهم، من الادغام والاظهار والامالة والتفخيم والاشمام والاتمام والهمز والتليين و غير ذلك من وجوه اللغات، الى

١ـ الاتقان ج ١ ص ٤٦

٢ـ لسان العرب، مادة «حرف»

سبعة اوجه منها فى الكلمة الواحدة (١).

***

اما الاحاديث من الطائفة الثانية ـ رقم: ٤ و ٧ فتعنى جواز تبديل الكلمة الى مرادفتها، على شريطة التحفظ على صلب المراد، ولاتتبدل آية رحمة بعذاب او آية عذاب برحمة.

وقدعرف ابن مسعود ـ و كذا ابى‌بن كعب ـ بذهابه الى جواز هذا التبديل قال: لقد سمعت القراء و وجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم، فهو كقولكم هلم و تعال (٢).

و كان ابن مسعود يعلم رجلا اعجمياً القرآن، فقال: ان شجرة الزقوم طعام الاثيم، فكان الرجل يقول: طعام اليتيم، ولم يستطع ان يقول: الاثيم. فقال له ابن مسعود: قل: طعام الفاجر. ثم قال: انه ليس من‌الخطاء فى القرآن ان يقرأ مكان «العليم» «الحكيم»، بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب (٣).

و كان يستبدل من الياس ادريس، و يقرأ: «سلام على ادراسين» (٤).

وقرأ: «اويكون لك بيت من ذهب» بدل «من‌زخرف» (٥).

وقرأ: «كالصوف المنفوش» بدل «العهن المنفوش» (٦).

وقرأ: «انى نذرت للرحمان صمتاً» بدل «صوماً» (٧).

١ـ شرح‌السنة ص ١٤٠. و راجع: المرشد الوجيز ص ١٣٤

٢ـ معجم الادباء ج ٤ ص ١٩٣ رقم: ٣٣. راجع الجزء الاول من كتابنا ص ٢٥٧

٣ـ تفسيرالرازى ج ٢ ص ٢١٣

٤ـ تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٩٦

٥ـ المصدر

٦ـ تأويل مشكل القرآن ص ١٩

٧ـ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٤٠

و هكذا قرأ ابى بن كعب: «كلما أضاءلهم مروافيه» و قرأ ايضاً: «سعوافيه» بدل «مشوافيه» (١). و كان يقول: «ان قلت: غفوراً رحيماً، او قلت : سميعاً عليماً او عليماً سميعاً، فالله كذلك، مالم تختم آية عذاب برحمة او رحمة بعذاب» (٢).

و تبعهما فى ذلك أنس و ابوهريرة ايضاً. قرأ أنس: «ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا». فقيل له: يا اباحمزة، انما هى «وأقوم قيلا»؟ فقال: أقوم، و أصوب، و أهدى، واحد (٣). و كان ابو هريرة يجوز تبديل «عليماً حكيماً» الى «غفوراً رحيماً» (٤).

هذا... ولكنه مذهب فاسد فى رأى المحققين، و من ثم رفضه جمهور المسلمين طول التاريخ، اذ لكل كلمة خاصة موقعية لاتناسبها كلمة اخرى، حتى ولو كانت مرادفة لها. فضلا عن غير المرادفة. اذموضع استعمال «العليم الحكيم» ـ مثلا ـ يختلف عن موضع استعمال «الغفور الرحيم».

وهكذا جميع الكلمات المترادفة فى لغة العرب، لكل واحدة منها موقعية خاصة، اذا لاحظها المتكلم كان كلامه بديعاً، و بذلك يعرف الفصيح عن غير الفصيح، و قد بلغ القرآن فى هذه الناحية حد الاعجاز، فانه فاق الفصحاء العرب فى تعيين مواقع الكلمات المتناسبة بما اعجزهم و اخضعهم للاعتراف ببلاغته الخارقة.

اذن فكيف نجيز لاحاد المسلمين ان يستبدلوا من كلمات القرآن بما يترادف معها من سائر الكلمات، و هل يعرف احد، كحد معرفته تعالى، بموقعية الكلمات بعضها من بعض، البالغة حد الاعجاز ؟!

١ـ الاتقان ج ١ ص ٤٧

٢ـ البلاغى فى مقدمة تفسير شبر ص ٢٠ نقلا من كنزالعمال.

٣ـ تفسير الطبرى ج ١ ص ١٨

٤ـ الاتقان ج ١ ص ٤٧

قال سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ : فهذا الاحتمال ـ اى احتمال جواز تبديل كلمات القرآن الى مترادفاتهـا ـ يـوجب هدم اساس القرآن، المعجزة الابدية والحجة على جميع البشر، ولايشك عـاقل فى ان ذلك يقتضى هجر القرآن المنزل، و عدم الاعتناء بشأنه، و هل يتوهم عاقل ترخيص النبى صلى‌الله عليه وآله ان يقرأ القارىء «يس والذكرالعظيم، انكلمن‌الانبياء، على‌طريق‌سوى، انزال‌الحميدالكريم، لتخوف قوماً ما خوف اسلافهم فهم ساهون»..! فلتقر عيون المجوزين لذلك! سبحانك هذا بهتان عظيم.

و روى ان رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله علم براء بن عازب دعاءكان فيه : «ونبيك الذى ارسلت» فقرأ براء: «ورسولك الـذى ارسلت» فأمره صلى‌الله عليه وآله ان لا يضع الرسول موضع النبى، قال سيدنا الاستاذ ـ : فاذا كان هذا شأن الدعاء، فما بالك بالقرآن، و هو كلام‌الله المنزل الخالد... (١).

ولعل انكار الامام الصادق عليه‌السلام لحديث السبعة، ناظر الـى تفسيره بهذا المعنى المخرج للقرآن عن نصه الاصل المعجز، فقد سأل الفضيل بن يسار الامام عليه‌السلام عن هذا الحديث، فقال: «كذبوا ـ اعداءالله ـ ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» (٢).

***

اما الطائفة الثالثة والرابعة فلابأس بهما ذاتياً لوصحت أسانيدهما، غير ان الاصح ـ حسب الظاهر ـ هى الطائفة الاولى، التى عنت من الاحرف: اختلاف لهجات العرب فى‌التعبير والاداء.

١ـ البيان ص ١٩٧ ـ ١٩٨

٢ـ اصول الكافى ج ٢ ص ٦٣٠

والمقصود من السبعة، هي الكثرة النسبية، كما فى قوله تعالى: «والبحر يمده من بعده سبعة أبحر» (لقمان : ٢٧). و كالسبعين فى قوله تعالى: «ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» (التوبة: ٨٠).

(ملحوظة) اختلاف اللهجة في تعبير الكلمة اذا لم يصل الى حد اللحن فى المقياس العام فجائز، اللهم الا للعاجز عن النطق بالصحيح، اما المتمكن ـ ولو بالتعلم ـ فلاتجوز له القراءة الملحونة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلموا القرآن بعربيته، وإياكم والنبز فيه» (١).

و قال الامام الصادق عليه السلام: «تعلموا العربية، فانها كلام الله الذى كلم به خلقه، و نطق به فى الماضين» (٢).

و قال الامام الجواد عليه السلام: «ما استوى رجلان فى حسب و دين قط، الا كان أفضلهما عند الله ـ عز وجل ـ أءدبهما، قيل له: قد علمنا فضله عند الناس فى النادى والمجلس، فما فضله عند الله؟ قال: بقراءة القرآن كما انزل، ودعائه من حيث لايلحن، فان الدعاء الملحون لايصعد الى الله» (٣)..

و اما العاجز فيكفيه ما يحسنه، ولا يكلف الله نفساً الاوسعها. وفى حديث الامام الصادق عليه السلام يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان الرجل الاعجمى من امتى ليقرأ القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» و تقدم الحديث فى صفحة ٩٩.

***

١ـ كتاب وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٥ و سيجيء فى صفحة ١٧٤ أن الصحيح هو النبر بالراء المهملة

٢ و ٣ـ المصدر ص ٨٦٦

انواع اختلاف القراءات

انـواع اختلاف القـراءات ربما تفـوق الحصـر، كالاختلاف فيالحركات الاعرابية والبنائية، والتقديـم والتأخيـر، والـزيادة والنقصان، والمد والقصر، والتخفيف والتشديد، والترقيق والتفخيم، والاخفاء والاظهار، والفك والادغام، والامالة والروم والاشمام، على اختلاف انواعه، و غير ذلك مما فصـلها كتب القـراءات، وحصـل الاختلاف فيها بين ائمة القراء السلف والخلف.

و بعض المؤلفين حاول حصرها فى سبعة انواع، لا عقيدة بأنها الاحرف السبعة التى جاءت فى الحديث، و لعله تيمن بهذا العدد الذى جاء فى كلام الرسول صلىالله عليه وآله لكنه تكلف ظاهر. و نحـن نذكر نموذجاً من تلكم المحـاولات حيث الاطلاع عليها لايخلـو عن فائدة:

قال ابن قتيبة: و قد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

الاولـ الاختلاف فى اعراب الكلمة، اوفى حـركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها فى الكتاب ولايغير معناها، نحو قولـه تعالى: «هـؤلاء بناتى هن أطهـر لكـم» (هود: ٧٨) ـ بـرفع«اطهر» ونصبه ـ (١).

و قوله تعالى: «وهل نجازى الاالكفور» (سبأ: ١٧) (٢) و «هل

١ـ الثانية قراءة الحسن. ويراها سيبويـه لحناً. راجـع كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٩٧. والقراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٠. والبحر المحيط ج ٥ ص ٢٤٧. والقرطبى ج ٩ ص ٧٦.

٢ـ بنون المتكلم مع الغير مبنياً للفاعل. هى قراءة عاصم و حمزة والكسائى. الاتحاف ص ٣٥٩.

يجازى» ـ بياء الغائب مبنياً للمفعول ـ (١).

و قوله تعالى: «ويأمرون الناس بالبخل» (النساء : ٣٧) ـ بضم الباء وسكون الخاء ـ . و «البخل» ـ بفتح الباء والخاء ـ (٢).

و قوله تعالى : «فنظرة الى ميسرة» (البقرة : ٢٨٠) ـ بفتح السين ـ و «ميسرة» ـ بضم السين ـ (٣).

الثانى ـ ان يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة و حركات بنائها بما يغير معناها، ولايزيلها عن صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: «ربنا باعدبين أسفارنا» (سبأ : ١٩) ـ فعل طلب ـ . و قرأ يعقوب: «ربنا باعد» ـ فعل ماض ـ (٤).

و قوله تعالى: «اذتلقونه بألسنتكم» (النور: ١٥) بتشديد القاف ـ و «تلقونه» ـ بالتخفيف (٥).

و قوله: «و ادكر بعد أمة» (يوسف: ٤٥) و قرىء : «امه» ـ بهمزة و ميم مفتوحتين ثالثهما هاء ـ (٦).

الثالث ـ ان يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها، بما يغير معناها ولايزيل صورتها، نحو قوله: «و انظر الى العظام كيف ننشزها» (البقرة: ٢٥٩) و «ننشرها» (٧).

وقوله: «حتى اذا فزع عن قلوبهم» (سبأ: ٢٣) و «اذا

١ـ هى قراءة نافع و ابن كثير و ابى عمرو و ابن‌عامر. الاتحاف ص ٣٥٩

٢ـ هى قراءة حمزة والكسائى. والاولى قراءة الباقين. الاتحاف ص ١٩٠

٣ـ الثانية قراءة نافع. والاولى قراءة الباقين. الاتحاف ص ١٦٦ و انظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٧. والكشاف ج ١ ص ١٦٨

٤ـ الاتحاف ص ٣٣١. والقراءات الشاذة ص ١٢١

٥ـ الثانية قراءة ابن السميقع. القرطبى ج ١٢ ص ٢٠٤ والقراءات الشاذة ١٠٠

٦ـ الثانية منسوبة الى ابن عباس. القرطبى ج ٩ ص ٢٠١ والقراءات الشاذة ص ٦٤

٧ـ الاولى قراءة ابن عامر و عاصم و حمزة والكسائى، والثانية قراءة الباقين. الاتحاف ص ١٦٢

فرغ» (١).

وقوله: «يقص الحق» (الانعام: ٥٧) و «يقضي الحق» (٢).

الرابع ـ أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله: «ان كانت الاصيحة واحدة» (يس: ٢٩) و «زقية واحدة» (٣).

و قوله: «كالعهن المنقوش» (القارعة : ٥) و «كالصوف المنفوش» (٤).

الخامس ـ ان يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها و معناها، نحو قوله: «طلح منضود» (الواقعة:٢٩) و «طلع منضود» (٥)

السادس ـ ان يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: «وجاءت سكرة الموت بالحق» (ق: ١٩) «وجاءت سكرة الحق بالموت» (٦).

السابع ـ ان يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «و ما عملته ايديهم» (يس : ٣٥) و «ما عملت ايديهم» (٧).

وقوله تعالى: «ان الله هو الغني الحميد» (الحديد: ٢٤) و «ان الله

١ـ الثانية قراءة الحسن. القراءات الشاذة ص ١٢٢. والاتحاف ص ٣٦٠

٢ـ الاولى قراءة نافع و ابن كثير و عاصم. والثانية قراءة الباقين. القرطبي ج ٦ ص ٤٣٩ و هذه الفقرة ذكرها الزركشي، ولم تكن في لفظ ابن قتيبة. راجع: البرهان ج ١ ص ٣٣٥.

٣ـ الثانية قراءة ابن مسعود. الكشاف ج ٢ ص ٢٥١

٤ـ الثانية قراءة ابن مسعود. الكشاف ج ٢ ص ٥٥٨

٥ـ الثانية منسوبة الى الامام اميرالمؤمنين ـ ع ـ . القراءات الشاذة ص ١٥١ و راجع: القرطبي ج ١٧ ص ٢٠٨. و مرت في الجزء الاول ص ٢٨٩ و ص ٣٢٢.

٦ـ الثانية قراءة ابي بكر عند ما حضرته الوفاة، في قصة مع ابنته عائشة. راجع: القرطبي ج ١٧ ص ١٢ ـ ١٣. والقراءات الشاذة ص ١٤٤.

٧ـ الثانية في مصاحف اهل الكوفة، راجع: الكشاف ج ٢ ص ٢٥٢

الغنى الحميد» (١).

وقوله: «ان‌هذا اخی‌له تسع و تسعون نعجة» بزيادة «انثى» (ص: ٧٣) (٢).

وقوله: «ان‌الساعة آتية أكادا‌خفيها» بزيادة «من نفسى فكيف اظهركم عليها» (طه: ١٥) (٣).

وقوله: «تجرى تحتها الانهار» (براءة: ١٠٠) و «تجرى من تحتها الأنهار» (٤)

و أورد ذلك كله الامام بدرالدين الزركشى فى برهانه، بلاذكر المصدر الاصل، والقرطبى فى تفسيره عن القاضى ابن الطيب مختزلا (٥). و ابن الجزرى فى النشر تأييداً لما ذكره قريباً منه. قال: ثم وقفت على كلام ابن قتيبة وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر... (٦).

و أخذ ابن الجزرى على ابن قتيبة تمثيله بطلع و طلح، لان ذلك لاتعلق له باختلاف القراءات.

قلت : و لعل ابن الجزرى نظر فى ذلك الى رواية الطبرى: «قرأ رجل عند على عليه‌السلام و طلح منضود. فقال عليه‌السلام: ماشأن الطلح، انما هو طلع. ثم قرأ عليه السلام: والنخل باسقات لها طلع

١ــ الثانية قراءة نافع، وفق مصاحف اهل‌المدينة والشام. الكشاف ج ٢ ص ٤٣٧

٢ــ هى قراءة الحسن، و تنسب الى ابن مسعود ايضاً. راجع: القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٣٠. والطبرى ج ٢٣ ص ٩١ والكشاف ج ٢ ص ٢٨١.

٣ــ قال ابن خالويه فى‌القراءات الشاذة: هى قراءة ابى بن‌كعب. الى‌هنا ينتهى ماأورده ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ ــ ٣٨

٤ــ الثانية قراءة ابن‌كثير. الاتحاف ص ٢٤٤. و هذه الزيادة من‌الزركشى، البرهان ج ١ ص ٣٣٦.

٥ــ تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٥

٦ــ النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢٧

نضيد (ق : ١٠) او قرأ: و نخل طلعها هضيم (الشعراء: ١٤٨) فقيل له: ألا نحولها؟ فقال: ان القرآن لايهاج اليوم ولايحول» (١).

فالرواية لاتذكر ان الامام عليه‌السلام قرأ ذلك.

لكن ذكر ابن خالويه فى القراءات الشاذة: «وطلع ـ بالعين ـ قرأها على بن ابى‌طالب على المنبر، فقيل له: أفلا نغيره فى المصحف؟ قال: ما ينبغى للقرآن ان يهاج، اى لا يغير» (٢).

قال ابن الجزرى ـ ايضاً ـ ولو مثل ابن قتيبة عوض ذلك بقوله تعالى: «و ما هو علـى الغيب بضنين» (التكويـر: ٢٤) و قـرىء «بظنين» (٣). وقوله: «اشدمنكم» و «اشدمنهم» (غافر: ٢١) (٤)... لاستقام و طلع حسن بدره فى تمام.

على انه قدفاته ـ كمافات غيره ـ اكثر اصول القراءات: كالادغام، والاظهاروالاخفاء، والامالة، والتفخيم، وبين‌بين، والمدوالقصر، وبعض احكام الهمز، كذلك الروم، والاشمام على اختلاف انواعه، و كل‌ذلك من اختلاف القراءات و تغاير الالفاظ ممااختلف فيه‌أئمة القراء ...(٥)

***

و قال ابن الجزرى: انى تتبعت القـراءات صحيحها وشاذهـا، و ضعيفها و منكرها، فاذا هو يرجـع اختلافهـا الى سبعـة اوجـه

١ـ تفسير الطبرى ج ٢٧ ص ١٠٤

٢ـ القراءات الشاذة ص ١٥١

٣ـ قرأ ابن‌كثير وابوعمرو والكسائى بالظاء المشالة، فعيل بمعنى مفعول، من ظننت فلاناً اتهمته، و يتعدى لواحد، والباقون بالضاد بمعنى بخيل. الاتحاف ص ٤٣٤

٤ـ قرأ ابن‌عامر بالكاف موضع الهاء، التفاتاً الى الخطاب، والباقون «منهم» بضمير الغيب، لقوله: اولم يسيروا. الاتحاف ص ٣٧٨

٥ـ ابن الجزرى فى النشر ج ١ ص ٢٨

من الاختلاف:

١ــ اما في الحركات بلاتغير في المعنى والصورة، نحو: «البخل» ــ باربعة اوجه ــ (١) و «يحسب» ــ على وجهين ــ (٢).

٢ــ اوبتغير في المعنى فقط، نحو: «فتلقى آدم من ربه كلمات» (٣). و «ادكر بعد امة» و «بعد أمه» (٤).

٣ــ و اما في الحروف بتغير المعنى لاالصورة، نحو: «تبلو» و «تتلو» (٥). و «ننجيك» و «ننحيك» (٦).

٤ــ اوعكس ذلك، نحو: «بصطة» و «بسطة» (٧). و «الصراط» و «السراط» (٨).

٥ــ او بتغيرهما، نحو «اشد منكم» و «اشد منهم» (٩) و «يأتل»

١ــ النساء: ٣٧. قرأ حمزة والكسائي بفتحتين. و قرا الباقون بضم الباء و اسكان الخاء. و هما لغتان مشهورتان. و فيه لغة ثالثة و هي فتح الباء و اسكان الخاء ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٨٩ ــ و فيه لغة رابعة، و هي بضمتين ــ املاءما من به الرحمان ــ العكبرى ج ١ ص ١٧٩.

٢ــ القيامة: ٣. قرأ نافع و ابن كثير و ابو عمرو والكسائي بكسر السين، والباقون بالفتح، الاتحاف ص ٤٢٨.

٣ــ البقرة ٣٧. قرأه ابن كثير بنصب «آدم» و رفع «كلمات». والباقون برفع «آدم» و نصب «كلمات». الكشف ج ١ ص ٢٣٧

٤ــ يوسف: ٤٥. المعروف من قراءة ابن عباس: «بعد امه» بالهاء و تخفيف الميم المفتوحة اى بعد نسيان. والقراءة المشهورة بالتاء و تشديد الميم، اى بعد حين. راجع القرطبي ج ٩ ــ ص ٢٠١.

٥ــ يونس: ٣٠. قرأ حمزة والكسائي و خلف بتائين، اى تطلب و تتبع ما اسلفته من اعمال. والباقون بالتاء والياء من البلاء اى تختبر ماقدمت من عمل. الاتحاف ص ٢٤٩.

٦ــ يونس: ٩٢. قرأ اليزيدى و ابن السميقع: «ننحيك» بالحاء من التنحية. القرطبي ج ٨ ص ٣٤٩.

٧ــ البقرة: ٢٤٧. قرأ ابوعمرو و حمزة بالسين والباقون بالصاد. الكشف ج ١ ص ٣٠٢.

٨ــ الحمد: ٦. السين قراءة قنبل عن ابن كثير. الكشف ج ١ ص ٣٤.

٩ــ تقدم ذلك في ص ١١٠.

و «يتأل» (١) و «فامضوا الى ذكرالله» (٢).

٦ـ واما فى التقديم والتأخير، نحو: «فيقتلون و يقتلون» (٣).
و «جاءت سكرة الحق بالموت» (٤).

٧ـ اوفى الزيادةوالنقصان، نحو: «وأوصى»و«ووصى» (٥)...و
«الذكر والانثى» (٦).

فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

واما نحواختلاف الاظهار، والادغام، والروم، والاشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد والقصر، والامالة، والفتح والتحقيق، والتسهيل، والابدال، والنقل، مما يعبر عنه بالاصول، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى، لان هذه الصفات المتنوعة فى ادائه لاتخرجه عن ان يكون لفظاً واحداً. ولئن فرض، فيكون من الاول (٧).

قلت: ا ن كان حديث السبعة الاحرف ناظراً الى تنوع لغات العرب فى التعبير والاداء ــ كما رجحناه و اختاره المحققون السلف ــ فان

١ـ النور: ٢٣. قرأ ابوجعفر: «يتأل» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام المشددة مضارع «تألى» بمعنى حلف. والباقون: «يأتل» بهمزة ساكنة بين الياء والتاء و كسر اللام مخففة، من «ألوت» بمعنى «قصرت» او مضارع «ائتلى» افتعل من الالية و هى الحلف ايضا. الاتحاف ص ٣٢٣.

٢ـ الجمعة: ٩. هى قراءة عمر بن الخطاب. ومن القراء: ابن شهاب. القرطبى ج١٨ ص١٠٢.

٣ـ براءة ١١١ قرأ النخعى والاعمش و حمزة والكسائى و خلف، بتقديم المفعول على الفاعل. و قرأ الباقون بتقديم الفاعل على المفعول. القرطبى ج ٨ ص ٦٢٨.

٤ـ ق: ١٩. هكذا قرأها ابوبكر عندموته، البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٣٥ والقراءة المشهورة هى: «وجاءت سكرة الموت بالحق».

٥ـ البقرة: ١٣٢. و هى زيادة فى الخط. قرأ نافع و ابن عامر بهمزة من باب الافعال. والباقون بتشديد الصاد بلاهمز، من باب التفعيل. الكشف ج ١ ص ٢٦٥.

٦ـ الليل: ٣. باسقاط قوله تعالى: «و ما خلق». قراءة منسوبة الى ابن مسعود: «والنهار اذا تجلى. والذكر والانثى». القرطبى ج ٢٠ ص ٨١.

٧ـ النشر ج ١ ص ٢٦ ــ ٢٧. و سنشرح من كلام الرازى ماهو اوفى.

ما ذكره أخيراً هي العمدة في اختلاف القراءة، اما ما ذكره من الوجوه السبعة، فلا يدخل اكثرها في الرخصة المستفادة من الحديث، ولا اظن بمثله ان يرخصها كما لم يرخصها سائر العلماء المحققين، فكيف يتزل الحديث عليها؟!

قال الاستاذ الزرقاني: ان هذا العذر الذي قدمه ابن قتيبة لاهمال هذا الوجه، لايسوغ ذلك الاهمال. فـان المسألة ليست مسألة اسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات في اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحداً اولا تخرجه، بل المسألة مسألة رعاية امر واقـع تختلف به القراءات فعلا.

و أمر آخر : هو ان التيسير على الامـة، لا يتحقق على الوجـه الاكمل الابحسبان هذا الوجه الذي نوه به الرازي ـ سنذكره ـ وهو اختلاف اللهجات. بل هذا قد يكون اولى بالحسبان واحرى بالرعاية في باب التخفيف والتيسير، لانه قد يسهل على المرء ان ينطق بكلمة من غير لغته في جوهرها، ولايسهل عليه ان ينطق بكلمة من لغته نفسها بلهجة غير لهجته، وطريقة الاداء غير طريقته.

ذلك، لان التـرقيق والتفخيم، والهمـز والتسهيل، والاظهار والادغام، والفتح والامالة، و نحوها امور دقيقة، و كيفيات مكتنفة بشيء من الغموض والعسر في النطق على من لم يتعودها ولم ينشأ عليها.

واختلاف القبائل العربية يدور على اللهجات في كثير من الحالات، و كذلك اختلاف الشعوب الاسلامية، و أقاليم الشعب الواحـد منها، يدور في كثير من الحالات على اختلاف اللهجات (١).



وللامام ابي الفضل الـرازي محاولة اخرى فـي حصـر اوجـه

١ـ مناهل العرفان ج ١ ص ١٦٢.

القراءات فی سبعة قال: ان الكلام لايخرج اختلافه عن سبعة اوجه:

الاول: اختلاف الاسماء من الافراد والتثنية والجمع (١) والتذكير والتأنيث (٢) والمبالغة (٣) و غيرها.

الثاني : اختلاف تصريف الافعال، و ما يسند اليه من نحو الماضي والمضارع والامر والاسناد الى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به (٤).

الثالث : وجوه الاعراب (٥).

١ـ في قوله تعالى: «برسالاتي و بكلامی» ـ الاعراف : ١٤٧ ـ قرأ الحرميان بالتوحيد. والباقون بالجمع. الكشف ج ١ ص ٤٧٦. و قوله: «ان صلاتك سكن لهم» ـ براءة : ١٠٣ ـ قرأ حمزة و حفص والكسائی بالتوحيد. و قرأ الباقون بالجمع. الكشف ج ١ ص ٥٠٥. و فی قوله تعالی: «لاجدن خيراً منهما منقلباً» ـ الكهف : ٣٦ ـ قرأ الحرميان و ابن عامر على التثنية «منهما». و قرأ الباقون: «منها» مفرداً. الكشف ج ٢ ص ٦٠

٢ـ فيقوله تعالى: «فنادته الملائكة» ـ آلعمران: ٣٩ ـ قرأ حمزة والكسائی و خلف «فناداه الملائكة» بالتذكير. وقرأ الباقون: «فنادته» بالتأنيث. النشر ج٢ ص٢٣٩.

٣ـ في قوله تعالى : «بكل ساحر عليم» ـ الاعراف : ١١٢ ـ قرأ حمزة والكسائي: «سحار» بصيغة المبالغة. و قرأ الباقون : «ساحر» الكشف ج ١ ص ٤٧١.

٤ـ في قوله تعالى: «ربنا باعد بين اسفارنا» ـ سبأ : ١٩ ـ قرأ يعقوب: «باعد» فعلا ماضياً، و قرأ الباقون فعل امر. الاتحاف ص ٣٥٩. و قوله: «و اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» ـ البقرة : ١٣٠ ـ قرا نافع و ابن عامر ماضياً، و قرأ الباقون بصيغة الامر . الكشف ج ١ ص ٢٦٣. و فی قوله تعالی : «وهل نجازی الا الكفور» ـ سبأ : ١٧ ـ قرا حفص و حمزة والكسائي بالنون و كسر الزای مبنياً للفاعل. و قرا الباقون بالياء و فتح الزای مبنيا للمفعول. الكشف ج ٢ ص ٢٠٦.

٥ـ في قوله تعالى: «وارجلكم» ـ المائدة: ٦ ـ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بالنصب والباقون بالخفض. الاتحاف ص ١٩٨. و قوله: «تجارة حاضرة» ـ البقرة: ٢٨٢ ـ قرأ عاصم بالنصب، والباقون بالرفع، الكشف ج ١ ص ٣٢١

الرابع: الزيادة والنقص (١).

الخامس : التقديم والتأخير (٢).

السادس : القلب والابدال فى كلمة باخرى (٣) و فى حرف بآخر (٤).

السابع: اختلاف اللغات من فتح و امالة و ترقيق و تفخيم وتحقيق و تسهيل و ادغام و اظهار و نحو ذلك (٥).

انظر الى هذا الامام، جعل من اختلاف اللغات ـ اللهجات ـ وجهاً من وجوه السبعة، و قدتركها ابن قتيبة، زاعماً انه وافقه فى المحاولة (٦).

١ـ فى قوله تعالى: «تجرى تحتها الانهار» ـ براءة : ١٠٠ ـ قرأ ابن كثير «تجرى من تحتها الانهار» بزيادة «من» و قرأ الباقون بغير «من». الكشف ج ١ ص ٥٠٥ و قوله: «فان الله هو الغنى الحميد» ـ الحديد: ٢٤ ـ قرأ نافع و ابن عامر باسقاط «هو». و قرا الباقون باثبات «هو». الكشف ج ٢ ص ٣١٢.

٢ـ فى قوله تعالى: «وقاتلواو قتلوا» ـ آلعمران: ١٩٥ ـ قرأه حمزة والكسائى «وقتلوا و قاتلوا». والباقون بتقديم الفاعل على المفعول. الكشف ج ١ ص ٣٧٣. و قوله: «فيقتلون و يقتلون» ـ براءة : ١١١ ـ قرأ حمزة والكسائى و خلف بتقديم المفعول على الفاعل، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول. القرطبى ج ٨ ص ٢٦٨.

٣ـ فى قوله تعالى: «فاسعوا الى ذكرالله» ـ الجمعة : ٩ ـ قرأ ابن الخطاب وكذلك ابن شهاب: «فامضوا الى ذكرالله». القرطبى ج ١٨ ص ١٠٢. و قوله: «كالعهن المنفوش» قرأ ابن مسعود : «كالصوف المنفوش» ـ القارعة : ٥ـ تأويل مشكل القرآن ص ٢٤.

٤ـ فى قوله تعالى: «كيف ننشزها» ـ البقرة : ٢٥٩ ـ قرأ ابن‌عامر والكوفيون بالزاى، والباقون بالراء. الكشف ج ١ ص ٣١٠. و قوله «الصراط» قرأ ابن كثير ـ برواية قنبل ـ بالسين. و قرا حمزة ـ برواية خلف ـ بين الصاد والزاى. و قرأ الباقون بالصاد محضاً. الكشف ج ١ ص ٣٤.

٥ـ امثلة ذلك كثيرة جدا. و تقدم بعضها ص ٢٧ ـ ٣٠

٦ـ النشر ج١ص٢٧

والصحيح ـ كما قدمنا ـ : ان اختلاف اللهجات هي العمدة في ملحوظ حديث السبعة الاحرف ـ لو صح السند ـ و عليه فيصبح معنى الحديث: انه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رخص للامة ـ عند قراءة القرآن ـ ان يقرأوه على ماتطاوعه ألسنتهم ولهجاتهم في التعبير والاداء.

القراءات
بين الصحة والشذوذ

*ـ ضابط قبول القراءات

*ـ تحقيق الاركان الثلاثة

*ـ مناقشة هذه الاركان

*ـ اختيارنا فى ضابط القبول

١ـ اثبات تواتر القرآن

٢ـ ملاك اختيار القراءة

٣ـ نصوص ضافية

ضابط قبول القراءة

ذكر أئمة الفن لقبول القــراءة شروطاً ثلاثة: ١ـ صحــة السند ٢ـ موافقة الرسم ٣ـ استقامة وجهها فى العربية. و اذا فقد أحد هذه الشروط تصبح القراءة شاذة، لا تصح القراءة بها، لافى صلاة و لافى غيرها، و تسقط عن اعتبارها قرآناً رأساً، سواء كانت من السبعة أم من غيرهم.

قال مكى بن ابى‌طالب: «اذا اجتمع فى القراءة ثلاثة أشياء: قوة وجه العربية، و موافقة المصحف، و اجتماع العامة عليه. والعامة هم: اهل المدينة و اهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية‌توجب الاختيار.

و ربما اريد من العامة اهل الحرمين، مكة والمدينة: و ربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع و عاصم. فقراءتهما اولى القراءات واصحها سنداً و افصحها فى العربية. و يتلوها فى الفصاحة خاصة قراءة ابى‌عمرو والكسائى» (١).

و قال ابوشامة : «كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل

١ـ البرهان ـ للزركشى ـ ج ١ ص ٣٢١

فيها، و مجيئها على الفصيح من لغة العرب، فهى قراءة صحيحةمعتبرة. فان اختلفت هذه الاركان الثلاثة، اطلق على تلك القراءة انهـا شاذة وضعيفة. أشار الى ذلك كلام الائمة المتقدمين. و نص عـليه الشيخ المقرىء ابو محمد مكى بن ابىطالب القيروانى فى كتاب مفرد ـ هو كتاب «الابانة» ـ و قد ذكره شيخنا ابوالحسن فى كتابـه «جـمال القراء» (١) قال: «ولايلتزم فيه تواتر، بل تكفى الاحاد الصحيحة مع الاستفاضة» (٢) و تقدم قوله: و «هنالك ـ اى دون اثبات تواتر كل فردفرد من القراءات الى النبى صلىالله عليه وآله ـتسكب العبرات، فانها من ثم لم تنقل الاآحاداً، الا اليسير منها» (٣).

و قال الحافظ الضابط، امام القراء المتأخرين، ابوالخير محمدبن محمد بن الجزرى: «كل قراءة وافقت العربية ـ ولوبوجهـ و وافقت احد المصاحف العثمانية ـ ولو احتمالا ـ وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لايجوز ردها ولايحل انكارها، بل هى من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن. و وجب على الناس قبولها، سواءأكانت عن الائمة السبعة امعن العشرة امعن غيرهم منالائمة المقبولين. و متى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة، اطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة امعمن هو اكبر منهم.

قال: هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق منالسلف والخلف صرح بذلك الامام الحافظ ابوعمرو عثمانبن سعيد الدانى، ونصعليه فىغير موضع الامام ابومحمد مكى بن ابىطالب، و كذلك الامام ابوالعباس احمد بن عمار المهدوى، و حققه الحافظ ابوالقاسم عبدالرحمـان بن اسماعيل، المعروف بابى شامة. وهو مذهب السلف الذى لايعرف عن

١ـ المرشد الوجيز ص ١٧١ ــ ١٧٢

٢ـ نفس المصدر ص ١٧١

٣ـ نفس المصدر ص ١٧٨

احد منهم خلافه» (١).

هذه شروط ثلاثة عبروا عنها بالاركان، اذا توفرت فی قراءة فهی صحيحة و مقبولة، و اذا اختل احدها فهی شاذة مردودة.

و رأيت التصريح بها فی كلام ائمة الفن ممن يرجع اليهم فیهذا الشأن. و مع ذلك فان بعض المؤلفين غير الاختصاصيين أخـذ اعتبار التواتر بدل شرط صحة السند.

هكذا جاء فی كلام الشيخ ابیالقاسم النويری، قال: «عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لاجماع الفقهاء والمحدثين».

و قد رد عليه الامام شهابالدين القسطلانی، بأن التواتر اذا ثبت لايحتاج الی الركنين الاخرين، منالرسم والعـربية، لان مـا ثبت متواتراً، قطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم امخالفه (٢).

قلت: ولعل مشترط التواتر قد خلط عليه مسألة «تواتر القرآن» بمسألة «تواترالقراءات». وقد تقدم: انهما حقيقتان متغائرتان (٣).

وهكذا جعل الاستاذ محمد سالم محيسن ــ وهــو مدرس بمعهد القراءات بالازهر ــ شرط التواتر بدل صحة السند (٤) مخالفاً فـی ذلك تصريحات الائمة المحققين. و يعذر امثال هؤلاء، بعدم الاضطلاع بأصول الفن، و لم يدركوا ان اشتراط التواتر فی كل فرد فرد من احرف الخلاف يذهب بكثير منالقراءات الثابتة عن السبعة و غيرهم. صرح بذلك الامام القسطلانی (٥).

١ــ النشر فی القراءات العشر ج ١ ص ٩

٢ــ لطائف الاشارات لفنون القراءات. للقسطلانی ج ١ ص ٦٩.

٣ــ البرهان فی علوم القرآن، للزركشی ج ١ ص ٣١٨ و راجع صفحة: ٧٩

٤ــ المهذب فی القراءات العشر. محمد محمد محمد سالم محيسن ج ١ ص ٢٧

٥ــ اللطائف ج ١ ص ٧٠

قال ابن الجزرى: «و قولنا ـ فى الضابط» : ولو بوجه، نريد وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح امفصيحاً، مجمعاً عليه ام مختلفاً فيه، اختلافاً لايضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع و ذاع و تلقاه الائمة بالاسناد الصحيح. اذهو الاصل الاعظم والركن الاقوم.

و هذا هو المختار ـ عند المحققين ـ فى ركن موافقة العربية.

فكم من القراءة انكرها بعض اهل النحو او كثير منهم. ولم يعتبر انكارهم، بل اجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها، كاسكان «بارئكم» و «يأمركم» (١). و نحوه «سبأ» و «يابنى» و «مكر السيىء» (٢) و «نجى المؤمنين» فى الانبياء (٣). والجمع بين الساكنين فى تاءات البزى، و ادغام ابى عمرو (٤) و «اسطاعوا» لحمزة (٥)، و اسكان «نعما» (٦) و «يهدى» (٧). و اشباع الياء فى «نرتعى» و «يتقى ويصبر» و «افئدة من الناس» (٨). وضم «للملائكة

١ـ يفصلها فى الجزء الثانى من النشر ص ١٢ ـ ١٣. و تقدم فى فصل «قراءات شاذة عن السبعة» ص ٧٢

٢ـ تقدم تفصيل ذلك ص ٧٢

٣ـ قرأ ابن عامر بنون واحدة و تشديد الجيم مبنيا للمفعول و نصب المؤمنين. الكشف ج ٢ ص ١١٣ و تقدم ص ٣٦

٤ـ تقدم فى الفصل المذكور ص ٧٢ ـ ٧١

٥ـ ايضاً تقدم ص ٧٢

٦ـ البقرة: ٢٧١. والنساء: ٥٨. قرأ ابوجعفر باسكان العين، و وافقه اليزيدى والحسن. اتحاف فضلاء البشر ص ١٦٥ و بما ان الميم مشددة عند الكل، فيجتمع ساكنان على غير حده.

٧ـ يونس: ٣٥. قرأ ابوجعفر ـ ايضاً ـ باسكان الهاء مع تشديد الدال. و بذلك يجتمع ساكنان على غير حده. الاتحاف ص ٢٤٩.

٨ـ تقدم فى الفصل المذكور ص ٧٣ ـ ٧٢

اسجدوا» (١) و نصب «كن فيكون» (٢)، و خفض «والارحام» (٣)، و نصب «و ليجزى قوماً» (٤). والفصل بين المضافين فيالانعام (٥) و همز «سأقيها» (٦). و وصل «و ان الياس» (٧). و ألف «ان هذان» (٨) و تخفيف «ولاتتبعان» (٩). و قراءة «ليكة» (١٠) فى الشعراء و ص. و غير ذلك» (١١).

قلت: انظر الى هذا التناقض فى كلام هذا الرجل المحقق المضطلع باصول الفن. كيف يحابى بحقائق علمية هنا، و يعترف بها فى موضع آخر، اذكل ما ذكره هنا انما هى قراءات شاذة، لايجوز هو ولا غيره من الائمة قراءتها فيالصلاة، ومع ذلك فقد استشهد بها تدليلا على تقديم ماصح سنده عن القارىء، على قواعد اللغة المقررة، و سنتعرض لذلك.

١ـ قرأ ابوجعفر بضم التاء وصلا، فى البقرة : ٣٤ والاعراف: ١١ والاسراء : ٦١ والكهف : ٥٠ و طه : ١١٦. الاتحاف ص ١٣٤.

٢و ٣ـ تقدم ص ٧٣

٤ـ الجاثية : ١٤. قرأ ابوجعفر : مبنياً للمفعول و نصب «قوماً» الاتحاف ص ٣٩٠

٥ـ الانعام : ١٣٧. تقدم ذلك ص ٧٣.

٦ـ تقدم ص ٧٣

٧ـ الصافات :١٢٣. قرأ ابن عامر بوصل همزة «الياس» فى حين ان الكلمة اعجمية و همزتها قطع. الاتحاف ص ٣٧٠.

٨ـ تقدم ج ١ ص ٣١٨ عن تفسير الفخر ج ٢٢ ص ٧٤

٩ـ يونس : ٨٩. قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفى. قرطبى ج ٨ ص ٣٧٦ و هذه محاولة لتوجيه القراءة، والافظاهر السياق كون «لا» ناهية. و عليه فان كانت النون نون رفع فيجب اسقاطها للجزم. و اما نون التأكيد الخفيفة فلا تلحق الفعل المثنى و جماعة النساء.

١٠ـ تقدم ص ٧٣

١١ـ راجع: النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ١٠

***

قال ابن الجزري: «و نعنى بموافقة أحد المصاحف: ماكان ثابتاً فى بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: «قالوا اتخذ الله ولداً» (البقرة: ١١٦) بغير واو. و «بالزبر و بالكتاب المنير» (آل عمران: ١٨٤) بزيادة الباء في الاسمين. و نحو ذلك فان ذلك ثابت فى المصحف الشامى (١).

وكقراءة ابن كثير: «جنات تجرى من تحتها الانهار» (براءة: ١٠٠) بزيادة «من». فان ذلك ثابت في المصحف المكى (٢).

وكذلك «فان الله هو الغنى الحميد» (الحديد: ٢٤) بحذف «هو» (٣).

وكذا «سارعوا» (آل عمران: ١٣٣) بحذف الواو (٤).

وكذا «منهما منقلباً» (الكهف: ٣٦) بتثنية الضمير (٥).

الى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن، اختلفت المصاحف فيها، فوردت القراءة عن أئمة تلك الامصار على موافقة مصحفهم، فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية، لكانت القراءة بذلك شاذة، لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

قال: و قولنا ــ بعد ذلك ــ «ولو احتمالا» نعنى به ما يوافق الرسم

١ــ و ابن عامر شامى ايضاً. راجع: الجزء الاول ص ٣٥٣

٢ــ و ابن كثير مكى ايضاً. راجع: الجزء الاول ص ٣٥٣

٣ــ في مصحف المدينة والشام. راجع: الجزء الاول ص ٣٥٤

٤ــ في مصحف المدينة والشام. راجع: الجزء الاول ص ٣٥٣

٥ــ في مصحف المدينة والشام. راجع: الجزء الاول ص ٣٥٣

ولو تقديراً، اذ موافقة الرسم قدتكون تحقيقاً، وهو الموافقةالصريحة، و قد تكون تقديراً، و هو الموافقة احتمالا، فانه قد خولف صريح الرسم فى مواضع اجماعاً، نحو «السموات» و «الصلحت» (١) و «اليل» (٢) و «الصلوة» و «الزكوة» (٣) و «الربوا» (٤). و نحو «لنظر كيف تعملون» (٥) و «جاىء» (٦) فى‌الموضعين (٧).

و قد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً، و يوافقه بعضها تقديراً، نحو «ملك يوم‌الدين» فانه كتب بغير ألف فى جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب «ملك الناس». و قراءة الالف‌محتملة تقديراً كما كتب «مالك الملك». فتكون الالف حذفت اختصارا.

و كذلك «النشأة» (٨) حيث كتبت بالالف وافقت قراءة المد تحقيقاً، و وافقت قراءة القصر تقديراً، اذ يحتمل ان تكون الالف صورة الهمز على غير القياس، كما كتب «موئلا» (٩).

و قد تـوافـق اختلافـات القـراءات الـرسم تحقيقـاً، نحو «انصارالله» (١٠).

١ــ فقد رسمت بلا الف و قرءت بألف

٢ــ فقدرسمت بلام واحدة، و تقرأ بلامين

٣ــ رسمت‌بواو، و تقرأ بألف

٤ــ رسمت بواو و الف. و لاتقرأ الواو

٥ــ رسمت بنون واحدة. و تقرأ بنونين «لننظر كيف تعملون» يونس: ١٤

٦ــ رسمت بالف بعدالجيم، والصحيح: «وجیء» ماض مبنى للمفعول

٧ــ الزمر: ٦٩. والفجر: ٢٣

٨ــ قرأ ابن كثير و ابوعمرو بالمد والهمز بعد الالف: «النشآءة» ــ كالكآبة ــ : و قرا الباقون بغير مد ولا الف : «النشأة» ــ كالرأفة ــ . الكشف ج ٢ ص١٧٨

٩ــ اى كماكتبت الهمزة فى صورة ياء

١٠ــ آل‌عمران: ٥٢. راجع: النشر ج ٢ ص ٢٤٠

و «فنادته الملائكة» (١). و «يغفر لكم» (٢). و «يعملـون» (٣). و «هيت لك» (٤). و نحو ذلك» (٥).

***

قال: «و قولنا: وصح سندها، فانا نعنى به ان يروى تلك القراءة، العدل الضابط عن مثله، و هكذا حتى تنتهى. و تكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، او مما شذ بها بعضهم.

قال : وقد شرط بعض المتأخرين «التواتر» و ان ما جاء مجيء الاحاد لا يثبت به قرآن. و هذا مما لايخفى مافيه، فان التواتر اذا ثبت لايحتاج فيه الى الركنين الاخيرين من الرسم و غيره. اذما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبى صلى الله عليه وآله وجب قبوله، وقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه، و اذا اشترطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف، الثابت عن هؤلاء الائمة السبعة و غيرهم. و لقد كنت قبل أجنح الى هذا القـول، ثم ظهر فساده، و موافقة أئمة السلف والخلف» (٦).

١ــ آل‌عمران: ٣٩. قرأ حمزة والكسائى و خلف: «فناديه الملائكة» بألف ممالة بعد الدال، و تكتب بصورة ياء. و قرأ الباقون: «فنادته الملائكة» بتاء التأنيث. والخط يحتمل كلتا القراءتين. النشر ج ٢ ص ٢٣٩

٢ــ آل‌عمران: ٣١. يقرأ بالنون و بالياء

٣ــ البقرة : ٩٦. يقرأ بالياء و بالتاء

٤ــ يوسف: ٢٣ قرأ نافع و ابن‌عامر : «هيت» بكسر الهاء و فتح التاء، و ياء ساكنة فى الوسط و قرأ هشام بهمزة ساكنة فى‌الوسط . و قرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز. و ابن كثير ضم التاء. كل ذلك يتحمله الخط العارى عن النقط والتشكيل. الكشف ج ٢ ص ٨.

٥ــ النشر فى‌القراءات العشر ج ١ ص ١١ ــ ١٢

٦ــ النشر ج ١ ص ١٣

***

هذا جل ماذكره القوم بشأن تحقيق الاركان الثلاثة لقبول القراءة و وصفها بالصحة. و قد نقلنا كلام ابن الجزرى بطوله، فان تحقيقه كان هو الفصل الحاسم، المعروف بين ائمة الفن خلفاً عن سلف. و لم يزد على تحقيقه أحد فيما أعلم. وقد تلقته العلماء بالقبول عبر العصور.

و ان مناقشتنا التالية ـ لهذه الاركان ـ سوف تدور على بنـود ذكرها هذا الامام المحقق، كمقياس اساسى لملاحظتها و تحقيقها فى ضوء الواقعية الراهنة، التى ترفض المحاباة فى مجال البحث والتمحيص.

مناقشة هذه الاركان :

تلك شروط ثلاثة (السند والرسـم والعـربية) ذكـرها السلف و تبعهم عليها الخلف تقليدياً، من غير ما تحقيق عن واقع الامر، وهل تصلح هذه الاركان حلا لمشكلة «اختلاف القراءات»؟ انهـا مشكلة لاتنحل بهكذا مسائل شكلية لا واقع لها، اذا ماجاس الباحث خلال الديار.

وقد لمس الائمة القدامى قصور هذه الاركان عن التعريف بصحيح القراءة، و من ثم أخذوا فى تحريفها و تحويرها يمنة و يسرة، ولكن من غير جدوى فاستبدلوا من شرط «التواتر» ـ الذى كان رائجاً على ألسنة غوغاء الناس ـ كفاية صحة الاسناد، ولكن اذا لم يوجد لبعض القراء اسناد فماذا؟.

و كذلك شرط «موافقة الرسم»، رسم أى مصحف؟

أهو مصحف عثمان «الام»؟، فلم يكن بمعرض العامة.

أم هى المصاحف الاولى المبعوثة الى الافاق؟. فلم يعد لها وجود

منذ عام «٧٤» حيث جمعها الحجاج بأمر عبدالملك بن مروان، فى مرسوم سلطانى عام. و قد حاول بعض الائمة (الامام مالك) العثور على نسخة منها فلم يستطع.

ثم ان قيد: «ولو احتمالا»، يذهب بأثر هذا الاشتراط رأساً.

و اما شرط «العربية» فقيد: «ولو بوجه»، أبطل أثره نهائياً، اذما من قراءة شاذة الاولها وجه فى العربية ولو بعيداً.

هذا أجمال مناقشتنا في هذه البنود، التى اعتبروها شروطاً أساسية لمعرفة صحيح القراءة عن ضعيفها. و اليك التفصيل: ــ

***

اما موافقة الرسم ــ و هو عمدة الشروط ــ فالمصحف الام ــ مصحف عثمان المختص به ــ او مصحف المدينة المودع فى مسجدها، فانه لم يكن بمعرض العموم، فضلا عن ان المعتمد ــ فى تصريح الجماعة ــ هو مطلق المصاحف العثمانية الاولى، لاخصوص المصحف الام.

قال الامام شهاب‌الدين القسطلانى: و اما قول القائل: «و وافق لفظه خط المصحف المصحف الامام» ففيه نظر، من جهة تقييده بالامام، و هو مصحف عثمان الذى أمسكه لنفسه، لان المعتمد: موافقة احد المصاحف العثمانية، كما فى النشر و غيره (١).

و دليلا على ذلك انهم اكتفوا بموافقة سائر المصاحف كمصحف الشام و مكة و غيرهما. فقد أجازوا قراءة ابن‌كثير ــ قارىء مكة ــ: «تجرى من تحتها الانهار» ــ التوبة: ١٠٠ ــ بزيادة «من» لان مصحف مكة كان مشتملا عليها (٢) و ان كان مصحف المدينة خالياً

١ــ لطائف الاشارات لفنون القراءات ج ١ ص ٦٨

٢ــ الكشف ج ١ ص ٥٠٥

عن ذلك (١).

و قرأ ابن‌عامر ـ قارىء الشام ـ : «ولدار الاخرة» ـ الانعام : ٣٢ ـ بلام واحدة. لان مصحف الشام كان هكذا (٢). و قرأ الباقون بلامين «وللدار الاخرة» (٣).

فلم يكن مقياس «موافقة المصحف» هو المصحف الامـام، بل جميع المصاحف العثمانية ـ الخمسة او السبعة ـ المبعوثة الى الافاق.

ولكن كيف الحصول على موافقتها؟ ولم يعد لها وجود، قبل ان ينتهى القرن الاول، اذلم يمض على حياتها اقل من نصف قرن‌الاوقد أكل عليها الزمان و شرب و لم يبق لها أثر على صفحة الوجود.

و ذلك منذ أن تحول الخط (خط المصحف بالخصوص) من‌حالته البدائية الاولى الى مراحل جديدة، ايام ولاية الحجاج بن يـوسف الثقفى على العراق، ابتداء من سنة ٧٤ هـ فما بعد. فقد أخذت المصاحف فى تطور و تحسن فى خطها و نقطها و تشكيلها و سائر المحسنات.

و قد بعث الحجاج بمصاحف ـ من الطراز الحديث ـ الى‌الافاق، و أمر بجمع سائر المصاحف، و منها المصاحف العثمانية الاولى، و حتى ان المصحف الامام ـ و كان محتفظاً به في وعـاء فـى المسجد النبوى ـ صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ أخفاه آل عثمان ضناً به.

حكى ابو احمد العسكرى ـ في كتاب «التصحيف» ـ : ان الناس غبروا يقرأون فى مصحف عثمان بن عفان نيفاً و اربعين سنة، الى ايام عبدالملك بن‌مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع‌الحجاج ابن يـوسف الى كتابه وسألهم ان يضعـوا لهذه الحـروف المشتبهة

١ــ راجع: الجزء الاول ص ٣٥٣

٢ــ راجع : الجزء الاول ص ٣٥٣

٣ــ الكشف ج ١ ص ٤٢٩

علامات ... (١).

و يحدثنا محرز بن ثابت، مولى سلمة بن‌عبدالملك، عن أبيه، قال: كنت فی‌حرس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف (منقطة، ومشكلة، ومخمسة، ومعشرة، على يد نصر بن عاصم الليثی، و صاحبه يحيى بن يعمر، تلميذى ابی الاسود الدؤلی (٢)) ثم بعث بهـا الى الامصار، و بعث بمصحف الى المدينة فكره ذلك آل عثمان. فقيل لهم: أخرجوا مصحف عثمان ليقرأ، فقالوا ـ ضناً به ـ اصيب المصحف يوم مقتل عثمان.

قال محرز : وبلغنی ان مصحف عثمان صار الى خالدبن عمرو ابن عثمان.

قال: فلما استخلف المهدی العباسی، بعث بمصحف الى المدينة، فهو الذی يقرأ فيه اليوم. و عزل مصحف الحجاج، فهو فی الصندوق الذی دون المنبر.

قال ابن زبالة : حدثنی مالك ابن أنس ـ امام المالكية ـ (٩٣ ـ ١٧٩) قال: ارسل الحجاج الى أمهات القرى بمصاحف، فارسل الى المدينة بمصحف منها كبير، و هواول من‌ارسل بالمصاحف الی‌القری، و كان هذا المصحف فی صندوق عن يمين الاسطوانة التی عملت علماً لمقام النبی صلی‌الله عليه وآله و كان يفتح فی يوم الجمعة والخميس، و يقرأ فيه اذا صليت الصبح. فبعث المهـدی بمصاحف لهـا أثمان، فجعلت فی صندوق، و نحی عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، و وضعت لها منابر كانت تقرأ عليها، و حمل مصحف‌الحجاج فی صندوقه، فجعل عند الاسطوانة التی عن يمين المنبر (٣).

١ـ التصحيف ص ١٣. راجع : ابن خلكان ـ فی ترجمة الحجاج ـ ج ٢ ص ٣٢

٢ـ معرفة القراء الكبار ـ الذهبی ـ ج ١ ص ٥٨

٣ـ وفاءالوفاء للسمهودی، ج ٢ ص ٦٦٧ ـ ٦٦٨

قال ابن وهب: سألت مالكاً عن مصحف عثمان، فقال: ذهب (١).

ويروى الشاطبى عن مالك، أنه قال: «ان مصحف عثمان تغيب فلم نجد له خبراً بين الاشياخ» (٢) و فى كلامه هذا: انه حاول العثور عليه فلم يستطع، الامر الذى يدل على انقطاع اثره من صفحة الوجـود بالكلية، والا فلو كان له وجود، لماكان يختفى عن مثل مالك.

تلك حالة المصاحف العثمانية الاُولى لم يعد لها أثر فى الوجود، أما سائر المصاحف فلا تصلح مقياساً لموافقتها او مخالفتها. لان قيمة تلكم المصاحف الاولى كانت باعتبار انتمائها الى الصحابة الاُولين، اما غيرها فلم يثبت لها هذا الاعتبار.

و لعلك تقول : يحتمل ان تلكم المصاحف المتأخرة كتبت علـى نفس كتابة المصاحف الاولى حرفياً، قلت: هذا احتمال، ولا يمكننا ان نعتمد احتمالا نحتمله مالم نستوثق من تحققه واقعاً قطعياً. هذا فضلا عن التصريح بانها كتبت على اسلوب حديث كان يختلف عن اسلوب المصاحف الاولى بكثير، والالم تعد حاجة الى جمعها، فكانت تنقط و تشكل فحسب، اما ابعادها عن صفحة الوجود فلا سبب له سوى التغيير الجذرى الحاصل فيما بعد.

نعم، اصل املاءالخط ـ فىصورتهالبدائية ـ بقى محفوظاً ـنسبياًـ لم يمسوه بيد اصلاح، حسب ما قدمنا (٣). و سجل جزئياته اربـاب المصاحف كابن الانبارى و ابن ابى داود و غيرهما، و كانواهم حلقة الاتصال بيننا وبينالمصاحف الاولى بعضالشىء، الامرالذى لانستطيع الاستيثاق بكليته تماماً.

١ــ البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٢

٢ــ وفاء الوفاء ج ٢ ص ٦٦٩

٣ــ فى الجزء الاول ص ٣١٧

***

و أخيراً فـان اضافـة قيد «ولـو احتمالا» ذهبت بفائدة هذا الاشتراط حيث اكثر القراءات الشاذة، بل والمرفوضة بالاجماع ايضاً، يمكن توفيقها مع ظاهـر الرسم حيث لانقط ولا تشكيل ولا ألفـات ولاغير ذلك من علائم فارقة حسبما تقدم.

مثلا قراءة ابن مقسم: «خلصوا نجباً» بالباء (١) يحتملها الخط. وكذا قراءة ابن محيصن: «فلاتشمت بي الاعداء» بفتح تاء المضارعة (٢). و قراءة ابى حنيفة: «انما يخشى الله - بالرفع - من عبـاده العلماء - بالنصب» (٣). و قراءة الحسن: «لاريباً فيه» بالنصب والتنوين (٤). وقراءته: «ظلمات» بسكون اللام حيثما وقع فى القرآن (٥). وقراءته: «يخطف» بكسر الياء والخا والطاء، مع تشديدها (٦). و قراءتـه: «وعلم آدم» بالبناء للمجهول (٧) و قراءة المطوعى: «يسمعـون كلم الله» بلا الف، و كسر اللام (٨). و قراءة ابن السميقع: «ننحيك» بالحاء (٩). و قراءة الحسن: «او تنسها» بتاء الخطاب (١٠) و قراءة ابن محيصن : «فأحيا به الارض» بضم هاء الضمير (١١). و قـراءة قتادة : «فاقيلوا انفسكم» بالياء (١٢). و قراءة ابن زيد «فاذا عزمت» بضم التاء (١٣). و قراءة الحسن : «فرغ عن قلوبهم» بالراء المهملة

١- اعجاز القرآن للرافعي. قانون التفسير ص ١٧٠

٢- اتحاف فضلاء البشر ص ٢٣١. تأويل مشكل القرآن ص ٦١

٣- القرطبى - التفسير ج ١٤ ص ٣٤٤

٤- ٨- القراءات الشاذة. عبدالفتاح ص ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦

٩- تفسير القرطبى ج ٨ ص ٣٧٩

١٠ و ١١ - القراءات الشاذة ص ٢٩ و ٣١

١٢- تفسير القرطبى ج ٤ ص ٢٥٢

١٣- القرطبى ج ٤ ص ٢٥٢

والغين المعجمة (١). كل ذلك يحتمله الخط العـارى عن النقط والتشكيل.

و غير ذلك مما يطول. راجع كتب القراءات الشاذة، تجد غالبية تلكم القراءات يمكن توفيقها مع ظاهر الرسم الاول، فأين «موافقة الرسم» من صلاحية كونها دليلا على تعيين القـراءة الصحيحة عن الشاذة؟!

***

اما شرط «السند» ـ لتكون القراءات بأسرها متصلة الأسناد الى النبى صلى‌الله عليه و آله فهذا شيء لانستطيع تعقله، فضلا عن امكان اثباته.

اولا: القراء مختلفون فى القراءات، و كل قارىء له اسلـوب خاص و منهج يختص به دون من سواه. و له فى كل آية فنون من انواع القراءة، بل فى كل كلمة يقرؤها على أساليب يبتدعها كفن.

أفهل يصح ان ننسب كل هذه القراءات المتنوعة من كل قارىء قارىء، فى جميع آى القرآن، الى النبى صلى‌الله عليه و آله؟!

أفهل نستطيع ان ننسب مثل تاءات البزى (٢) و ادغام ابى عمرو (٣)

١ــ اتحاف فضلاء البشر ص ٣٦٠

٢ــ هو صاحب قراءة ابن‌كثير من السبعة، توفى ٢٥٠ هـ. كان يشدد التاء التى تكون فى اوائل الافعال المستقبلة حالة الوصل، نحو: «ولاتيمموا الخبيث» ــ البقرة : ٢٦٧ ــ و هى لغة غريبة عن متعارف العرب اطلاقاً. انظر: التيسير ص ٨٣. والنشر ج ٢ ص ٢٣٢. والكشف ج ١ ص ٣١٤.

٣ــ هو احد السبعة، توفى ١٥٤ هـ كان يدغم المثلين اذا كان من كلمتين، سواء سكـن ما قبله او تحرك، نحو: «شهر رمضان» البقرة : ١٨٥ ــ و هــو من الجمع بين ساكنين على غير حده. انظر : التيسير ص ٢٠.

و اسكان حمزة (١) و نبر الكسائی (٢) و مدة ورش (٣) و غير ذلك من مبتدعات القراء المستنكرة، الى رسول الله صلی الله عليه وآله؟

قال ابن قتيبة: «ولايجعل لحن اللاحنين من القراء المتأخــرين حجة على الكتاب. و قدكان الناس قديماً (على بداوتهم) يقــرأون بلغاتهم (وفق لهجاتهم الفطرية).

ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الامصار (المتحضريــن) و ابناء العجم (٤) ليس لهم طبع اللغة (لم تكن اللغة من فطرتهم) ولا علم التكلف (لم يتقنوا علم العربية) فهفــوا فــى كثير مــن الحــروف (القراءات) وزلوا و قرأوا بالشاذ و أخلوا.

منهم رجل (حمزة) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، لم أرا كثر تخليطا و اشد اضطراباً منه (٥)، نبذ فى قراءته مذاهب العرب و اهل

١ــ فى قوله تعالى : «فما استطاعوا» ــ الكهف : ٩٧ ــ قرأها : «فما اسطاعوا» بادغام التاء فى الطاء مع سكون السين. انظر التيسير ص ١٤٦. والنشر ج ٢ ص ٣١٦.

٢ــ كان ينبر بالحرف، اى يهمزه، و قريش لم تكن تهمز فى كلامها، فلاتقــول فى «النبى»: «النبىء». انظر: النهاية ج ٥ ص ٧ و قد تقدم ذلك.

٣ــ هو صاحب قراءة نافع من السبعة، توفى ١٩٧ هـ. كان هو و حمزة أطــول القراء مداً، راجع : التيسير ص ٣٠. والاتحاف ص ٣٧.

٤ــ يريد غالبية القراء المعروفين، وهم من ابناء العجم. قال الدانى: وليس فى القراء السبعة من العرب غير ابن عامر و ابى عمرو، والباقون هم موال. التيسير ص ٦.

٥ــ كان يستعمل فى الحرف ما يدعه فى نظيره، ثم يؤصل اصلا و يخالف الى غيره لغير ما علة. قرأ: «ومكر السىء ولا يحيق المكر السىء الاباهله» ــ فاطر: ٤٣ ــ اسكن الهمز والياء فى «السىء» الاول. و اعرب الثانى. (تأويل المشكل ص ٦٣). و أصل اسكان جميع الياءات التى اختلف فيها القراء الاياء «محياى» فانه فتحها و كسر ياء «بمصرخى» وليست بياء اضافة. (الكشف ج١ ص٣٢٨) وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة، قال الفراء لعلها من وهم القراء، فانه قل من سلم منهم من الوهم، و لعله ظن ان الباء فى «بمصرخى» خافضة للفظ كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك. و قال الاخفش : ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين. (راجع: البحر المحيط ج ٥ ص ٤١٩).

الحجاز، بافراطه فی المد والهمز والاشباع. و افحاشه فی الاضجـاع والادغام. وقدشغف بقراءته العوام (١) . رأوه عندقراءته مائل الشدقين، دار الوريدين، راشح الجبينين، فتوهموا أن ذلك لفضيلة وحذق بها.

و ليس هكذا كانت قـراءة رسول الله ـ صلی الله عليه و آلـه ـ ولاخيار السلف ولاالتابعين.

قال: و ما اقل من سلم من هذه الطبقة من الغلط والوهم، فقد قرأ بعض المتقدمين (يريد الحسن البصری) (٢): «ماتلـوته عليكـم ولا ادرأتكم به» (يونس: ١٦) فهمز، و انما هــو من «دريت بكذا و كذا».

و قرأ (ای الحسن ايضاً): «و ماتنزلت به الشياطون» (الشعراء: ٢١٠) توهم انه جمع بالواو والنون (٣).

و قرأآخر (يريد ابن محيصن) (٤): «فلاتشمت بی الاعـداء» (الاعراف: ١٥٠) بفتح التاء، و كسر الميم، و نصب «الاعداء». وانما هو من أشمت الله العدو فهويشمته، ولايقال: شمت الله العدو.

و قرأ الاعمش (٥): «و ما انتم بمصرخی» (ابراهيم: ٢٢) بكسر الياء، كأنه ظن ان الباء تخفض الحرف كله و اتبعه علی ذلك حمزة» (٦).

١ـ لكن ظاهر الائمة قبول قراءاته اطلاقاً، فهذا مكی اشبع كتابه بقراءات حمزة محتجاً بها. و كذا غيره من أئمة القراءات الذين دونوا قراءات السبعة او العشرة وغيرهم قال الذهبی: قد انعقد الاجماع بأخرة علی تلقی قراءة حمزة بالقبول والانكار علی من تكلم فيها. (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٠٥).

٢ـ راجع القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٤٦. والبحرالمحيط ج ٥ ص ١٣٣.

٣ـ راجع: القراءات الشاذة ص ١٠٨. والكشاف ج ٣ ص ١٢٩. والبحر ج ٧ ص ٤٦ والقرطبی ج ١٣ ص ١٤٢.

٤ـ راجع: البحر المحيط ج ٤ ص ٢٩٦.

٥ـ راجع: البحر ج ٥ ص ٤١٩. والاتحاف ص ٢٧٢. والكشاف ج ٢ ص ٣٠٠.

٦ـ تأويل مشكل القرآن ص ٥٨ الی ص ٦٤

و جعل يسرد من امثال هذه القراءات الغريبة من ائمة السلف، مما لايمكن استنادها الى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله **قطعياً.**

***

و بعد ... كيف يصح لنا ان ننسب امثال هذه الغرائب ـ باسم القراءات السبع او الحروف السبعة الى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله. و هل ذاك الا جفاء و ظلم بساحة قدسه الشريف؟!

نعم غاية ما هناك، ان أرباب كتب القراءات لفقوا لكل قارىء اسناداً متصلا الى النبى صلى‌الله عليه‌وآله، و هذا لا يعنى اسناد جميع قراءاته و أفنانها و تنوعاتها اليه ـ صلى‌الله عليه وآله ـ.

هذا فضلا عن انها أسانيد تشريفية مصطنعة، كما لم يعرف لبعض القراء اسناد ظاهر كابن عامر مثلا، حسبما تقدم.

***

ثانياً، كيف خفيت رواية تلك القراءة عبر عشرات السنين، حتى ظهرت على يدأحد هؤلاء القراء؟ فهذا الكسائى (توفى ١٩٨) له قراءات خاصة، و بعضها مستنكرة، كيف خفيت على من تقدمه لمدةقرن و نصف، ثم ظهرت على لسانه هو؟.

ثالثاً : ما تلك الاستنكارات على كثير من قراءات السبعة، ان كانت قراءاتهم جميعا مأثورة بالاثر الصحيح عن رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله؟

و ما تلك التعاليل والحجج الاجتهادية لتوجيه القراءات؟ اذلم تعد حاجة الى تعاليل لوكانت منقولة عن النبى صلى‌الله‌عليه وآله بسند صحيح!

و قد تقدم توضيح ذلك جميعاً.

***

أما اشتراط «موافقة العربية» فقد حط من قيمته، او ألغى أثره بالمرة، اضافة قيد «ولو بوجه»، و لاسيما مع تعميم القسطلانى: «سواء كان راجحاً ام مرجوحاً» (١).

اذما من قراءة مهما كانت شاذة، فان لها توجيها فىالعربية، بعد ان كانت قواعدها ذات مطاطية قابلة للانعطاف مع مختلف الوجوه.

نعم لابد لهم من اضافة هذا القيد، بعد ان كانت القراءات ولاسيما السبع ذات طابع تحميلى، فيجب قبولها و من ثم يجب توجيهها حسب الامكان.

ان هذه الاركان وضعت على ضوء التسالم على القراءات السبع او العشر، و من ثم يجب تحويرها بما يتفق معها، فهى علاج للقضية بعد وقوعها. فاللازم هو التصرف فى الشرائط بما يتلائم و وجوه القراءات، و ليست القراءات هى التى تناقش على ضوء هذه الاركان.

و لذلك تجدهم يعالجون حدود هذه الشرائط حسب ما ورد من قراءات هؤلاء السبعة او العشرة. ولم نرهم يناقشون قراءة مأثورة عن هؤلاء على ضوء الاركان المذكورة.

قال الدانى ـ بعد حكاية انكار سيبويه لاسكان ابىعمرو فى مثل «بارئكم» و «يأمركم» ـ : والاسكان أصح فى النقل واكثر فىالاداء، و هو الذى أختاره و آخذ به.

قال : و أئمة القراء لاتعمل فى شىء من حروف القرآن على الافشى فى اللغة، والاقيس فىالعربية، بلعلى الاثبت فىالاثر، والاصح

١ـ راجع: لطائف الاشارات ج ١ ص ٦٧.

في النقل، والرواية اذا ثبتت عنهم لم‌يردها قياس عربية ولافشو لغة، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها (١).

انظر الى هذا الترمت والاختيار التقليدى المحض، و ان دل‌فانما يدل على مبلغ ضغط التحميل المذكور.

وسنبحث عن مناشيء هذا التحميل الذى تحقق على يد قاريء بغداد الرسمى «ابن مجاهد» على‌رأس القرن الرابع، كما ان المذاهب الفقهية انحصرت ـ فى نفس الوقت ـ فى اربعة، و اغلق باب الاجتهاد و حرية اختيار المذهب خارج الاربعة.

يقول ابن الجزرى: «وقولنا فى الضابط : ولوبوجه، نريد وجها من وجوه النحو، سواء كان أفصح او فصيحاً، مجمعاً عليه ام مختلفا فيه، اختلافاً لايضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع و ذاع، و تلقاه الائمة بالاسناد الصحيح، اذهو (اى الاسناد الصحيح الى القاريء) الاصل الاعظم والركن الاقوم. و هذا هو المختار عند المحققين فـى ركن العربية، فكم من قراءة انكرها بعض اهل النحو او كثير منهم ولم‌يعتبر انكارهم، بل اجمع الائمة المقتدى بهم من‌السلف على قبولها (٢)... ثم يذكر امثلة من‌قراءات انكرها ائمةالنحو، لكنها وقعت‌موردالقبول، لانها مأثورة عن القراء بالاسناد الصحيح.. و قد تقدمت الامثلة (٣).

و هكذا يقول القسطلانى : «والمراد باستقامة وجهه فى العربية، سواء كان راجحاً ام مرجوحاً، كقراءة حمزة : «والارحام» بالجر. و قراءة ابى جعفر: «ليجزى قوماً» بالبناء للمفعول و نصب «قـوماً». والفصل بين المضافين فى قوله : «و كذلك زين‌لكثير من‌المشركين... الاية» (٤).

١ــ نقلا عن كتابه «جامع البيان». النشر ج ١ ص ١٠

٢ــ النشر ج ١ ص ١٠

٣ــ فى صفحة : ١٢٢ ــ ١٢٣

٤ــ لطائف الاشارات ج ١ ص ٦٧

انظر الى هذا التهافت فى الاختيار، تراهم لايتجاوزون حدود تقليد مفروض عليهم و يزعمونه تحقيقا فىالبحث وحرية فىالاختيار.

ان اكثر القراءات التى جاءت فى كلام ابن الجزرى و غيره هى من الشواذ المخالفة لقواعد اللغة رأساً، ولايجيز الفقهاء قراءتها فى صلاة و لافى غيرها، و قد تقدم انكار احمد بن حنبل كثيراً منقراءات حمزة، و كذلك غيره، و مع ذلك فان بعضهم يقف من هذه القراءات موقف المتحمس الحاد من غير مبرر معقول.

يقول ابن السبكى : القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى، والثلاثة التى هى قراءة ابى جعفر، و قراءة يعقوب، و قراءة خلف، متواترة، معلوم منالدين بالضرورة و انه منزل على رسول اللهصلى الله عليه وآله لايكابر فى شىء من ذلك الاجاهل. وليس تواتر شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هو متواتر عند كل مسلم يشهد الشهادتين. وحظ كل مسلم و حقه ان يدينالله تعالى و يجزم يقينه بان ماذكرنا متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا الارتياب الى شىء منه.

ويتعقبه القسطلانى: فقد علم ان السبع متواترة اتفاقاً. و كذا الثلاثة. و ان الاربعة بعدها شاذة اتفاقاً (١).

١ـ المصدر ص ٧٦ ـ ويشبه ذلك ـ ايضاً ـ اعتذار ابن مطرف فى كتاب «القرطين» ج ٢ ص ١٥ ـ الذى اختصره عن تأويل مشكل القرآن ـ حيث يطوى الكلام على حمزة، قائلا: «و باقى الباب لم اكتبه لما فيه منالطعن على حمزة، و كان أورع اهل زمانه».

و يعلق السيد احمد صقر علىهذا الاعتذار الخاطىء : «هكذا قال ابن مطرف، و هو قول يدل على عصبية مضلة، و غفلة عن قيمة الحقائق العلمية، وأى فائدة اعظم من ان يبين ابن قتيبة فى باقى الباب، اوهام القراء التى وهموا فيها، وسجلهاعليهم العلماء الاثبات، وبينوا خطأهم فيها، و هل طعن ابن قتيبة فى حمزة بغير الحق؟ (هامش تأويل مشكل القرآن ص ٥٩).

انظر الى هذا التحمس الأعمى الـذى يبدو عليه اثـر التحميل بوضوح والا فماوجه الانحصار فى هؤلاء السبعة و فى غيرهم من هو افضل منهم و أتقن واولى.

و فيمايلى عرض موجز عن قراءات شاذة يمكن توجيهها وفـق وجه من وجوه العربية، الامرالذى يكفيك دليلا علـى سقوط هـذا الاشتراط، و عدم صلاحه لتمييز القراءة الصحيحة المقبولة، عن الشاذة المرفوضة :

***

*ـ قرأ ابوحنيفة و عمربن عبدالعزيز: «انما يخشى الله من عباده العلماء» ـ فاطر : ٢٨ ـ برفع اسم الجلالة و نصب العلماء (١).

و يمكن توجيه هذه القراءة بتفسير «الخشية» ـ هنا ـ بمعنى الاجلال والتعظيم لاالخوف (٢).

*ـ و قرأ الحسن: «هوالله الخالق البارىء المصور» ـ الحشر: ٢٤ ـ بفتح الواو المشددة والراء.

وتوجهبتقدير «المصور» مفعولابه للبارىء، مراداًبهالمخلوق (٣).

*ـ وقرأ الاعمش والحسن : «وهو يطعم ولا يطعم» ـ الانعام: ١٤ـ على بناء الفعل الاول للمفعول، والثانى للفاعل. و تأويل الضمير فى «وهو» بارجاعه الى «ولياً» (٤).

*ـ وقرأ جابربن زيد: «فاذاعزمت فتوكل على الله» ـ آل عمران:

١ـ القرطبى ج ١٤ ص ٣٤٤

٢ـ راجع: البرهان ج ١ ص ٣٤١

٣ـ القراءات الشاذة ـ عبدالفتاح ـ ص ٨٩

٤ـ البرهان ج ١ ص ٣٤١

١٥٩ ـ بضم تاء «عزمت» على تأويل: فـاذا أرشدتك اليه و جعلتك قاصداً له (١) و نسبت هذه القراءة الى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام ايضا، لكنها لم تثبت عندنا.

*ـ و قرأ الحسن: «شهدالله انه لااله الاهو» ـ آل‌عمران : ١٨ ـ بكسر «ان» على اجراء «شهد» مجرى «قال» (٢).

*ـ و قرأ الحسن و ابن السميقع: «و ما تنزلت به الشياطـون» (الشعراء : ٢١٠) قال الفراء : غلط الشيخ، و قال النحاس: هذا غلط عند جميع النحويين. و قال محمد بن يزيد: هذا غلط عند العلماء. و قد رأى الحسن فى آخره ياء و نوناً فاشتبه عليه بالجمع السالم فغلط.

هذا.. ويمكن توجيه قراءته ايضاً ولوبعيداً: قال المورج: ان‌كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما (الحسن و ابن السميقع) وجه، و قال يونس بن حبيب سمعت اعرابياً يقول: دخلنا بساتين من ورائها بساتون (٣).

فان كان التوجيه فى العربية ـ ولو بوجه بعيد او مرجـوح ـ كافياً فى تصحيح القراءة، فهذه القرأة التى هى أشذ القراءات الشاذة اصبحت ذات وجه فى العربية، قياساً و سماعاً..!

***

*ـ ومن‌السبعة قرأحمزة: «فاتقوا الله الذى تساءلون به والارحام» (النساء : ١) بخفض «الارحام» عطفاً على الضمير فـى «بـه» (٤) والعطف على الضمير و ان كان قبيحاً عند البصريين، لكنه جاء فـى

١ـ المصدر. و راجع: القرطبى ج ٤ ص ٢٥٢. و مجمع‌البيان ج ٢ ص ٥٢٦

٢ـ اتحاف فضلاء البشر ص ١٧٢

٣ـ راجع : القرطبى ج ١٣ ص ١٤٢

٤ـ الكشف ج ١ ص ٣٧٥

اشعار العرب، و قد اجازه الكوفيون على ضعف (١).

*ـ و قرأ ابن عامر: «فانما يقول له كن فيكون» (البقرة: ١١٧) بنصب «فيكون». و وافقه الكسائى على النصب فى سورة النحل: ٤٠ و يس: ٨٢. و هو مشكل ضعيف (٢). لكنه وجه فى العربية، و من ثم قرأ به الكسائى.

*ـ وقرأ ابن عامر ـ ايضاً ـ: «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم» (الانعام : ١٣٧) «زين» مبنياً للمفعول. و «قتل» مرفوعاً. و «اولادهم» منصوباً. و «شركائهم» بالخفض.

فقد فصل بين المضافين، و قدم المفعول على الفاعل المضاف اليه. و هذه القراءة فيها ضعف، للتفريق بين المضاف والمضاف اليه، و هذا انما يجوز فى الشعر، و اكثر ما يجوز فى الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها. و هو مع المفعول به فى الشعر بعيد، فاجازته فى القرآن أبعد (٣).

*ـ وقرأ نافع: «فبم تبشرون» (الحجر : ٥٤) بكسر النون. و غلطه ابوحاتم (٤). لان نون الرفع لاتكسر، لئلا تصير تابعة. و قدجاء ذلك فى الشعر (٥).

*ـ وقرأ ابوجعفر ـ هو من العشرة ـ: «ليجزى قوماً» (الجاثية: ١٤) بالياء المضمومة و فتح الزاى مبنياً للمفعول، مع نصب «قـوماً». و تأويل ذلك: ان يجعل المصدر نائباً عن الفاعل، اى يجزى الجزاء، و هو ضعيف، لاسيما مع ذكر المفعول به. قاله القاضى (٦).

١ـ املاء ابى البقاء ج ١ ص ١٦٥

٢ـ الكشف ج ١ ص ٢٦١

٣ـ الكشف ج١ص ٤٥٤

٤ـ البحر المحيط ج ٥ ص ٤٥٨

٥ـ املاء ابى البقاء ج ٢ ص ٧٦

٦ـ الاتحاف ص ٣٩٠

***

والقراءات من هذا النمط كثيرة، والمحاولات في توجيههن أكثر، و لقد كان الاهتمام بشأن القراءات و توجيههن وفق قواعد العربية صنعة اقوى من توجيه القراءة المشهورة.

قال الامام بدرالدين الزركشي : «و توجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة. و من احسن ما وضع فيه كتاب «المحتسب» لابي الفتح، الا انه لم يستوف. و أوسع منه كتاب ابي البقاء العكبري. و قد يستبشع ظاهر الشاذ بادیء الرأي فيدفعه التأويل» (١) ثم جعل يسرد امثلة مما قدمنا.

قلت : فما موقعية اشتراط «موافقة العربية» معياراً لتعيين القراءة الصحيحة عن الشاذة ؟!. و كل قراءة مهما شذت فان لها تأويلا ممكنا يتوافق مع وجه من وجوه العربية ولو بعيداً، كما تقدم.

وقد وضع كثير من القدامى والمتأخرين رسائل لمعالجة القراءات الشاذة و توجيهها من لغة العرب، الامر الذي يجعل من اشتراط العربية لغواً محضاً.

***

ولعل معترضاً يقول: هب ان كل واحد من الاركان الثلاثة لايفي بتعيين القراءة الصحيحة، لكنها جميعاً صالحة للايفاء بذلك، حيث لايمكن اجتماعها الا في قراءة صحيحة.

قلنا: اما اشترط السند فاقرأه عني السلام، اذ لا نملك لاحاد القراءات اسناداً متصلا الى النبي صلى الله عليه وآله واحدة واحدة، فكيف بصحته

١ـ البرهان ج ١ ص ٣٤١.

او تواتره. اذغاية ما هناك ان لكل قارىء شيخاً، و لشيخه ايضاً شيخ و هكذا، أما ان آحاد قراءاته جميعاً مأخوذة من شيخه ذاك، فهذا امر لايمكن اثباته، حيث كانت اجتهادات القـراء انفسهم هـي من اكبر العوامل لاختياراتهم في القراءات فهذا الكسائي ـ مثلا ـ لم يكن يحسب لمشيخته فيما كان يختاره من وجه حساباً، و كذا غيره من القراء، ولا سيما النحويين منهم، كما سيأتي، و راجع: معرفة القـراء ج ١ ص ١٠٠.

هذا فضلا عن الشك في اصل تلكم الاسانيد، و لعلهـا مصطنعة تشريفياً حسبما تقدم.

و بقي الشرطان الاخران ـ موافقة الرسم والعربية ـ غير ان قيد: «ولو احتمالا» و «ولو بوجه» ابطل أثرهما، بعد امكان التوفيق بين القراءات الشاذة و مرسوم الخط والعربية ولو بعيداً. فالصحيح ان هذه الشروط الثلاثة لاتفي علاجاً بالموضوع، و انمـا ذكرهـا من ذكرها ظاهرياً، و تبعه غيره تقليدياً من غير تحقيق.



اختيارنا في ضابط القبول

ونحن اذكنا نعتبر القرآن ذاحقيقة ثابتة، و مستقلا بذاته، متغائراً عن القراءات جملة، فان مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» عندنا منحلة، و هي التي تتوافق مع النص المتواتر بين المسلمين، منذالصدر الاول فالى الان. ولميكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كيفية التعبير عن هذا النص، حسب اجتهادات القراء و لاعبرة بهم اطلاقاً، و انما الاعتبار بالنص الاصل المحفوظ كاملا على يد الامة عبر الاجيال.

وقد تقدم كلام الامام بدرالدين الزركشي : «القرآنوالقراءات حقيقتان متغائرتان... الخ» (١)

و كلام سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ــ دام ظله ــ : «تواترالقرآن لايستلزم تواتر القراءات، لان الاختلاف في كيفية (اداء) الكلمة، لاينافي الاتفاق على اصلها... الخ» (٢).

و هكذا تعاهد المسلمون نص القرآن أمة عن أمة، نقلا متواتراً في جميع خصوصياته الموجودة، نظماً و ترتيباً، و رسماً و قراءة، بكل

١ــ في صفحة ٤٨ ــ ٤٧ و راجع : البرهان ج ١ ص ٣١٨

٢ــ فيصفحة ٨٠ و راجع : البيان ص ١٧٣

أمانة و اخلاص عبر العصور، معجزة قرآنية خالدة: «انا نحن نـزلنا الذكر و اناله لحافظون» (١) اى على يد هذه الامة مع الابدية.

و عليه فالقراءة الصحيحة هى: التى تتوافق مع هذا النص المتفق عليه لدى عامة المسلمين، و غيرها شاذة غير جايزة اطلاقاً، ولاسيما اذا كانت تخالفه جوهرياً فباطلة بالاجماع.

و توضيحاً لهذا الاجمال لابد من تمهيد مقدمة، نستوضح فيهـا مسألة «تواتر النص القرآنى» ثم التعرج الى مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» نظراً للعلاقة القريبة بين المسألتين فى صميم هذا البحث، واليك بايجاز :ـ

تواتر القرآن:

مما يبعث على اعتزاز جانب هذه الامة، هو تحفظهم علـى كتاب الله نصاً واحداً ـ كما انزل على النبى محمد صلـى‌الله عليه و آله ـ طول التاريخ.

المسلمون ـ على اختلاف نزعاتهم و تباين آرائهم و مذاهبهم ـ اتفقوا كلمة واحدة، منذ الصدر الاول ـ عهـد الصحابة الاولين ـ و هكذا عبر الاجيال، أمة بعد أمة، حتى العصـر الحـاضر، و سيبقى مع‌الدهر، على نص القرآن الاصيل، فى جميع حروفه و كلماته، ونظمه و ترتيبه، و قراءته. تلقوه من‌الـرسول الاعظـم صلى‌الله عليه و آله وتوارثوه يداً بيد، فى حيطة كاملة و حذر فائق.

و مانقرؤه اليوم هو الذى كان يقرؤه المسلمون فى العهد الاول. و ما نجده اليوم من النص المثبت بين الدفتين، هو الذى اثبته السلف الصالح كما اخذوه من فى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآلـه بلاتحـوير

١ـ سورة الحجر : ٩

ولاتحريف قط.

حدث محمد بن سيرين (ت ١١٠) عن عبيدة السلماني (ت ٧٣) قال: «القراءة التي عرضت على النبي صلىالله عليهوآله فيالعام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم» (١)

و قال خلاد بن يزيد الباهلي (ت ٢٢٠) : قلت ليحيى بن عبدالله ابن ابي مليكة (ت ١٧٣): ان نافعاً حدثني عن ابيك عن عائشة، أنها كانت تقرأ: «اذتلقونه» بكسر اللام و ضم القاف (٢) ـ و تقول: انها من «ولق الكذب»! فقال يحيى: مايضرك ان لاتكون سمعته عنعائشة، و ما يسرني أني قرأتها هكذا، ولي كذا و كذا!

قلت : ولم؟ وأنت تزعم أنها قد قرأت!

قال: لانه غير قراءة الناس. و نحن لو وجدنا رجلا يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا و بينه الا التوبة او نضرب عنقه. نجيء به نحن عن الامة عن النبي صلىاللهعليه وآله عن جبرئيل عنالله عزوجل، و تقولون أنتم: حدثنا فلان الاعرج عن فلان الاعمى! ان ابن مسعود يقرأ مابين اللوحين، ما أدرى ماذا؟ انما هو والله ضرب العنق او التوبة (٣).

انظر الى هذا الوصف الجميل عن تواتر النص و أصالته: يرويه أمة عن أمة عن رسولالله صلىاللهعليه وآله. لافلان عن فلان. !

و يجعل المعيار لمعرفة القراءة الصحيحة هي: «قراءة الناس». و يجعل غيرها شاذة لا تجوز قراءته بتاتا او يضرب عنق باريها، وليس سوى انه خارج عن قراءة الناس ..!

قال هارون بن موسى الازدي صاحب القراءات (ت ح ٢٠٠) :

١ــ الاتقان ج ١ ص ٥٠

٢ــوالقراءة المشهورة : «تلقونه» بفتح اللام والقاف المشددة. سورة النور: ١٥

٣ــ المرشد الوجيز ص ١٨٠

ذكرت ذلك لابى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) ـ اى القراءة المعزوة الى عائشة ـ فقال: قد سمعت هذا قبل ان تولد ـ خطاباً الى هارون ـ ولكنا لانأخذ به. و فى رواية اخرى قال ابوعمرو: انى أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف ماجاءت بهالعامة (١).

فقد جعل ابو عمرو من «رواية العامة» مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة الجائزة، و اما غيرها فمردود و غير جائز الاخذ اطلاقاً.

و قال محمد بن صالح (ت ١٦٨): سمعت رجلا يقول لابى عمرو ابن العلاء: كيف تقرأ «لايعذبعذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد»؟ فقال: «لايعذب» بالكسر (٢) فقال له الرجل: كيف؟ و قدجاء عن النبى صلىاللهعليه وآله «لايعذب» بالفتح! فقال له ابو عمرو: لو سمعت الرجل الذى قال: سمعت النبى ـ صلىالله عليه و آله و سلم ـ ماأخذت عنه أو تدرى ماذاك؟ لانى أتهم الواحد الشاذ اذا كان على خلاف ماجاءت به العامة» (٣).

هذه الرواية كسابقتها فى جعل «ماجاءت به العامة» معياراً لمعرفة القراءة الصحيحة عن الشاذة.

و قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦): «كل ماكان من القراءات موافقاً لمصحفنا، غير خارج من رسم كتابه، جازلنا ان نقرأ به. و ليس لنا ذلك فيما خالفه. لان المتقدمين منالصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلوا أنفسهم و سوم طبائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم، و لقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، فاما نحن ـ معشر المتكلفين ـ فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على

١ـ المرشد الوجيز ص ١٨١

٢ـ هى القراءة المشهورة. الفجر : ٢٦

٣ـ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٥٢ نقلا عن منجد المقرئين لابن الجزرى.

مصحف هو آخر العرض، وليس لنا ان نعدوه، كما كان لهم ان يفسروه وليس لنا أن نفسره. ولو جازلنا ان نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا، لجازلنا ان نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير. و هناك يقع ماكرهه لنا الائمة الموفقون» (١)

هذا كلام امام محقق، يجعل من «مصحفنا» ـ معشر المسلمين ـ مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة، وينبه على ان اختيار السلف «هو آخر العرض» الذى لايمكن تغييره بتاتا : «وليس لنا ان نعدوه».

و قال الحجة البلاغى: «و من أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلا بعد جيل، استمرت مادته و صورته و قراءته المتداولة، على نحو واحد، فلم يؤثر شيئاً على مادته و صورته مايروى عن بعض الناس من الخلاف فى قراءته من القراء السبعة المعروفين و غيرهم. فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعا له ولو فى بعض النسخ، ولم يسيطر عليه ايضاً ما روى من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته فى الكتب كجامع البخارى و مستدرك الحاكم...

و ان القراءات السبع فضلا عن العشر انما هى فى صورة بعض الكلمات لابزيادة كلمة او نقصها، و مع ذلك ماهى الاروايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولاوثوقاً، فضلا عن وهنها بالتعارض و مخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين فى السنين المتطاولة ...

اذن فلا يحسن ان يعدل فى القراءة عما هو المتداول فى الرسم، والمعمول عليه بين عامة المسلمين فى أجيالهم، الى خصوصيات هذه القراءات. مضافاً الى انا ـ معاشر الشيعة الامامية ـ قد امرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس ، اى نوع المسلمين و عامتهم» (٢). و كلام شيخنا

١ـ تأويل مشكل القرآن ص ٤٢.

٢ـ آلاء الرحمان ج ١ ص ٣٠ الفصل الثالث من مقدمة التفسير.

الامام البلاغی هو الحکم الفصل فی هذا المضمار،وسوف نبنی علیه اختیارنا فی هذا المجال. قدس‌الله نفسه الشریفة.

و یدلك ـ ایضاً ـ علی تواتر النص الموجود، من غیر ان یؤثر علیه شیء من اختلاف القراءات : تلك المخالفات فی رسم الخط و ربما کتبت وفق قراءة العامة و ثبتت رغم تقلبات الدهور ومر العصور، فلم تغیرها قراءة قاریء او ریشة قلم کاتب.

من ذلك قوله تعالی: «لم یتسنه» ـ البقرة ٢٥٩ ـ الهاء زائدة للوقف. کتبت و قرئت هکذا منذ العهد الاول و ثبتت علی مر الدهور، قال عبدالله بن هانیء البربری ـ مولی عثمان ـ کنت عند عثمان وهم یعرضون المصاحف، فـارسلنی بکتف شاة الی ابـی بـن کعب فیها: «لم یتسن». وفیها: «لا تبدیل للخلق‌الله» وفیها: «فأمهل الکافرین». فدعا بدواة فمحی اللامین و کتب «لخلق‌الله».و محی «فأمهل»و کتب «فمهل». و کتب «لم یتسنه» فألحق فیها الهاء (١).

و لولا انه السماع من رسول‌الله صلی‌الله علیه و آله لم یکتبها ابی بالهاء، کما ان اختلاف القراء فیما بعد، و تطور الکتابة والخط، کلیهما لم‌یؤثرا علی تغییر الکلمة عما کتبها الاوائل و قـرأها السلف و من ورائهم عامة المسلمین عبر الاجیال.

و کذلك «بماعاهد علیه الله» ـ الفتح : ١٠ ـ و «وما أنسانیه» ـ الکهف: ٦٥ ـ بضم هاء الضمیر فی هذین المـوضعین فحسب دون ما سواهما من القرآن (٢) لالعلة مفهومة لنا، ولولا انه المأثور خلفاً عن سلف لم‌یکن مایدعو الی التزام المسلمین به طول التاریخ.

و مثله : «سندع الزبانیة» ـ العلق : ١٨ ـ باسقاط الواو فی‌جمیع المصاحف قدیماً و حدیثاً. و قوله: «أکرمن»و «أهانن» ـ الفجر: ١٥

١ـ الاتقان ج ١ ص ١٨٣. و راجع: الجزء الاول ص ٢٩٦.

٢ـ راجع : الکشف ج ٢ ص ٦٦

و ١٦ ـ باسقاط ياء المتكلم لفظاً و خطاً في جميع المصاحف.

و قوله : «ان هذان» ـ طه : ٦٣ ـ هكـذا ثبتت فـي المصاحف و قرأها المسلمون منذ الصدر الاول فالى الان، لم يجرأ احـد على تغييرها و ان زعم الزاعمون انها لحن (١) حتى ان اباعمرو قـال: انى لاستحى أن أقرأ «ان هذان لساحران» (٢). ولكن أنى له بتغييرها استحيى ام لم يستحى، و قد قرأها المسلمون هكذا في جميع الاعصار والامصار. الامر الذى يدلنا ـ بوضوح ـ ان للقرآن بذاته حقيقة ثابتة احتفظ عليها المسلمون، بعيداً عن متناول القراء.

وهكذا قوله : «اجيب دعوة الداع اذا دعان» ـ البقرة: ١٨٦ ـ بحذف الياء من «الداع» مع كونه معرفاً باللام. و كذلك حذف يـاء المتكلم من «دعان». قرأها المسلمون هكذا عبر العصور، و كذلك أثبتوها في مصاحفهم، وهل يجرأ أحد على تغييرهـا؟ فليفعل فـاعل ان استطاع!!

و كذا قوله: «كتابيه» و «حسابيه» و «مـاليه» و «سلطانيه» ـ الحاقة : (١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩) باثبات هاء السكت لفظاً و خطاً، و فتح ياء المتكلم كذلك. من غير ان تكون للقراء في ذلك يد، و انما هى متابعة محضة لعامة المسلمين ورثوها كذلك من السلف الاول فلايمكن تغييرها أبداً. و أمثال ذلك كثير في القرآن الكريم.

و ايضاً فان قضية تشكيل المصحف على يد ابى الاسود، و تنقيطه على يد تلميذيه نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر (٣) لـدليل حـاسم على ان القرآن كان ذاحقيقة ثابتة في صدور المسلمين، فجاء تقييدها في المصحف على يد زعماء الامة، خشية تحريف من لا عهد له بالقرآن.

١ـ تأويل مشكل القرآن ص ٢٥

٢ـ تفسير الرازى ج ٢٢ ص ٧٤

٣ـ راجع : الجزء الاول ص ٣٠٩ و ٣١٠

و هاتلك المصاحف المرسومة وفق المصطلح الاول باقية، لاتختلف في إعرابها و حركاتها و مرسوم كلماتها عما بأيدينا من المصاحف الحاضرة.

و يزيدك وضوحاً: وجود قطع قرآنية جاءت في كلمات السلف، لغرض الاستشهاد او التفسير اونحو ذلك، لاتختلف عن النص الموجود. الامر الذی يدل على ذلك التعاهد العام على نص واحد للقرآن، تعاهده المسلمون في جميع العصور.

كما ان مخالفات جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع انكار العامة و عرفت منذ العهد الاول أنها غير نص الوحی، وسجلها التاريخ بعنوان الشذوذ او الخطاء المحض.

من ذلك : قراءة ابی بكر لما احتضر : «وجاءت سكرة الحق بالموت» ـ ق : ١٩ ـ قال ابوبكر الانباری: لما احتضر ابوبكر ارسل الى عائشة، فلما دخلت عليه قالت : هذا كما قال الشاعر:

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى
اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال ابوبكر: هلا قلت ـ كما قال الله ـ : «وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ماكنت منه تحيد» (١).

و منذ ذلك العهد هب ارباب التاريخ والمفسرون والمحدثون يرمون قرأته هذه بالشذوذ المخالف للرسم (٢) فلولا ان للقرآن حقيقة ثابتة معهودة عند الجميع لماكان لهذا الغوغاء سبب واضح.

و قرأ عمر بن الخطاب: «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان» ـ براءة : ١٠٠ ـ قرأ برفع

١ـ القرطبی ج ١٧ ص ١٢ ـ ١٣. في اشهر الروايتين.

٢ـ راجع: البرهان ج ١ ص ٣٣٥ والنشر ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٨.

«الانصار» وباسقاط الواو من «والذين اتبعوهم» لزعم زعمه تقدم (١) ـ فهب زيدبن ثابت يجادله في قراءته هذه الخارجة عن متعاهدالعامة، فلم يتنازل عمر لكلام زيد حتى حاكمه الى ابى بن كعب، فجعل ابى يستشهد بآيات اخرى حتى قبل (٢).

وهكذا قراءة ابى حنيفة: «انما يخشى الله من عباده العلماء» ـ فاطر: ٢٨ ـ برفع اسم الجلالة و نصب «العلماء» (٣).

و أنت اذا لاحظت المصاحف الاثرية القديمة، وقارنتها مع المصاحف الحاضرة، المخطوطة والمطبوعة، فانك تجدها جميعاً متحدة في الاسلوب والخط و ثبت الكلمات في بنيتها و صورتها و ما الى ذلك. اما اختلاف الحركات فسوف نتعرض له.

كل ذلك دليل واضح على تلك الوحدة المتفق عليها عندالمسلمين جميعاً في جميع الادوار. الامر الذى يكشف عن حرص هذه الامة الشديد على حراسة كتابها المجيد. تحقيقاً لمعجزة هذا الكتاب السماوى الخالد «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» (٤) اى على يدهذه الامة على مر الدهور و كر العصور، فلم يزل ولايزال باقياً و محفوظاً عن كل تغيير او تبديل حتى يوم النشور.

و ان اختلاف القراء ـ طول التاريخ ـ لم يستطع تغييراً لافى لفظه ولافى خطه. فيالها من معجزة خالدة، تبعث على اعتزاز هذه الامة بكتابها المحتفظ على نص الوحى الالهى عبر الاجيال.

و عليه فالمعيار لتعيين القراءة هي: موافقتها مع النص الاصل المحفوظ لدى عامة المسلمين، بشروط نعرضها في الفصل التالى،

١ـ في صفحة: ٤٢.

٢ـ القرطبى ج ٨ ص ٢٣٨.

٣ـ وتنسب الى عمر بن عبدالعزيز ـ ايضاً ـ راجع القرطبى: ج ١٤ ص ٣٤٤.

٤ـ سورة الحجر: ٩.

و هناك نعالج مسألة تعارض الرواية او اللغة مع القراءة المأثورة.

وهنا سؤال: اذا كانت القراءة الحاضرة هي ماتعاهده المسلمون امة عن امة فماوجه نسبتها الى حفص؟ وسنتعرض للاجابة على ذلك، بأنها نسبة مقلوبة، و ان حفص هو الذى حاول موافقة قراءة العامة، ومن ثم قال ارباب التراجم: ان قراءة حفص عن عاصم ترتفع الى اميرالمؤمنين علىعليهالسلام (١) و لاشك ان قراءته عليهالسلام هى قراءة عامة المسلمين المتواترة منذ العهد الاول. و سيوافيك تفصيل حل هذاالاشكال فى فصل قادم.

ملاك صحة القراءة :

و بعد ... فاذ قد تبين حديث تواتر القرآن، و ثبات نصه الاصل مدى الاجيال فان ملاك صحة القراءة هى موافقة ذاك النص المحفوظ لدى عامة المسلمين.

و تتحقق هذه الموافقة فى كل قراءة اذا ما توفرت فيها الشروط التالية :ــ

اولا : موافقتها مع الثبت المعروف بين عامة المسلمين، فى مادة الكلمة و صورتها و موضعها من النظم القائم، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف.

ثانياً : موافقتها مع الافصح فى اللغة والافشى فىالعربية، ويعرف ذلك بالمقارنه مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى.

ثالثاً : ان لايعارضها دليل قطعى، سواء أكان برهاناً عقلياً امسنة متواترة ام رواية صحيحة الاسناد مقبولة عند الائمة.

فاذا اجتمعت فى قراءة هذه الشروط جميعاً، فانها هى القراءة المختارة، الجائزة فى الصلاة و غيرها. اما الفاقدة لجميعها او لبعضها

١ــ معرفة القراء الكبار ج ١ ص ١١٧.

فانها تصبح شاذة ولااقل من الشك في ثبوتها قرآناً، فلاتجوز قراءتها في صلاة ولافي غيرها بعنوان انها قرآن.

و توضيحاً لهذه البنود الثلاثة نعرض مايلي:

***

اما موافقة الثبت المعروف ففي أمور ثلاثة حسبما أشرنا:

١ـ (في مادة الكلمة الاصلية) ففي مثل قوله تعالى: «فتبينوا» من التبين، او هي «فتثبتوا» من التثبت (١) أيهما النص الاصل؟

و كذا قوله : «ننشزها» بالزاي او «ننشرها» بالراء (٢).

و قوله: «اذتلقونه» بفتح اللام والقاف المشددة، من التلقي بمعنى الاخذ. او «تلقونه» بكسر اللام و ضم القاف، من ولق الكذب (٣).

و قوله : «ادكر بعد أمة» بضم الهمز و تشديد الميم المفتوحة، بمعنى المدة. او «بعد أمه» بفتح الهمز وتخفيف الميم المفتوحة والهاء، بمعنى السفه (٤).

وقوله «فزع» بالزاي والعين من التفزيع و هو ازالة الفزع بمعنى الخوف، او «فرغ» بالراء والغين من التفريغ وهوالاخلاء (٥).

١ـ سورة الحجرات : ٦. قرأ حمزة والكسائي بالثاء، و قرا الباقون بالباء. الكشف ج ١ ص ٣٩٤.

٢ـ سورة البقرة : ٢٥٩. قرأ الكوفيون و ابن عامر بالزاي، و قرا الباقون بالراء. الكشف ج ١ ص ٣١٠.

٣ـ سورة النور: ١٥. الثانية قراءة محمد بن السميقع. والاولى قراءة الباقين. القرطبي ج ١٢ ص ٢٠٤.

٤ـ سورة يوسف: ٤٥. الثانية منسوبة الى ابن عباس، والاولى قراءة الباقين. القرطبي ج ٩ ص ٢٠١.

٥ـ سورة سبأ: ٢٣. الثانية قراءة الحسن، والاولى قراءة الباقين. الاتحاف ص ٣٦٠.

و قوله «يقص الحق» بالصاد. او «يقضى الحـق» بالضاد مع الياء (١).

و قوله : «و ما هو على الغيب بضنين» بالضاد بمعنى «بخيل». او بالظاء بمعنى «متهم» (٢).

وقوله: «ولايأتل اولوا الفضل منكم» بتقديم الهمز على التاء و تخفيف اللام، بمعنى القصور. او «يتأل» بتقديم التاء علـى الهمز و تشديد اللام، بمعنى الحلف (٣).

وقوله: «فاسعوا الى ذكرالله» او «فامضوا الى ذكرالله» (٤).

و من هذا الباب القراءة بالزيادة والنقصان. نحو قوله تعالى: «و ما عملت ايديهم» او «و ما عملته ايديهم» بزيادة هاء الضمير (٥).

و قوله: «ان الله هو الغنى الحميد» او «انالله الغنى الحميد» باسقاط ضمير الفصل (٦).

وقوله: «تجرى تحتها الانهار» او «من تحتها الانهـار» بزيادة

١ـ سورة الانعام: ٥٧. الاولى قراءة نافع و ابن كثير و عاصم. والثانية قـراءة الباقين. القرطبى ج ٦ ص ٤٣٩.

٢ـ سورة التكوير : ٢٤. الثانية قراءة ابن كثير و ابى عمرو والكسائى. والاولى قـراءة الباقين. الاتحاف ص ٤٣٤.

٣ـ سورة النور : ٢٢. الثانية قراءة ابىجعفر. الاتحاف ص ٣٢٣.

٤ـ سورة الجمعة : ٩. الثانية قراءة ابن الخطاب و ابن شهاب. القرطبى ج ١٨ ص ١٠٢.

٥ـ سورة يس: ٣٥. الثانية هى المعروفة وعليها ثبت مصحف الكوفة. الكشاف ج ٢ ص ٤٣٧ والاولى قراءة حمزة والكسائى و ابىبكر. الكشف ج ٢ ص ٢١٦.

٦ـ سورة الحديد: ٢٤. الثانية قراءة نافع وابنعامر، وكذلكثبت اسقاطها فى مصاحف المدينة والشام والاولى قراءة الباقين، و كذلك مصاحف الكوفة والبصرة و مكة. الكشف ج ٢ ص ٣١٢.

«من» (١).

وتقدمت امثلة كثيرة على ذلك (٢).

لاشك ان الصحيح فی مثل ذلك هی احدی القراءتين و تكـون الاخری باطلة لان المصحف اول ما شكل و نقط كان تشكيله و تنقيطه على أحد الامرين، و هو الذی كان معروفاً و متعاهـداً بين عـامة المسلمين، و لم يكن ابوالاسود ولا تلميذاه مترددين فی وضع العلائم المذكورة، و ثبت الكلمات والحروف وفق مرتكزهم العـام، كما تلقوها يداً بيد من غير ترديد أصلا.

وانماالاختلافجاء من قبل اجتهاد القراء المتأخرين، شيئاً خارجاً عن النص الاصل المعروف عند عامة الناس.

و من ثم لما سأل الفضيل بن يسار، الامام الصادق عليه‌السلام عن حديث نزل القرآن على سبعة احرف، قال: كذبوا ـ اعداءالله ـ ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

ثم لتعيين هذا الحرف الواحد جعل الامام عليه‌السلام المقياس معهود عامة المسلمين قال: «اقرأ كما يقرأ الناس». و فـی روايـة اخری: «اقرأوا كما علمتم» (٣).

فجعل المقياس «كما يقرأ الناس» ای عامة المسلمين، ولم يعتبر من قراءة القراء شيئاً، والرواية الاخـری اصرح «كما عـلمتم» ای تعاهدتموه جيلا عن جيل و أمة عن أمة، لاقراءة افراد هم آحاد.

و على ضوء هذا المقياس، فقراءة «ننشزها» بالزای هی‌الصحيحة، لان ثبت المصحف قديماً و حديثاً والذی تعاهدته الامة هو بالزای.

١ـ بـراءة : ١٠٠ الثانية قـراءة ابن كثير وفق ثبت مصحف مكة بالاثبات، الاتحاف ص ٢٤٤.

٢ـ راجع: ص ١٠٦ فما بعد.

٣ـ راجع: وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١ ـ ٨٢٢.

وهكذا الصحيح: «فتبينوا»، و «بعد أمة»، و «فزع»، و «يقص» و هكذا لنفس التعليل. والقراءة الاخـرى ساقطة عندنا وغير جائزة اطلاقـاً.

اما الجماعة فحيث وجدوا انفسهم تجاه أمر واقع، و هو حجية القراءات ـ ولاسيما السبعة ـ جميعاً، و من ثم جعلوا يأولون بـركن (موافقة المصحف) بزيادة قيد «ولو احتمالا».

وما ذاك الاتعليل بعد الوقوع، و تطبيق للمقياس علـى القراءات، لاعرض القراءات على المقياس.

و نحن فـي فسحة عن هذا المأزق، بعـد ان لانـرى من حجية القراءات سوى واحدة، و هى التى وافقت ثبت المصحف المعروف، و غيرها ساقطة رأساً.

***

٢ـ (فى صورة الكلمة) و نعنى بها بنية الكلمة الاشتقاقية، ففى مثل قوله تعالى «ربنا باعد بين اسفارنا» بصيغة الطلب، او «بـاعد» بصيغة الماضى (١)، حيث المادة واحدة، والاختلاف فى بنية الكلمة الاشتقاقية، يتردد الامر ـ لامحالة ـ فىاختيار احدى القراءتين.

وكذا قوله : «قال اعلم» بصيغة المتكلم، او بصيغة الامر (٢).

و قوله : «و هل نجازى الاالكفور» بصيغة المتكلم المعلوم ، او «يجازى» بصيغة الغائب المجهول (٣)

١ـ سورة سبأ : ١٩، الثانية قراءة يعقوب من العشرة، والاولى قراءة الباقين. الاتحاف ص ٣٣١.

٢ـ سورة البقرة : ٢٥٩. الثانية قراءة حمزة والكسائى. والاولى قراءة الباقين. الكشف ج ١ ص ٣١٢.

٣ـ سورة سبأ: ١٧. الثانية قراءة نافع و ابن‌كثير و ابى‌عمرو و ابن عـامر، و ابى‌بكر و ابى‌جعفر. والثانية قراءة الباقين. الاتحاف ص ٣٥٩.

و قوله : «حتى يطهرن» ثلاثياً بمعنى انقطاع الدم، او «يطهرن» مزيداً فيه من باب التفعل على معنى التطهر بالماء (١).

و قوله : «اولامستم النساء» من باب المفاعلة كناية عن الجماع، او «لمستم» بمعنى مطلق الامساس (٢).

و من هذا القبيل اختلاف اعراب الكلمة بما يؤدى الى اختلاف المعنى، كقوله : «وارجلكم» بالخفض فيجب المسح، او بالنصب فيجب الغسل (٣) على احتمال مرجوح زيفه الشيخ ابوجعفر الطوسى بايفاء و تفصيل (٤).

وقوله: «فتلقى آدم من ربه كلمات» برفع «آدم» فاعلا، و نصب «كلمات» مفعولابه. او بنصب «آدم» و رفع «كلمات» بمعنى ان الكمات استنقذت آدم من سخط ربه (٥).

وقوله: «انما يخشى الله من عباده العلماء» برفع اسم الجلالة ونصب العلماء او بالعكس (٦).

و فى مثل هذا الاختلاف ـ ايضاً ـ تكون احدى القراءتين

١ـ سورة البقرة: ٢٢٢. قراه الحرميان و ابو عمرو و ابن عامر و حفص مضموم الهاء مخففاً. و قرا الباقون بفتح الهاء مشدداً. الكشف ج ١ ص ٢٩٤.

٢ـ سورة النساء : ٤٣. الثانية قراءة حمزة والكسائى. والاولى قراءة الباقين. الكشف ج ١ ص ٣٩١.

٣ـ سورة المائدة : ٦. الثانية قراءة نافع و ابن عامر والكسائى و حفص، والاولى قراءة الباقين. الكشف ج ١ ص ٤٠٦.

٤ـ راجع : التهذيب ج ١ ص ٦٦ ــ ٧٥.

٥ـ سورة البقرة : ٣٧. الثانية قراءة ابن‌كثير. و الاولى قراءة الباقين. الكشف ج ١ ص ٢٣٧.

٦ـ سورة فاطر: ٢٨. الثانية قراءة ابى حنيفة. القرطبى ج ١٤ ص ٣٤٤.

صحيحة والاخرى باطلة، على أصولنا حسبما تقدم.

لكن وجه الاختيار هنا يختلف عن صورة اختلاف المـادة، فقد يكون وجه الاختيار هو العرف العام كما هناك، و قديكون بالاعتبار القطعي، و قد يكون بمرجح رواية صحيحة الاسناد، او نحـو ذلك مما سنتعرض له. ففي مثل «باعد» نختار صيغة الطلب لاجمـاع القـراء المعروفين، و اجماعهم طـريق الى معرفة النص الاصل المعروف بين عامة المسلمين.

و في «اعلم» نختار صيغة المتكلم، حيث قراءة الاكثرية، ولاعتبار عدم وجود من يطلب منه العلم سوى نفسه.

وفي «نجازى» نرجح قراءة النون بقرينة صدرالايـة : «ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الاالكفور».

وفي «يطهرن» نرجح التخفيف، نظراً لان شرط جواز اتيانهن بلاكراهة امران، انقطاع الدم والاغتسال. و اما علـى قراءة التشديد فيبقى أمر انقطاع الدم مسكوتاً عنه.

وفي «لامستم» يكون الترجيح مع الالف، لانه اجماع المحققين من الفقهاء، و عليه روايات اهل البيت ـ عليهم السلام ـ .

وفي «ارجلكم» نختار النصب لان وجه الخفض فـي العـربية ضعيف للغاية.

و اماقراءة نصب «آدم» ورفع «كلمات» فيستبشعها الذوق السليم، فضلا عن مخالفتها لمتبادر اذهان العموم فى امثال هذه التراكيب، و مثلها قراءة ابى حنيفة المستنكرة.

نعم، ليس الاختلاف في مثل قراءة «كفواً» او «هزءاً» او «هيت

لك» (١) او «أف» (٢) او فى مثل الامالة والاشباع والتخفيف والتحقيق والاشمام والروم و امثال ذلك، من هذا الباب، اذ أنها اختلافات فى اللهجات وفى الاداء والتعبير، وقداجاز النبى صلى الله عليه وآله وسلم للعرب أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة، حسبما فسرنا حديث «انزل القرآن على سبعة احرف» بذلك، كماورد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاقرأوا كيف شئتم» (٣).

وعليه فبأيها قرءت كانت صحيحة، اللهم الااذا خرجت عن متعارف العامة الى حد يستبشع منه، كما فى اكثر ادغامات ابى عمرو والمد الزائد والتحقيق البالغ والنبر ونحو ذلك. فانها غير جائزة ولا تصح القراءة بها فى الصلاة اطلاقاً.

***

٣ـ فى (موضع الكلمة). فالقراءة بالتقديم والتأخير باطلة، لانها خارجة عن الرسم المعهود بين المسلمين، كما فى قوله تعالى: «فيقتلون ويقتلون» ـ براءة: ١١١ ـ قرأ حمزة والكسائى بتقديم المفعول على الفاعل، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول، والثانية هى المشهورة (٤) و كقراءة ابى بكر: «وجاءت سكرة الحق بالموت». والقراءة المأثورة هى: «وجاءت سكرة الموت بالحق» (٥).

١ـ قرء: بكسر الهاء و فتح التاء و بفتح الهاء و ضم التاء. و بفتحهما. و بالهمز بدل الياء مع ضم التاء. و بفتح الهاء و كسر التاء. و بالجمع بين الياء والهاء. مجمع البيان ج ٥ ص ٢٢٢.

٢ـ قرء: بضم الهمز و فتح الفاء المشددة من غير تنوين. و بكسر الفاء منونة. وبالكسر من غير تنوين. و بضم الفاء من غير تنوين. و بتخفيف الفاء ايضاً. مجمع البيان ج٦ ص٤٠٨.

٣ـ راجع: تأويل مشكل القرآن ص ٣٤.

٤ـ تفسير القرطبى ج ٨ ص ٢٦٨.

٥ـ المصدر ج ١٧ ص ١٢.

ولاشك ان الترجيح في مثل هذا الاختلاف ـ ايضاً ـ مع المشهورة، والاخرى باطلة، لمخالفتها الرسم والمتعاهد بين عامة المسلمين جميعاً.

***

و أما موافقة الافصح في اللغة والافشى في العربية، فلان القرآن نزل على درجة أعلى من البلاغة، ويستحيل ان يستعمل كلمة يمجها الذوق العربي السليم، اويخالف قياساً تسلمته العرب الفصحى عادة طبيعية متعارفة. والا لكانت العرب تستغرب من القرآن في بدء أمره او تستنكر منه ما يبطل به التحدى الذى يصرخ به القرآن علانية وعلى رؤوس الاشهاد.

ان اجازة القراءات الضعيفة، واسنادها الى العهد الاول، اجرام بشأن القرآن الكريم، وحط من عظمته الغالية.

اننا لانجيز مثل تاءات البزى (١) و ادغامات ابى عمرو (٢)

١ـ تقدم ذلك فى صفحة : ٦٨. كان يشدد التاء الواقعة في اوائل الافعال في حالة الوصل فى مثل قوله تعالى: «ولاتنابزوا» و «فاذا هى تلقف» و «لتعارفوا» ... الى احد و ثلاثين موضعاً في القرآن. و هو من الجمع بين الساكنين على غير حده، و هو تكلف محض خارج عن قانون لغة العرب في سهولة التعبير والاداء.

واجع : التيسير ص ٨٣. والنشر ج ٢ ص ٢٣٢. والمرشد الوجيز ص ١٧٤.

٢ـ كان ابو عمرو لا يدغم المثلين اذا اجتمعا فى كلمة واحدة، نحو «جباههم» و «بشركم» و «أتعدانني». سوى موضعين، احدهما فى البقرة ٢٠٠ «مناسككم» والثاني في المدثر ٤٢ «ما سلككم» فادغم الكاف فى الكاف.

اما اذا كان المثلان من كلمتين فكان يدغم الاول في الثاني، سواء سكن ما قبله اوتحرك فى جميع القرآن، نحو: «لاابرح حتى» و «يشفع عنده» و «قيل لهم» و «نسبحك كثيراً» و «الناس سكارى» و «خزى يومئذ».

و هو من الجمع بين الساكنين و اسقاط لحركة الكلمة الاعرابية او الحركة القياسية، من غير سبب معروف عند العرب. راجع: التيسير ص ٢٠.

ونبرات الكسائى (١) و مدات حمزة (٢) و كثير من تكلفات ابتدعها القراء تفنناً بالقرآن (٣) و ابتعاداً عن مألوف العرب، الـذين نـزل القرآن على لغتهم و على أساليب كلامهم الدارج الفصيح.

وقد قال تعالى: «قرآنا عربياً غير ذى عوج» ـ الزمر : ٢٨ ـ «و هذا كتاب مصدق لساناً عربياً» ـ الاحقاف : ١٢ ـ «كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون» ـ فصلت: ٣ ـ فقد شاءالله ان لايكون فى القرآن عوج، ولكن القراء تكلفوا فاعوجوا بكثير من كلماتـه المستقيمة. !!

وفى ضـوء هذا البيان نخطىء ـ صريحـاً ـ كثيراً من قـراءات القراء المعروفين جاءت على خلاف اساليب لغة العرب الفصحى، فان رعاية كتاب، هولامة كبيرة، اولى من رعاية نفر كانت تعوزهمالمعرفة بأساليب الكلام الفصيح. و قد تقدم طعن ابن قتيبة فى قـراء لحنوا فىالقراءة، ممن ليس لهم طبع اللغة ولاعلم التكلف، فهفوا فى كثير منالحروف وزلوا و قرأوا بالشاذ و أخلوا (٤).

فقراءة الحسن ـ و هو من الاربعة ـ : «و ما تنزلت بهالشياطون» غلط بلاريب (٥).

وكذلك قراءة ابن عامر ـ وهو من السبعة ـ : «قتل اولادهـم شركائهم» باضافة «قتل» الى «شركائهم» و فصل «اولادهم» ـ وهو

١ـ تقدم فىالصفحة: ٢٤ و ٢٥ و ٦٩ وقدنهىالنبى ـص ـعنه، فضلا عن كونه كالمتقيىء مما يستبشعه الذوق و ينفر منه الطبع. راجع: النهاية ج ٥ ص ٧ واللطائف ج ١ ص ٦٧ ــ ٦٨.

٢ـ تقدم فى الصفحة : ١٣٤ ــ ١٣٥.

٣ـ راجع : الصفحة : ٣٥ و ٣٦ و ١٣٥.

٤ـ تقدم فى الصفحة : ٣٦.

٥ـ راجع الصفحة : ٣٧. والبحر ج ٧ ص ٤٦. والكشاف ج ٣ ص ١٢٩.

مفعول به ــ بين المضاف العامل والمضاف اليه الفاعل.

قال ابوالبركات ابن الانبارى : و اما نصب «اولادهم» و جــر «شركائهم» فهو ضعيف فيالقياس جداً... ومثل هذا لايكون فياختيار الكلام بالاجماع، واختلفوا فى ضرورة الشعر، فاجازه الكوفيون و أباه البصريون و هذه القراءة ضعيفة فيالقياس بالاجماع (١).

و هكذا قراءة حمزة ــ منالسبعة ــ : «و اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام» ــ النساء : ١ ــ بخفض «الارحام» عطفاً علــى العائد المجرور. قال ابومحمد: وهو قبيح عندالبصريين، قليل فيالاستعمال، بعيد فيالقياس، لان المضمر فى «به» عوض منالتنوين، ولان المضمر المخفوض لاينفصل عن الحرف، ولايقع بعد حــرف العطف، ولان المعطوف والمعطوف عليه شريكان، فكما لايجوز «واتقوا الله الذى تساءلون بالارحام» فكذلك لايجــوز الخفض عطفا (٢) لان الضمير المعطوف عليه ــ على هذا التقدير ــ عائد، ولايصلح المعطوف ان يحل محل العائد.

و قراءة قنبل ــ صاحب قراءة ابن كثير ــ : «أرسلــه معنا غــداً يرتعى و يلعب» ــ يوسف : ١٢ ــ باثبات الياء فى «يرتعى» و اسكان الباء فى «يلعب» (٣). فى حين انه يجب الجزم فى جــواب الطلب. فرفع «يرتعى» و جزم «يلعب» مما يدل على ان لامعرفة لــه باصول العربية اطلاقاً. كما قال ابن قتيبة: و ما اقل من سلم من هذه الطبقــة فى حرفه من الغلط والوهم (٤).

و كذا قراءته: «انه من يتقى و يصبر» ــ يوسف: ٩٠ ــ باثبات الياء

١ــ البيان فى غريب اعراب القرآن ج ١ ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣.
٢ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦.
٣ــ التيسير ص ١٣١. والمرشد الوجيز ص ١٧٥.
٤ــ تأويل المشكل ص ٦١.

فيالفعل الاول و اسكان الثانى (١) ولاوجه لهذا الافتراق فى حين انهما معاً فى حيز «من» الجازمة، بدليل الفاء بعدها.

و قد تقدم كثير من قراءات وقعت موضع انكار أئمة العربية، كانت مخالفة لقواعد اللغة التى تجرى عليها لغة العرب الفصحى (٢).

و انا لنحكم قواعد العربية الفصحى على قراءات القراء، حيث لانأتمن وقوفهم على أصول اللغة ولامعرفتهم التامة بأساليب الكلام البليغ الفصيح (٣).

دفاع مثلوم:

قرأ ابو عمرو بن العلاء: «بارئكم» و «بأمركم» و «ينصركم» «ويشعركم» و نحو ذلك بالاسكان حيث وقع فيالقرآن (٤). وهو اسقاط لحركة اعرابية من غير سبب معروف. و علل بأنه شبه حركة الاعراب بحركة البناء، فاسكن حركة الاعراب استخفافاً، لتوالى الحركات. تقول العرب: «أراك منتفخا» بسكون الفاء.

قال ابو محمد: وهو ضعيف مكروه. قال: فانه فرق بينحركة الاعراب التى تدل على معنى، و بين حركة البناء التى لاتدل على معنى. و ايضاً فان حركة الاعراب تتغير حسب تغير المعنى، فلم يجز ان يلحقها تغيير آخر، و حركة البناء ثابتة فجاز ان تتغير بالاسكان استخفافاً، و اسكان حرف الاعراب بعيد ضعيف، واسكان حركة البناء، اذا استثقلت مستعمل كثير. قال: والاختيار تمام الحركات لانه

١ــ المرشد الوجيز ص ١٧٥.

٢ــ فى صفحة: ٣٤ ــ ٣٨. و ٦٦ ــ ٧٣.

٣ــ راجع: تأويل المشكل لابن قتيبة، ص ٦١. والمرشد الوجيز ص ١٧٤.

٤ــ النشر ج ٢ ص ٢١٢.

الاصل، و عليه جماعة القراء، ولان الاسكان اخلال بالكلام و تغيير للاعراب (١). وقد انكر سيبويه قراءة الاسكان، ورآها باطلة في مذهب العرب الاصيل (٢).

هذه قراءة ابى عمرو الرديئة، و هذا كلام جهابذة الفن و اساطين العربية المعترف بهم لدى الائمة اجمع.

ولكن اباعمرو الداني ـ في كتابه «جامع البيان» ـ بعد ان ذكر اسكان «بارئكم» و «يأمركم» في قراءة ابى عمرو، و بعد حكايةانكار سيبويه لذلك، قال: «والاسكان أصح في النقل واكثر في الاداء، و هو الذي أختاره و آخذ به ... الى ان قال: و ائمة القراء لاتعتمد في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والاقيس في العربية، بل على الاثبت في الاثر والاصح في النقل. والرواية اذا ثبتت عندهم لايردها قياس عربية ولافشو لغة، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها».

قال الزرقاني ـ تعقيبا على هذا الكلام ـ : «و هذا كلام وجيه، فان علماء النحو انما استمدوا قواعده من كتاب الله و سنة رسوله و كلام العرب، فاذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو و ماقعدوا من قواعد، و وجب أن يرجعوا هم بقواعدهم اليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن الى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه، والاكان ذلك عكساً للاية، و اهمالا للاصل في وجوب الرعاية» (٣).

قلت: عدم اعتماد القراء على الافشى في اللغة والاقيس في العربية، انما هو لضئالة معرفتهم باصول الكلام الفصيح، ومن ثم خلطوا وخبطوا.

١ــ الكشف ج ١ ص ٢٤١.
٢ــ راجع كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٠٨.
٣ــ مناهل العرفان ج ١ ص ٤٢٢.

كما خلط ابوعمرو الدانى مسألة «أصالة القرآن» بمسألة «القراءات» و تبعه فى هذا التخليط الغريب الاستاذ الزرقانى تقليديا من غير تفكير.

اذ المتبع هو نص القرآن الاصل المتواتر بين المسلمين. و عليه اعتمد ائمة العربية فى استقاء القواعد العامة المعتمد عليها. أما القراءات فشيء يرجع الى اجتهادات القراء، واللحن متفش بينهم و ما اقل من سلم من هذه الطبقة من الغلط والوهم، ولايجعل لحن اللاحنين حجة على الكتاب، على حد تعبير ابن قتيبة (١).

انا اذا وجدنا لحناً فى قراءة قارىء، نقوم فى وجهه دفاعاً عن سلامة القرآن عن الاعوجاج، علماً بان القرآن نزل على الصحيح الافصح «قرآناً عربياً غير ذى عوج» (٢).

ويعذر القوم حيث حسبوا من انفسهم تجاه امر واقع، و من ثم زعموا من كل قراءة أنها سنة متبعة، وفاتهم أن لا مستند لهذا التعبد الاعمى. ولاتثبت قرآنية القرآن بقراءة رويت عن فلان او فلان، و قد اوضحنا ان لاسند لاحاد القراءات متصلا الى النبى صلى‌الله‌عليه وآله ولامساس لها بمسألة «تواتر القرآن» اطلاقاً.

اذن فتحكيم القواعد على القراءات، ليس تحكيما لها على القرآن، بل تحكيما للتوصل الى واقع القرآن. فكل قراءة وافقت الافصح فى اللغة والافشى فى العربية، و توفرت فيها سائر الشرائط، نعتبرها صحيحة و نتسلمها قرآنا، بكاشف هذا التوافق.

والقواعد ـ التى نعتبرها مقاييس لمعرفة القرآن ـ هى المعترف بها لدى الجميع، و التى تسالمت عليها علماء اللغة والادب، المستقاة من كلام العرب الاصيل، الامر الذى يوجد عند نحاة البصرة أكثر و ادق مما عند الكوفيين، و من ثم فان وقفة مثل «الدانى» المغربى

١ــ تأويل المشكل ص ٥٨ و ٦١

٢ــ سورة الزمر : ٢٨

في وجه مثل «سيبويه» غريبة جداً.

و تتساءل القوم: بماذا انكر الامام احمد على حمزة قراءاته؟ لولا انه وجدها خارجة عن اساليب التعبير العربى الاصيل فى مداته وتوالى سكناته و ما الى ذلك!

وهل نتسلم قراءة من قرأ : «قل لوشاءالله ماتلوتـه عليكـم ولا أدرأتكم به» ـ يـونس : ١٦ ـ بـالهمز؟ لمجـرد أنها قـراءة بعض المتقدمين (١) فى حين انها تقلب معنى الاية، لانها من «درى» بمعنى علم لامن «درأ» بمعنى دفع.

وقراءته ـ ايضا ـ : «و ما تنزلت به الشياطون» ـ الشعراء: ٢١٠ـ و هى غلط محض (٢).

و قراءة ابن محيصن : «فلاتشمت بى الاعداء» ـ الاعراف: ١٥٠ ـ بفتح تاء المضارعة، و نصب «الاعداء». و انما هو من: أشمت الله العدو، ولايقال : شمتالله العدو (٣).

و قراءة ابن عامر: «كن فيكون» بالنصب في البقرة : ١١٧. و فى آلعمران: ٤٧. و فيالنحل: ٤٠. و فى مريم: ٣٥. و فى يس: ٨٢. وفى غافر: ٦٨. و من الغريب ان مثل الكسائى تابعه فى النحل ويس (٤).

و قد اجمع المحققون على ان النصب هنا ضعيف، كما اتفق باقى القراء على الرفع، لان «كن» ليس امراً على حقيقته، لانه ليس خطاباً لموجود، و انما معناه: فانما يكونه فيكون (٥).

١ـ هى قراءة الحسن. راجع : البحر المحيط ج ٤ ص ١٣٣.

٢ـ انظر : القرطبى ج ١٣ ص ١٤٢.

٣ـ تأويل المشكل ابن قتيبة ص ٦١ و انظر : البحر ج ٤ ص ٢٩٦.

٤ـ انظر: التيسير ص ٧٦.

٥ـ راجع : التفصيل فى غريب اعراب القرآن لابن الانبارى ج ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠. والكشف ج ١ ص ٢٦١.

وهكذا قراءات ضعيفة ـ تقدم بعضها ـ من السبعة و غيرهم تشى بضعف مقدرة قرائها، و أنكرها المحققون من العلماء النقاد، سواء في مجال الفقاهة ام في حقل الأدب الرفيع، فكيف نوافق على قرآنيتها و نضرب بجميع الاصول والقواعد عرض الجدار؟! فالذى تقتضيه قواعد التمحيص: هو النظر في منشأ القراءة، فان كانت عن مستند وثيق و عن دراية صحيحة الاصول، تقبل و يعترف بقرآنيتها ايضاً، و كل قراءة خالفت اصول التمحيص الصحيح فهى ضعيفة شاذة يجب نبذها رأساً. سواء أكانت عن السبعة أم عن غيرهم، و تقدم كلام ائمة التحقيق في ذلك.

***

وأما عدم المعارضة بالاقوى حجة، فلان القراءة حجة حيثما لايعارضها حجة أقوى، حسب قانون «التعادل والترجيح» في باب تعارض الأدلة. فمثل «ارجلكم» بالخفض و ان قرأبها بعض القراء، لكنها ـ فضلا عن مخالفتها للقياس الافصح في باب العطف ـ معارضة بدلائل أقوى ترجح النصب.

لان الخفض عطفا على مدخول الباء يتنافى و لزوم استيعاب مسح الرجل طولا. اذ «مسح» فعل متعد بنفسه، لكنه كان يقتضى الاستيعاب في الممسوح، اقتضاء لاطلاق المتعلق. فدخلت الباء للدلالة على كفاية مجرد التماس (الالصاق) بين الماسح والممسوح في الرأس، الامر الذى يختلف بشأن الرجلين.

فهو عطف على محل المجرور، ليكون المسح قد تعلق بالرجلين وفق الاصل.

(و قدفصلنا القول في ذلك في الجزء الرابع من التمهيد عند الكلام عن روايات التحريف).

فذلكة البحث

والذى يتمخض من بحوثنا السالفة بشأن ملاك اختيار القـراءة الصحيحة هو مايلى:

١ـ مراجعة ثبت المصحف المتواتر خلفاً عن سلف، فى مادةالكلمة و صورتها و موضعها الخاص.

٢ـ وعند احتمال وجهين او وجوه، فالمرجع هى قراءة عـامة المسلمين أمة عن أمة. وهى محفوظة فىالصدور، و فىعامة المصاحف القديمة والحديثة.

٣ـ ومنالطرق الىمعرفة قراءة العامة هواجماع القراءالمعروفين او اتفاق اكثريتهم الغالبة.

٤ـ و اذا تكافأ الاحتمالان، او استوت القراءتان، فالترجيحمع الاوفق بالعربية والافصح والافشى فى اللغة.

٥ـ و اخيراً فاذا قام دليل قطعى على اتباع قراءة، فتكون هى الافصح والاقوى سنداً لامحالة.

هذه زبدة ملاك اختيار القراءة و تمييز المقبول عن المرفوض. كما تبين: ان لاشأن للقراءات ـ عندنا ـ بالذات، سوى انها طرق الى معرفة القرآن المتواتر عند عامة المسلمين، و ذلك اذا توفرت فيهـا شروط القبول.

نصوص ضافية (١):

ورد من أئمة اهل البيت ـ عليهم السلام ـ نصوص ضافية بشأن

١ـ مستخرجة من الكافى الشريف، لثقة الاسلام الكلينى ـ قدس سره ـ ج ٢ ص ٦٢٧ كتاب فضل القرآن، باب النوادر ، رقم : ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٥ و ٢٣ و ٢٧.

القرآن الكريم تشير الى أهم مواضيع بحوثنا الانفة، و تشى بعمق نظر و دقة تحقيق راعتها الائمة ــ عليهم السلام ــ بشأن هذا الكتاب الخالد. و مدى اهتمامهم ــ ع ــ بحراسة نصه بعيداً عن التحريف والتأويل:

١ــ قال محمد بن الوراق : عرضت على ابى عبدالله عليه‌السلام كتاباً فيه قرآن مختم معشر بالذهب، و كتب فى‌آخره سورة من ذهب، فأريته اياه فلم يعب‌فيه شيئاً الاكتابةالقرآن بالذهب، وقال: «لايعجبنى ان يكتب القرآن الابالسواد كما كتب أول مرة».

انظر الى هذه الدقة والحرص الشديد على سلامة القرآن، ليبقى محفوظاً كما كتب اول مرة، حتى فى‌لـون الخـط، لئلا يشتبه بغيره من الزوائد والتحسينات المتأخرة.

٢ــ و قال الامام محمد بن على الباقـر عليه‌السلام: «القـرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجىء من‌قبل الرواة».

يعنى: قراءة واحدة، فان القرآن نزل بنص واحد، و انماالاختلاف فى رواية ذلك النص حسب اجتهادات القراء.

و قد اوضحه الحديث التالى: .

٣ــ و قال الامام جعفر بن محمـد الصادق عليه‌السلام: «ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد».

عنى عليه‌السلام نفى‌القراءات المتداولة التى‌كان الناس يزعمونها متواترة عن النبى صلى‌الله عليه‌وآله فانكر ذلك، حيث القرآن نـزل بنص واحد. اما اختلاف اللهجات ــ حسبما فسرنا بها الحروف السبعة ــ فلا ينفيها الامام ــ عليه‌السلام ــ كما جاء فى روايات اخرى(١).

٤ــ قال سالم بن سلمة: قرأ رجل على ابى عبدالله عليه‌السلام و انا استمع، حروفاً من‌القرآن، ليس على ما يقرأها الناس. فقال ابوعبدالله

١ــ تقدمت فى صفحة : ٩٩ و ١٠٥.

عليه‌السلام: «كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس...»

لعل الرجل كان يقرأ حسب تفنن القراء بأوجه متنوعة، فنهره الامام عليه‌السلام حيث يؤول ذلك الى التلاعب بنص القرآن الكريم، وأمره ان يلازم القراءة المعروفة التي يقرأها الناس، اى عامة المسلمين، فالقراءة الصحيحة ـ المأمور بها في الشريعة ـ هي التي توارثتها الامة عن الامة عن رسول الله صلى‌الله عليه وآله عن جبرئيل عليه‌السلام عن الله عزوجل. ولاعبرة بخصوص القراء، الذين احترفوا فن القراءة كصنعة مبتدعة، سوى التي توافق قراءة العامة.

٥ـ قال سفيان بن السمط سألت ابا عبدالله عليه‌السلام عن تنزيل القرآن. قال: «اقرؤوا كما علمتم».

سأل عن أصل النص الذى نزل عليه القرآن لاول مرة، حيث وجد القراء مختلفين فيه. فأجابه الامام عليه‌السلام بأنه هو الذى يتعاهده المسلمون اليوم، فقوله : اقرؤوا كما علمتم. اى يجب عليكم ـ خطاباً الى عامة المسلمين ـ ان تقرؤوا القرآن كما ورثتموه خلفاً عن سلف عن رسول الله صلى‌الله عليه‌وآله.

٦ـ قال علي‌بن‌الحكم: حدثني عبدالله بن فرقد، والمعلى بن خنيس، قالا كنا عند ابى عبدالله عليه‌السلام و معنا ربيعة الرأى. فذكرنا فضل القرآن. فقال ابو عبدالله عليه‌السلام: ان كان ابن مسعود لايقرأ على قراءتنا فهو ضال. فقال ربيعة : ضال؟ فقال عليه‌السلام: نعم، ضال.

ثم قال ابوعبدالله عليه‌السلام: أما نحن فنقرأ على قراءة ابى.

لعلهم تذاكروا شيئا من قراءات ابن مسعود غير المتعارفة، فنبههم الامام عليه‌السلام انها غير جائزة، و ان الصحيح هي قراءة عامة المسلمين، و من خرج عن المعهود العام فهو ضال، لانه اخطأ طريقة المسلمين التي توارثوها كابراً عن كابر عن نبيهم العظيم. فلو كان ابن مسعود يقرأ القرآن على خلاف طريقة المسلمين ـ على تقدير

صحة النسبة ــ فهو ضال.

لان الطريق الوسط، هوالذى مشى عليه جماعةالمسلمين، والحائد عن الجادة الوسطى ضال لامحالة أياً كان.

اما قوله: اما نحن فنقرأ على قراءة ابى، اى ابى بن كعب، فاشارة الى حادث توحيد المصاحف على عهد عثمان، حيث كان المملى ابياً، والجماعة يكتبون على املائه، و يرجعون اليه فى تعيين النص الأصل عند الاختلاف (١) فالمصحف الموجود ــ الذى عليه عامة المسلمين ــ هو من املاء ابى، فالقراءة وفق قراءة ابى كناية عن الالتزام بما عليه عامة المسلمين الان.

٧ــ روى الصدوق عن الامام جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه ــ عليهم‌السلام ــ قال : قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وآله: تعلموا القرآن بعربيته، و اياكم والنبر فيه، يعنى الهمز.

قال الامام الصادق عليه‌السلام : الهمز زيادة فى القرآن، الاالهمز الاصلى مثل قوله: «الايسجدوا لله الذى يخرج الخبأ» (٢). و قوله: «لكم فيهادفء» (٣). و قوله: «فادارأتم (٤) » (٥).

جاء فى النسخ: «النبز» بالزاى، و هو خطأهنا، و انما هو «النبر» بالراء كما تقدم عن نهاية ابن الاثير. و ان الكسائى كان ينبر بالقرآن (٦).

والامر بقراءة القرآن قراءة عربية خالصة كثير فى احاديث أئمة

١ــ راجع : الجزء الاول ص ٢٩٦.

٢ــ سورة النمل: ٢٥.

٣ــ سورة النحل : ٥.

٤ــ سورة البقرة : ٧٢.

٥ــ معانى الاخبار ص ٩٨.

٦ــ تقدم فى الصفحة: ٢٤.

اهل البيت ـ عليهم السلام ـ (١) حرصاً منهم على محافظة لغة القرآن الاصيلة، هي لغة العرب الفصحى ولهجتها الافشى، فلا يتسرب اليه لحن ولايلحقه تغيير.

١ـ راجع : وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٥ باب ٣٠ من ابواب قراءة القرآن.

طبقات القراء

* ـ معاريف القراء طوال ثلاثة قرون.
* ـ حصر القراءات فى السبع او العشر.
* ـ موقفنا مع القراء والقراءات.
* ـ حفص و قراءتنا الحاضرة.

كان الفصل المتقدم معرضاً خصباً و حافلا بانواع القراءات، عرضناها لغرض التحقيق من قيمتها تجاه تواتر النص القرآني الاصل. وقد تمخض البحث : ان لا شأن للقراءات ـ ذاتياً ـ سوى كشفها عن النص الاصل، اذا توفرت فيها شروط القبول. و سنبحث عن هذه الناحية ـ في فصل قادم ـ عند مانعرض موقفنا من القراء والقراءات.

وهنا ـ في هذا الفصل ـ نحاول التعرف الى شيء من تراجم كبار أئمة القراء منذ العهد الاول حتى نهاية القرن الثالث، حيث معرفتهم بالثبت الاول و عهدهم بالنص الاصل، و من ثم فان استفادتنا من اختياراتهم في القراءات كثيرة. و هذه الفائدة تنعدم عند ما ننتهي من هذا القرن، و نستشرف ـ بمطلع القرن الرابع ـ على معالم الضغط السياسي العارم (١) حيث انغلاق ابواب الاختيار في القراءات (٢)، شأنه شأن الاجتهاد في الاحكام الشرعية، حيث انسد بابه في نفس القرن (٣) واصبح الفقهاء ـ ماعدا فقهاء الامامية ـ مقلدين محضاً،

١ـ انظر : الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٧ ص ٢٩٩. و آدم متز ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ـ ج ١ ص ٣٨٧، و ستأتي اشارة اخرى الى ذلك.

٢ـ حوالي سنة ٣٢٣. انظر : ترجمة ابن شنبوذ، في «معرفة القراء الكبار» للذهبي ج ١ ص ٢٢٤.

٣ـ حوالي سنة ٣٦٥. انظر: اختلاف مذاهب الفقهاء، في «فرائد الاصول» للمحقق الانصاري ـ ط رحمة الله ـ ص ٤٦٨. والخوانساري، في «روضات الجنات» ج ٤ ص ٣٠٧.

يقتصرون في الافتاء ـ منذ ذلك العهد ـ على ما أفتى به الائمة الاربعة فحسب. و هي كارثة عظمى اوقفت نابضة حياة المسلمين، التي كانت قبل تتقدم الى الامام بخطوات واسعة (١).

وفائدة اخرى نتوخاها وراء هذا العرض، هو: الوقوف على مدى تأثير الاجتهاد الشخصي في اختيارات القراء، كان أحدهم يتتلمذعلى شيخه ليتعرف الى اصول القراءة، و هكذا عند غيره و آخر. لكنه بعد ما اجتمعت لديه معلومات عن اصول الفن، كان يستقل في الاختيار، و يستند في قراءاته الى اجتهاده الخاص.

قال ابو عبيد ـ في كتاب القراءات ـ : كان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض و ترك بعضاً. و قال ابو عمرو الداني: قرأ الكسائي على محمد بن عبدالرحمان بن ابي ليلى، و اختار لنفسه قراءة... و هكذا (٢).

و هذا شيء طبيعي كثيراً ما يختلف اختيار التلميذ عن شيخه، حيث اختلاف الانظار والسلايق. والالكانت القراءة تقليدية يتداولها شيخ عن شيخ من غير اختلاف مع الأبد.

و هكذا نجد اختلاف بعض القراء ـ وهم في طبقة واحدة ـ مع البعض. او نقض أحدهم على صاحبه ـ وهما يقرءان على شيخ واحد ـ كل ذلك دليل على مدى تحكيم الاجتهاد في اختيار القراءات:

من ذلك ما ذكره ابن مجاهد، قال: قال لي قنبل : قال القواس ـ في سنة سبع و ثلاثين و مائتين ـ : الق هذا الرجل (يعني البزي) (٣)

١ـ و قد وصف المؤرخون هذا القرن الرابع بدور ضعف الاسلام و انحطاط المسلمين وشيوع الفوضوية والاضطراب في انحاء البلاد الاسلامية. راجع : مروج الذهب ج ٢ ص ٧٣ و آدم متز ج ١ ص ٢٥.

٢ـ انظر : ـ القراء الكبار للذهبي ـ ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١.

٣ـ قنبل والبزي راويا ابن كثير.

فقل‌له: هذا الحرف‌ليس من‌قراءتنا، يعنى «وماهو بميت» مخففاً، وانما يخفف من الميت من قدمات، و أما من لم يمت فهو مشدد. قال: فلقيت البزى فأخبرته، فقال: قد رجعت عنه... (١).

و ينبغى ان يجعل ذلك ـ ايضاً ـ دليلا (٢) فى وجه القائل‌بتواتر القراءات كما نبه عليه سيدنا الاستاذ فيما سلف (٣).

***

ولنعرض ـ هنا ـ من‌تراجم القراء، الائمة المعروفين، من‌ذوى الاختصاص باصول‌القراءة، اماالمنسوب اليهم قراءة ـ احياناً ـ اوذكر اسمه فى اسناد قارىء فليس فى‌التعرف بشأنهم كثير فائدة فى مقصود البحث.

واليك من‌أئمة القراء الكبار، حسب الطبقات: ـ

الطبقة الاولى

كان كبار الصحابة ـ على عهده صلى‌الله‌عليه‌وآله يتعاهدون القرآن كما انزل بين اظهرهم، يتلقونه من فى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله على أصالته غضاً طرياً.

وكان النبى صلى‌الله عليه وآله ربما بعث بآحادهم الى القبائل واطراف البلاد، يدعون الناس الى الاسلام، ويقرأون عليهم آياً من‌الذكر الحكيم، و يعلمونهم القرآن هكذا كان شأن الصحابة الاخيار، و لاسيما الاجلاء منهم ـ رضى‌الله عنهم ـ.

١ـ منجد المقرئين لابن الجزرى . بنقل المناهل ج ١ ص ٤٥٢.

٢ـ مضافاً الى الادلة الثمانية السالفة صفحة : ٦٣ فمابعد.

٣ـ فى الصفحة : ٥٢.

لكن اختص من بينهم نفر كانواهم مراجع الباقين فی‌نشر القرآن وتعليمه. وهم خمسة: اولهم و رأسهم على بن ابی‌طالب عليه‌السلام ثم عبدالله بن مسعود، و ابی بن كعب، و ابو الدرداء. و خامسهم: زيد بن ثابت، و كان اصغرهم سناً و اوضعهم شأناً.

و يذكر المؤرخون غير هؤلاء ــ ايضاً ــ كالمقداد بن الاسود، و ابی‌ذر جندب بن جنادة، و معاذبن جبل، و سالم مولی ابی حذيفة، و اضرابهم. لكنهم الی جمع القرآن فی الصدور اوفی الصحف، اولی منهم بتصدی اقراء الناس سمة اختصاصية.

***

۱ــ اما علی‌بن ابی‌طالب عليه‌السلام فكان الرأس واعلم الصحابة جميعا بشؤون القرآن فی شتی نواحيه، قراءة و تفسيراً و تأويلا. كان الصحابة طراً يرجعون اليه، ولايرجع الی احد منهم اطلاقاً.

وقد سبق حديث يحيی بن سعيد الاموی عن الاعمش عن عاصم عن زر بن حبيش، قال: قال عبدالله بن مسعود: تمارينا فی‌سورة من‌القرآن، فقلنا خمس و ثلاثون اوست و ثلاثون آية. قال فانطلقنا الی رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وآله فوجدناعلياً يناجيه. قال: فقلنا : انااختلفنا فی‌القراءة. فاحمر وجه رسول‌الله صلی‌الله‌عليه وآله وقال: انما هلك من كان‌قبلكم باختلافهم بينهم. قال: ثم أسر الی علی عليه‌السلام شيئاً، فقال لنا علی عليه‌السلام: ان رسول‌الله صلی‌الله عليه وآله يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم (۱).

و روی ايضاً عن زيدبن أرقم، قال: جاء رجل الی رسول‌الله صلی‌الله‌عليه وآله فقال : أقرأنی عبدالله بن مسعود سورة و أقرأنيها زيد، و أقرأنيها ابی بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟

۱ــ تفسير الطبری ج ۱ ص ۹ ــ ۱۰

قال: فسكت رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله. قال: و على الى جنبه. فقال على: ليقرأ كل انسان كما علم، كل حسن جميل (١).

قال الزرقانى ـ بصدد اختصاص الامام عليه‌السلام بشؤون‌التفسير دون سائر الخلفاء والصحابة ـ : «وكان لصلته الـوثيقة بـرسول‌الله صلى‌الله عليه وآله‌وسلم أثر عظيم فى استنارة نفسه، و غزارة مـادته، وسعة علمه، بله ما وهبه الله من فطرة صافية، وذكاءنادر، وعقل موهوب، حتى ضرب به المثل فى حل المشاكل، فقيل: «قضية ولا ابا حسن لها» (٢).

و روى معمر عن وهب بن عبدالله بن ابى‌الطفيل، قـال: شهدت علياً عليه‌السلام يخطب و يقول: «سلونى، فوالله لاتسألونى عن شىء الأأخبرتكم. و سلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آية الاوأنا أعلم أبليل نزلت أم‌بنهار، أفى سهل ام‌فى جبل».

و عنه عليه‌السلام قال: «والله ما نزلت آية الاوقد علمت فيم نزلت، و اين نزلت، ان ربى وهب‌لى قلباً عقولا، ولساناً سؤولا».

و عن ابن مسعود قال: «ان‌القرآن انزل على سبعة احرف، ما منها حرف الاوله ظهر و بطن، و ان على بن ابى‌طالب عنده منه الظاهـر والباطن» (٣).

قلت، لاغرو، و قد تمثلت فى شخصيته الفذة شخصية الـرسول الاعظم، فكان نفس رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله الذى تحدى‌به‌نصارى نجران: «و انفسنا و انفسكم» (٤) يريد علياً عليه‌السلام.

١ـ تفسير الطبرى ج ١ ص ٩ ـ ١٠

٢ـ مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨. و راجع: التفسير والمفسرون ـ محمد حسين الذهبى ج ١ ص ٨٩. و اسد الغابة ج ٤ ص ١٦ ـ ٤٠.

٣ـ التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٠ عن حلية الاولياء لابى نعيم الاصبهانى.

٤ـ سورة آل‌عمران: ٦١.

فقد رباه الرسول الاعظم صلى‌الله عليه وآله منذ طفولته كمايحب فاحسن تربيته، و أدبه مكارم اخلاق الانبياء فأكمل تأديبه، حتى ساواه و كافأه صنوين، فكان أخاً له و وزيره في حياته، و وصيه و خليفته بعد وفاته.

قال عليه‌السلام: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، و يأمرني بالاقتداء به، و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله و خديجة و انا ثالثهما، أرى نورالوحي والرسالة، و اشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى‌الله عليه‌وآله. فقلت: يا رسول‌الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قدأيس من عبادته. انك تسمع ما اسمع، وترى ما أرى، الاانك لست بنبي. ولكنك لوزير، و انك لعلى خير» (١).

ولعلك ــ أيها القارىء ــ تستغرب لو قلت لك : ان قراءة مصحفنا اليوم هي قراءة علي عليه‌السلام!

لقد كان عليه‌السلام حريصاً على محافظة نص القرآن الاصل، ومرحديث تواتر النص الحاضر، يتعاهده المسلمون جيلا بعد جيل بكل امانة و اخلاص، معجزة قرآنية باقية، و قد وجد القوم ان النص الحاضر يتوافق كاملا مع قراءة حفص، و من ثم أسندوه اليه، نسبة مقلوبة يأتي تفصيلها.

لكن الشيء الذي نريده هنا: ان هذا النص موافق تماماً مع قراءة حفص. و اذا ضممنا ذلك الى مايقول أصحاب التراجم وكتب القراءات: «و كانت القراءة التي أخذها حفص بن سليمان عن عاصم بن ابي

١ــ شرح نهج‌البلاغة ــ لابن ابي الحديد ــ ج ١٣ ص ١٩٧ من الخطبة القاصعة.

النجود، ترتفع الى على عليه‌السلام» (١) نستنتج: ان قراءتنا اليوم هى قراءة على بن ابى‌طالب عليه‌السلام، ثابتة منذ العهد الاول، تتعاهدها الامة عن الامة، و باقية مع الخلود.

***

٢ــ عبدالله بن مسعود: كان اول صحابى جهر بالقرآن بمكة و أسمعه قريشاً، و اوذى فى‌الله من أجل ذلك. ولما اسلم أخذه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وآله اليه، فكان يخدمه فى اكثر شؤونه، و كان يلج عليه الدار بلاحجاب، حتى ظن بعضهم انه من‌اهل بيت رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله و هاجر الهجرتين وصلى‌الى القبلتين و حضر المشاهد كلها مع رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله و كان احفظ الصحابة ــ بعد على عليه‌السلام ــ لكتاب‌الله. و كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وآله يحب ان يستمع الى قراءته. و كان صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: من سره ان يقرأ القرآن غضاً طرياً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد، يعنى ابن مسعود.

كان ابن‌مسعود الى على‌عليه‌السلام اميل من‌غيره. و روى‌الصدوق فى‌الخصال فى باب ١٢ انه احد الاثنى عشر الذين انكروا على ابى‌بكر تقدمه على على عليه‌السلام. و هو الذى روى عن النبى‌صلى‌الله عليه وآله ان الائمة اثنا عشر. و قد ندم اخيراً توليته من قبل ظالمى حق الامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام على ماروواه السيد بن طاووس فى الطرائف. و شواهد كثيرة تدل على ولائه الكامن لعلى عليه‌السلام.

توفى‌سنة ٣٣ على‌اثر ضرب ضربه عثمان فكان فيه حتفه رحمة‌الله عليه. راجع: الجزء الاول ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠.

١ــ معرفة القراء الكبار للامام شمس‌الدين الذهبى ج ١ ص ٥٧ و ص ١١٧.

٣ـ ابی بن کعب: هو اول من کتب لرسول الله صلی‌الله علیه‌وآله عند مقدمه المدینة. و کان اذا لم یکن ابی دعازیداً لیکتب له. و لقب بـ «سیدالقراء». و قال رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله «و أقرؤهم ابی‌بن کعب». و تولی املاء القرآن ـ علی عهد عثمان ـ عند ما عجز القـوم عن القیام بجد الامر فی‌حادث توحید المصاحف.

و کان ابی بن کعب ـ ایضاً ـ ممن عرفوا حق‌الامام امیرالمؤمنین و تقدمه فی الامر. و قد ذکر الرواة موقفه المشرف بعد وفاة رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وآله فقام ضمن الاثنی عشر الذین قاموا فی وجه ابی‌بکر، علی روایة الاحتجاج و غیره. و ذکر ابن ابی الحدید و غیره ابیاً فیمن تخلف عن بیعة ابی‌بکر. و کان ابی ـ فی اواخر حیاته ـ قد عزم علی ان یجهر بالحق، و یقول فی عثمان ما یقول، فتوفاه الله قبل موعده بیوم ولعل یداً أثیمة عملت فی هلاکه. راجع قاموس الرجال ج ١ ص ٢٣٧.

توفی ـ رحمةالله‌علیه ـ عام ٣٠ علی اصح الاقوال. راجع: الجزء الاول ص ٢٩٢.

٤ـ ابوالدرداء عویمربن زید الخزرجی : کان من القـراء علـی عهد النبی صلی‌الله علیه‌وآله لکنه انما تصدرللاقراء اختصاصیاً بعد وفاته صلی‌الله علیه وآله عند ما تولی قضاء دمشق فی خلافة عثمان، فکان یقریء جماعات کل جماعة تحتوی علی عشرة قراء، یترأس کل جماعة مقریء عریف. قال ابوالدرداء : أعددت من‌یقرأ عندی فعددتهم ألفاً وستمأة و نیفا. وکان لکل عشرة مقریء منهم. وکان ابوالدرداء یشرف علیهم بنفسه.

و کان یحمل فی نفسه ولاء کبیراً للامام امیرالمؤمنین علیه‌السلام کماجاء فی‌تذکرة سبط ابن‌الجوزی عن الترمذی قال: کان أبوالدرداء یقول: ان‌کنا ـ معشر الانصار ـ نعـرف المنافقین الاببغضهـم علیاً

عليه‌السلام. توفى ـ رحمه‌الله ـ سنة ٣٢.

٥ـ زيد بن ثابت : كان لقنا فصيحاً، تعلم العبريـة و كان يكتب بها لرسول‌الله صلى‌الله عليه وآله و ربما كان يتصدى للاقراء على عهده صلى‌الله عليه‌وآله و تولى جمع القرآن بأمر ابى‌بكر. ثم ترأس لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، لكنه تقاعس عنه أخيراً فاستعانوا بابى بن كعب، على ما سبق في‌الجزء الاول.

وقف زيد يوم السقيفة موقف المدافع الحاد عن قريش، و من ثم كان موضع ثقة لابى‌بكر. و كان عمر يقدمه في القضاء والافتاء. و ولاه عثمان بيت‌المال. و كان يحبه حباً شديداً.

وصفه المؤرخون بانه كان عثمانياً، ومن‌ثم لم‌يشهد شيئاً من‌مواقف امير المؤمنين عليه‌السلام.

مات أيام معاوية سنة ٥٤ او ٥٥. وصلى عليه مروان بن الحكم. راجع الجزء الاول ص ٢٨٣.

هؤلاءهم اهل هذه الطبقة الاولى، من قراء تصدوا لاقراء الناس على حياة الرسول صلى‌الله‌عليه وآله ودارت عليهم اسانيد القراءات فيما بعد. اما غيرهم ممن جمع‌القرآن على عهده صلى‌الله‌عليه‌وآله او بعد وفاته، كابى موسى الاشعرى و معاذبن جبل و سالم مولى ابى‌حذيفة و اضرابهم، فليس لهم كبير شأن في أمر القراءات. قال الذهبى: اذلم يتصل بنا قراءاتهم، ولا انتهى بهم اسانيد قراءات القراء فيمابعد.

و من ثـم نطـوى الكلام عنهم، بعـد ان كانت غايتنا الاختصار والاقتصار على الائمة الكبار المعروفين في‌هذا الشأن. واليكم سائر الطبقات.

الطبقة الثانية

وهم‌الذين ادركوا حياة النبی صلی‌اللّه‌علیه‌وآله غیر انهم اخذوا القرآن من صحابته الاولین منهم:

١ـ عبدالله بن عباس : حبر الامة و اعرف الناس بکتاب الله. وقد دعاله النبی صلی‌اللّه‌علیه‌وآله: «اللهم فقهه فی‌الدین و علمه التأویل» و فی روایة اخری: «اللهم علمه الکتاب والحکمة». و کان خصیصاً لامیر المؤمنین علیه‌السلام یتروی من‌منهل علمه النمیر عامة أیامه. و کانت عامة معرفته بالقرآن مأخوذة عن علـی علیه‌السلام کما صرح هو بذلك وکان علامة بالادب و اشعار العرب، حفظا سریعاً، کان یحفظ خطب علی علیه‌السلام فی‌سماعه الاول. وله مواقف مشرفة مع خصوم امیرالمؤمنین، سجلها التاریخ فی‌صدر القضایا الاسلامیة الاولی. توفی رحمه‌الله سنة ٦٨.

٢ـ ابوالاسود ظالم بن عمرو الـدؤلی : صاحب امیرالمـؤمنین علیه‌السلام و خاصته و اول من‌وضع النحو، أخـذ اصولـه من سیده ومولاه علی‌علیه‌السلام و اول من نقط المصحف ایام الحجاج بن‌یوسف فی قصة سلفت. قال الجاحظ : کان ابوالاسود معدوداً فی جمیع‌طبقات الناس، مقدماً فی‌کل منها. کان یعد من‌التابعین وفی‌الشعراء والفقهاء والمحدثین والاشراف والفرسان والامراء والنحاة والحاضری‌الجواب والشیعة ... الخ. توفی سنة ٦٩ و هو ابن خمس وثمانین سنة.

قال ابن حجر: وعلی هذا التقدیر یکون قدادرك من‌الایام النبویة اکثر من عشرین سنة.

٣ـ علقمة بن قيس النخعي الكوفي : كان خصيصاً لابن مسعود، و من ثقات امير المؤمنين عليه‌السلام شهد وقعة صفين و اصيبت احدى رجليه بها. و كان اعلم الناس بقراءة ابن مسعود، و اخص اصحابه. قال ابن مسعود بشأنه: ما اعلم شيئا الا و علقمة يعلمه. و كان من احسن الناس صوتا بالقرآن.

يحدثنا ابراهيم النخعي عن علقمة قال: كنت رجلا قد اعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، فيرسل الى ابن مسعود فأقرأ عليه، فاذا فرغت قال: زدنا فداك ابي وامي، فاني سمعت رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله يقول: حسن الصوت زينة القرآن. وكان يقرأ القرآن في ليلة.

قال ابواسحاق عن مرة الهمداني: كان علقمة من الربانيين. و كان كثير من اصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وآله يسألون علقمة ويستفتونه. وقال الفضل بن شاذان: من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهادهم علقمة. توفي ـ رحمه‌الله ـ سنة ٦٢.

٤ـ عبدالله بن السائب المخزومي : له و لابيه صحبة. كان قارىء مكة. واخذ عنه اهل مكة القراءة. قرأ عليه مجاهد وغيره. قال ابن حجر: هو عبدالله بن السائب قائد ابن عباس. وعن ابي مليكة قال: رأيت ابن عباس لما فرغوا من دفن عبدالله بن السائب قام على قبره فدعا له و انصرف. وهذا يدل على حسن حاله عند اهل البيت ـ عليهم السلام ـ .

قال الذهبي: توفي حدود سنة ٧٠ في امرة ابن الزبير! قال ابن حجر: حديث ابي مليكة يدل على انه توفي قبل ابن الزبير بمدة، لان ابن عباس توفي قبل ابن الزبير بخمس سنين.

٥ـ الاسود بن يزيد النخعي الكوفي: من كبار اصحاب ابن مسعود. و كان أسن من علقمة بسنوات. كان يختم القرآن في كل ست. وفي

رمضان فی کل لیلتین، وکان علقمة یختم فی‌خمس. کان یصوم حتی یخضر جسده، و قدحج ثمانین حجة و عمرة، ومن ثم عد من‌الـزهاد الثمانیة لکن فی‌الاربعة المقدوحین، لاالاربعــة الممدوحین. وهــم: الربیع بن خثیم. و أویس القرنی. و عامر بن عبدقیس. **و هرم بـن** حیان. ثبتوا مع علی علیه‌السلام و کانوا اتقیاء زهاداً علــی الحقیقة. والاربعة الاخرهم: ابو مسلم الخولانی. و مسروق بن الاجدع. والحسن البصری والاسود بن یزید النخعی، هذا المترجم. و ذکر بعضهم مکان الاسود: جریر بن عبدالله. و هؤلاء کانوا منحرفین عن علی علیه‌السلام و من ثم لم‌یصیبوا الحق فضلوا و أضلوا.

ومع ذلك فقد عده الشیخ ابو جعفر الطوسی فی‌رجاله من‌اصحاب علی علیه‌السلام مات سنة ٧٥.

٦ـ ابو عبدالرحمان، عبدالله بن حبیب السلمی : مقریء الکوفة. ولد فی حیاة الرسول صلی‌الله علیه‌وآله و أخذ القراءة عن ابن مسعود، و عرض القرآن علی علی علیه‌السلام فیما ذکره الذهبی.

أخذ عنه عاصم بن ابی النجود و یحیی بن وثاب و عطاء بن‌السائب والشعبی و خلق کثیر.

کان یقریء الناس فی مسجد الکوفة اربعین سنة. أقرأ فی خلافة عثمان الی ان توفی سنة ٧٤ فی امرة بشر علی العراق، و قیل. فی‌اوائل ولایةالحجاج.

٧ـ عبدالله بن عیاش بن ابی ربیعة المخزومی : ولـد بـالحبشة فی‌الهجرة الاولی. قرأ علی ابی بن کعب و ابیه عیاش. و قرأ علیه مولاه ابوجعفر یزیدبن القعقاع، و یزیدبن رومان، و شیبة، و مسلم بن جندب وغیرهم. مات سنة ٦٤.

٨ـ مسروق بن الاجدع الهمدانی : قدم من الیمن بعد وفاة النبی صلی‌الله علیه وآله کوفی تابعی من اصحاب ابـن مسعود. من الذیـن یقرؤن ویفتون، و کان اعلم بالفتوی من شریح القاضی. وهو ابن اخت عمروبن معد یکرب. و کانت عائشة تبنته، ومن ثم کان منحرفاً عن علی علیه‌السلام ومع ذلك فانه شهد مع علی حرب الخوارج، و قالت زوجته بعد وفاته: انه تاب فی‌آخر أیام حیاته. فکان یصلی علی علی علیه‌السلام مات سنة ٦٢.

٩ـ زربن حبیش الاسدی : یکنی ابـا مریم، وقیل: ابامطـرف. ادرك الجاهلیة ولم یر النبی صلی‌الله علیه‌وآله وهو من کبار التابعین، ومن ثقات امیرالمؤمنین علیه‌السلام. کان فاضلاً عالماً بالقرآن. أخذ عن علی علیه‌السلام و ابن مسعود. و أخذ عنه الشعبی و ابراهیم النخعی و عاصم. و کان من اعرب الناس، و کان ابن مسعود یراجعه فی‌العربیة. توفی ـ رحمه‌الله ـ سنة ٨٣ عن عمر بلغ ١٢٧ سنة.

١٠ـ ابو العالیة رفیع بن مهران الریاحی : اسلم بعد وفاة النبی صلی‌الله علیه‌وآله بسنتین. و اصبح من کبار التابعین و اماماً فی‌القرآن والتفسیر والعلم. اخذ عن علی علیه‌السلام و ابن مسعود و ابی بن کعب و ابن عباس و طائفة. کان یأتی ابن عباس و هو أمیر علـی البصرة فیجلسه علی سریره و یحترمه. توفی سنة ٩٣.

١١ـ عبید بن فضیلة الخزاعی الکوفی المقریء: قرأ القرآن علی ابن مسعود و علقمة. و قرأ علیه ابراهیم النخعی و حمـران بن اعین و یحیی بن وثاب. کان مقریء اهل‌الکوفة فی زمانه. قـال عـاصم: کان والله قارئاً للقرآن. ذکره ابن سعد فی الطبقة الاولـی من اهل

الكوفة توفى سنة ٧٤.

١٢ـ عمرو بن شرحبيل الهمدانى : ابو ميسرة الكوفى، احدالستة الخصيصين من اصحاب ابن مسعود، الذين يقرؤن القرآن و يصدر الناس عن رأيهم. وكان من‌العباد، وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة. وكان رأساً فى‌القراءة. مات سنة ٦٣.

الطبقة الثالثة

وهم‌الذين لم‌يدركوا حياة النبى صلى‌الله عليه‌وآله و أخذوا القرآن عن الصحابة الاولين اوعن التابعين من‌الطبقة المتقدمة عليهم، و هم ـ ايضاً ـ تابعيون لكن فى درجة ثانية و اليك من معاريفهم:

١ـ سعيد بن جبير: الامام العابد ابو عبدالله الاسدى الوالبى الكوفى. نزل مكة قرأ على ابن‌عباس وكان خصيصاً به. كان من‌سادات التابعين ومن افضلهم علماً و صدقاً و عبادة. كان يقال له: جهبذ العلماء. و كان يقرأ القرآن كله فى ركعتين قيل: و ما على وجه الارض احد الاوهو يحتاج الى علمه.

كان احد الخمسة المختصين بالامام زين‌العابدين على بن‌الحسين السجاد عليه‌السلام. وعن الامام الصادق عليه‌السلام: ان سعيد بن جبير كان يأتم بعلى بن الحسين، و كان الامام يثنى عليه، و ما كان قتل الحجاج له الاعلى هذا الامر.

و لما ادخل على الحجاج، قال له: انت شقى بن كسير. قال: أمى كانت اعرف بى، سمتنى سعيد بن جبير. فقال له الحجاج: ماتقول فى ابى‌بكر و عمر، هما فى الجنة ام فى‌النار؟ قال: لودخلتهما لعلمت

من فيهما. قال : ما قولك فى الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قـال: ايهم احب اليك؟ قال: ارضاهم لخالقه. قال: فأيهم ارضى للخالق؟ قال: علم ذلك عندالذى يعلم سرهم و نجواهـم. فقـال الحجاج: أبيت ان تصدقنى، قال : بل لم‌احب ان اكذبك.

وقد وصفه المؤرخون بالاستقامة ـ اى علـى مذهب اهل‌البيت ـ عليهم السلام ـ قتله الحجاج صبراً فى سنة ٩٥. و كان آخر قتيل قتله الحجاج، و لم يعش بعده سوى اربعين يوماً و قيل ستة اشهر، و اختلط على‌اثر هذه القتلة الشنيعة، وكان يقول: مالى ولسعيد بن جبير حتى هلك فى‌شر موتة ولحق مواليه فى بئس القرار.

٢ـ نصربن عاصم الليثى البصرى : كان شيخ الاقراء فى‌البصرة اخذ عنه القراءة اكثر القراء من‌الطبقة الرابعة، وستأتى اسماؤهم. تتلمذ على ابى الاسود الدؤلى صاحب اميرالمـؤمنين عليه‌السلام. و كـان خصيصاً به. وهو ـ وصاحبه يحيى بن يعمـر ـ اول من نقط المصحف وخمسه وعشره، توفى سنة ١٠٠.

٣ـ مجاهد بن جبرالمكى : ابو الحجاج المخزومى المقـرىء قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عندكل آية أسأله فيم نزلت و كيف كانت. و كان دوره فى التفسير اكثر منه فى‌القراءة، و مع ذلك فقد قرأ عليه خلق كثير منهم: عبدالله بن كثير. كما جاء فى نص ابن حجر. توفى حدود سنة ١٠٢.

٤ـ يحيى بن وثاب الاسدى : مقرىء اهل‌الكوفة المقدم، احـد الاعلام ـ على‌حد تعبير الذهبى ـ قال الاعمش: كان يحيى أقرأ العرب واحسنهم قراءة قال: و ربما اشتهيت تقبيل رأسه، و كان اذاقرأ لم‌يحس

في المسجد حركة كأن ليس في المسجد احد.

اخذ القرآن عن علقمة بن قيس والاسود بن يزيد و مسروق بن الاجدع. و كان غاية فيالزهد والعبادة.

قال ابو محمد بن حيان الاصبهاني: كان وثاب مناهل قاسان وقع الى ابن عباس و اقام معه فاستأذنه فيالرجوع الى قاسان فاذن له، فرحل مع ابنه يحيى، فلما بلغ الكوفة قال له ابنه يحيى: انى مؤثر حظ العلم على حظ المال، فاعطنى الاذن فيالمقام فاذنله، فأقام فيالكوفة فصار اماماً. و قدمه اهلالكوفة للامامة فيالمسجد حتى ايام الحجاج ابن يوسف حينما أمران لايؤم بالكوفة غير عربى، فاعتزل يحيى عن الامامة بالمسجد. فسأل عنه الحجاج، فقال: من هذا؟ قالوا: يحيى بن وثاب.

قال: ماله؟ قالوا: أمرت انلايؤم الا عربى! فقال: ليس عن مثل هذا نهيت فصلى بهم يوماً ثم قال: اطلبوا اماما غيرى، انما اردت ان لاتستذلونى، فاذا صار الامر الى فانى لاأؤمكم. توفى سنة ۱۰۳.

۵ـ مسلم بن جندب : القارىء المدنى. قرأ على ابن عياش. و قرأ عليه نافع. و تأدب على يديه عمربن عبدالعزيز. و كان من فصحاء اهل زمانه، و ماعرفت له جرحة. توفى حدود ۱۱۰.

٦ـ طلحة بن مصرف: قارىء كوفى، اخذ عن سعيد بن جبير. و كان يسمى سيدالقراء، وله انحراف عن المذهب الحق. هلك سنة ۱۱۲.

۷ـ عبدالرحمان بن هرمز المدنى الأعرج : كان وافرالعلم بارزاً فيالقرآن والسنة. و هو اول من اشاع العربية فيالمدينة، اخذها عن ابيالاسود الدؤلى. و اخذ القراءة عن ابن عياش، و اخذ عنه نافع

المدنی. خرج الی الاسکندریة فادرکه الاجل بها سنة ۱۱۷.

۸ـ عبدالله بن‌عامر الیحصبی : امام اهل‌الشام فی‌القراءة، هو احد السبعة و اقربهم عهداً الی التابعین الاولین، قال: قبض رسول‌الله (ص) ولی سنتان و انتقلت الی دمشق ولی تسع سنین. قال: و قرأت علی معاویة بن أبی‌سفیان، قال یحیی ابن الحارث: ولد ابن عامر سنة ۲۱ من‌الهجرة. کان یزعم انه من حمیر، وکان یغمز فی نسبه. وکان‌قاضی الجند فکان رئیس المسجد لایری فیه بدعة سواها. و استأذن أیام عمربن عبدالعزیز فلم یأذن له، ثم کان رأس المسجد ایام الولید بن عبدالملك.

کان یؤم الناس بالمسجد فلما استخلف سلیمان بن عبدالملك بعث الی مهاجر و قال: اذا کان اول لیلة من رمضان قف خلف ابن‌عامر، فاذاتقدم فخذ بثیابه واجذبه، وقل: تأخر، فلن یتقدم منادعی، وصل انت یا مهاجر، ففعل. ولایدری علی من قرأ ابن عامر؟ و کل من ذکر له شیخاً فانما یرویه عنه هو، فقیل: اثبت الاقوال انه قرأ علی‌المغیرة‌بن ابی‌شهاب. لکن من هذا المغیرة؟ قال الذهبی: و لایکاد یعرف الامن قراءة ابن‌عامر علیه. قلت: ان صحت قراءته علیه! مات سنة ۱۱۸.

۹ـ یحیی بن معمر ابو سلیمان البصری: قال ابن‌سعد: کان نحویاً صاحب علم بالعربیة والقرآن. ولی قضاء مرو، و کان یقضی بالیمن. و کان من فصحاء اهل زمانه و اکثرهم علماً باللغة مع الورع الشدید. هکذا وصفه المؤرخون تتلمذ هو وصاحبه نصر بن‌عاصم علی ابی‌الاسود الدؤلی، و کان وجهاً فی‌الشیعة، نفاه الحجاج الی مرو. فولاه قتیبة‌بن مسلم قضاءها. مات فی حدود ۱۲۰.

۱۰ـ عبدالله بن كثير بن المطلب : امام المكيين فی‌القراءة، هو احدالسبعة من اصل فارسی و كان عطاراً بمكة. قال الذهبی : هو من ابناء فارس، الذين بعثهم كسری الی صنعاء فطردوا عنها الحبشة. قرأ علی ابن‌السائب و مجاهد و درباس مولی ابن عباس. قرأ عليه ابوعمرو ابن العلاء وطائفة. كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ابيض اللحية طويلا جسيماً، أحمراشهل العينين، يخضب بالحناء، عـليه سكينة و وقـار. توفی سنة ۱۲۰.

۱۱ـ محمد بن عبدالرحمان السهمی ابـن محيصن : هو احـد الثلاثة قراء مكة: ابن‌كثير و ابـن محيصن و حميد الاعـرج. و هو من‌الاربعةالذين قرأوا بالشواذ المقبولة فی‌مصطلحهم، قال ابن‌مجاهد: كان لابن محيصن اختيار فی‌القراءة علی مذهب العربية، فخرج به عن اجماع اهل بلده فرغب الناس عن قراءته واجمعوا علی قراءة ابن‌كثير لاتباعه. مات سنة ۱۲۳.

۱۲ـ عاصم بن ابی‌النجود (بهدلة) الاسدی الكوفی : القاریء الامام. أحد السبعة. قرأ علی ابی عبدالرحمان السلمی و زر بن حبيش. و قرأ عليه خلق‌كثير، و اليه انتهت الامامة فی‌القراءة بالكوفة بعدشيخه السلمی. وكان احسن‌الناس صوتاًبالقرآن. وكان‌نحوياً فصيحاً اذاتكلم مشهور الكلام، وكان ذانسك و ادب و عبادة و كان عاصم متشيعاً شديد الولاء لال بيت الرسول صلی‌الله‌عليه وآله معروفاً بذلك.

ذكر الشيخ عبدالجليل الرازی فی كتابه «نقض الفضائح» ان عاصماً كان امام الشيعة فی‌القراءة، علی غرار سائر القراء الكوفيين. قال: واكثر القراءمن‌الحرمين والعراقين هم شيعة آل‌البيت، مشهورون بالولاء الخاص لهذا البيت الرفيع.

وقد ذكر عاصم: انه لم يخالف اباعبدالرحمان فی شیء من قراءته، فان اباعبدالرحمان لم يخالف علياً ـ عليه‌السلام ـ فی شیء من قراءته.
ثم ان عاصماً اقرأ تلميذه الموالی لآل البيت عليهم‌السلام حفصاً، هذه القراءة التی أخذها عن السلمی عن علی عليه‌السلام.
قال حفص: قال لی عاصم: ماكان من‌القراءة التی اقرأتك بها فهی‌القراءة التی قرأتها علی ابی عبدالرحمان السلمی، عن علی عليه‌السلام.
قال الذهبی : واعلی ما يقع لنا القرآن العظيم من جهته (ای من جهة عاصم) فاننی قرأت القرآن كله علی ابی‌القاسم سحنون المالكی، عن ابی‌القاسم الصفراوی، عن ابی‌القاسم بن عطية، عن ابن الفحام، عن ابن نعس، عن‌السامری، عن الاشنائی، عن عبيد بن‌الصباح، عن حفص، عن عاصم، عن ابی عبدالرحمان السلمی، عن علی عليه‌السلام و زر عن ابن مسعود، كلاهما عن النبی صلی‌الله عليه وآله عن جبرئيل عليه‌السلام عن الله عزوجل.
قلت: وجميع المصاحف اليوم هی علی قراءة حفص عن عاصم عن السلمی عن علی عليه‌السلام. و سيوافيك شرح‌ذلك.
توفی ـ رحمه‌الله ـ سنة ١٢٧.

١٣ـ شيبة بن نصاح بن سرجس المدنی : المقریء الامام : مولی ام‌سلمة ـ رضی‌الله عنها ـ واحد شيوخ نافع و قاضی المدينة و مقريها مع ابی‌جعفر كان بعيد الصيت فی‌القراءة و كان نافع اكثر اتباعا له منه لابی جعفر. توفی سنة ١٣٠.

١٤ـ حميد بن قيس الاعرج المكی هو احد الثلاثة قراء مكة. ولم يكن احد أقرأ منه و من ابن‌كثير مات ١٣٠.

۱۵ــ یزید بن القعقاع : ابوجعفر القاریء، احد العشرة. مدنی مشهور، رفیع الذکر، قرأ علی مولاه عبدالله بن عیاش. و کان أقرأ الناس، وتصدی للاقراء دهراً طویلا. مات حدود سنة ۱۳۰.

۱۶ــ یزید بن رومان المدنی : کان فقیها قارئاً محدثاً. هو احد شیوخ نافع فی القراءة. توفی سنة ۱۳۰.

۱۷ــ حمران بن اعین الشیبانی : تابعی کوفی، مقریء کبیر، کما قال الذهبی و قال ابو عمرو الدانی: اخذ القراءة عرضاً و سماعاً عن عبید بن فضیل و ابی حرب بن ابی الاسود الدؤلی و یحیی بن وثاب. و عرض علیه حمزة بن حبیب الزیات، احد السبعة.

کان من اصحاب الامامین الباقر والصادق ـ علیهما السلام ـ خصیصاً بهما، وعده الکشی من حواریهما. و شهد الصادق علیه السلام انه من اهل الجنة حقاً. و کان من اعلم اهل زمانه و اعبدهم و ازهدهم. توفی ـ رحمه الله ـ حدود سنة ۱۳۰.

الطبقة الرابعة

۱ــ أبان بن تغلب بن رباح : ابوسعید البکری الجریری. قال الشیخ ابو جعفر الطوسی: ثقة جلیل القدر، عظیم المنزلة فی اصحابنا الامامیة، لقی ثلاثة من الائمة و کان خصیصاً بهم: الامام زین العابدین، والامام الباقر، والامام الصادق ـ علیهم السلام ـ و کانت له عندهم حظوة و قدم. و قال له الامام ابوجعفر الباقر علیه السلام: اجلس فی المسجد و أفت للناس، فانی احب ان اری فی شیعتی مثلك.

وکان قارئا مجیداً و رأساً فی القراء، فقیها لغویاً بارعاً. سمع

من‌العرب وحکی عنهم، و صنف کتاب «الغریب فی‌القرآن» و ذکر شواهد من‌شعر العرب الاصیل.

و لابان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. قال الشیخ: أخبرنا بها احمد بن محمد بن سعید. قال: اخبرنا محمدبن‌یوسف الرازی‌المقریء، بالقادسیة سنة ۲۸۱. قال: حدثنی ابونعیم الازدی، ساکن سواد البصرة سنة ۲۵۵ بالری، قال: حدثنا محمد بن موسی بن ابی مریم، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما أحد أقرأ منه، یقرأ القرآن من اوله و آخره ــ و ذکر القراءة ــ وسمعته یقول: انما الهمزة ریاضة.

و کان اذا دخل علی ابی عبدالله احتفل به و أمر له بوسادة. و کان اذا دخل المدینة تقوضت له الحلق و اخلیت له ساریة النبی صلی‌الله علیه‌وآله فی المسجد.

مات أبان سنة ۱۴۱ فی حیاة ابی‌عبدالله علیه‌السلام ولما اتاه نعیه قال: أما والله لقد أوجع قلبی موت أبان، رحمة‌الله علیه.

۲ـ سلیمان بن مهران الاعمش: الامام المعلم ابو محمد الاسدی الکوفی. أصله من‌أعمال الری. قرأ علی ابن وثاب و زر بن حبیش، و عرض علی ابی‌العالیة و مجاهد و ابن بهدلة. وکان اقرأ الناس فی زمانه. قرأ علیه حمزة بن حبیب الزیات و غیره.

قال ابن عیینة: کان الاعمش اقرأهم لکتاب‌الله و احفظهم للحدیث و اعلمهم بالفرائض. قال ابن القطان: کان الاعمش علامة الاسلام.

کان الاعمش یقریء الناس، رأساً فیه، و کان فصیحاً، و کان لایلحن و لاحرفاً واحداً. وکان شعبة یفضل الاعمش علی عاصم فی‌القراءة.

قال ابن یونس: لم‌نر مثل الاعمش، ولم‌نر الاغنیاء والملوک احقر

عند أحد منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته، فقد كان من النساك، و مات يوم مات ولم يخلف احداً اعبد منه.

وكان صلباً في ايمانه و ثباته على المذهب الحق. موالياً حـراً للامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال شريك القاضي: حضرت الاعمش في علته التي قبض فيها، اذ دخل عليه ابن شبرمة و ابن ابي ليلى و ابو حنيفة، يعودونه. فسألوه عن حاله فذكر ضعفاً شديداً و ذكر مايتخوف من خطيئاته و ادركته رقة فبكى. فاقبل ابو حنيفة، فقال: يـا ابامحمد اتق‌الله وأنظر لنفسك، فانك في‌آخر يوم من الدنيا و اول يوم من الاخرة، و قد كنت تحدثت في علي بن ابي طالب باحاديث لو رجعت عنها كان خيراً لك! قال الاعمش: مثل ماذا؟ يـا نعمان! قـال : حـديث عباية «اناقسيم النار».

قال الاعمش : او لمثلي تقول يالكع. اقعدوني أسندوني. فقـال: حدثني ـ والذي مصيري اليه ـ موسى بن طريف، ولم ار أسدياً خيراً منه، قال. سمعت عباية بن ربعي امام الحي، قال: سمعت اميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: اناقسيم النار، اقول: هذا وليي دعيه، و هذا عدوي خـذيه.

وحدثني ابوالمتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري، قال: قال النبي صلى‌الله عليه‌وآله اذا كان يوم‌القيامة اقعد انا وعلي على الصراط، ويقال لنا : ادخلا الجنة من آمن بي و احبكما و ادخلا النار من كفر بي و ابغضكما. قال ابوسعيد: قال النبي صلى‌الله‌عليه وآلـه: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم‌يتول علياً، وتلا: «ألقيا في جهنم كل كفار عنيد».

فجعل ابو حنيفة ازاره على رأسه، و قـال : قـوموا بنالايجيئنا ابو محمد بأطم من هذا. فمـا امسى الاعمش حتى مـات ـ رحمه‌الله و افاض عليه شآبيب رحمته الواسعة ـ وكانت وفاته سنة ١٤٨.

٣ــ ابو عمرو بن العلاء المازني : اسمه زبان. مقـرىء البصرة، واحد السبعة اليه انتهت امامة البصرة. قرأ على جماعات و تعرف الى قراءاتهم، فكان يقرأ من كل قراءة مايراها أحسنها و اوفق بالعربية. وكان يقول: لولا ان ليس لى الأن أقرأ الا بماقرىء لقرأت كذا وكذا و ذكر حروفاً. وكان من الشيعة الاعلام ومن اشراف العرب و وجوههم. روى عن الامام الصادق عليه‌السلام و له صحبة معه. توفى سنة ١٥٤.

٤ــ يحيى بن الحارث الذمارى، امام جامع دمشق و مقرىء البلد، خلف ابن عامر بدمشق و انتصب للاقراء. و توفى سنة ١٤٥.

٥ــ نافع بن عبدالرحمان ابــو نعيم : وقيل: ابــو رويم الليثى، من السبعة. كان مقرىء اهل المدينة، و كان اصله من اصبهان. قرأ على جماعة ربما بلغوا سبعين تابعياً ، وكان يختار من قراءاتهم ما اختص به، و اصبح امام الناس فى القراءة لاينازع. توفى سنة ١٦٩.

٦ــ حمزة بن حبيب الزيات : الامام، احد السبعة، قال الذهبى: كان اماماً حجة قيماً بكتاب الله، حافظاً للحديث بصيراً بالفـرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، ثخين الورع عديم النظير. قرأ علــى الاعمش و حمران بن أعين و ابن ابى ليلى، وتصدر للاقراء. قرأ عليه الكسائى و جماعة.

كان الاعمش اذا رأى حمزة مقبلا، قال : هذا حبر القرآن، و قال ابن مندل: اذا ذكر القراء فحسبك بحمزة فى القراءة والفرائض. و قال ابوحنيفة لحمزة : شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القــرآن والفرائض. و قال عبدالله بن موسى: ما رأيت احداً اقرأ من حمــزة. و كان حمزة يقول: ما قرأت حرفاً الا بأثر. و شهد بذلك ابن مجاهد

ايضاً. و هكذا شهد بحقه سفيان الثورى، قال : هذا ــ مشيراً الى حمزة ــ ما قرأ حرفاً من كتاب الله عزوجل الا بأثر.

و عده ابوجعفر الطوسى من اصحاب الامـام الصادق عليه السلام و عده ارباب السير من وجوه الامامية المعروفين بالولاء لآل البيت ــ عليهم السلام ــ توفى رحمه الله سنة ١٥٦.

٧ــ عيسى بن عمر الهمدانى : قرأ على عاصم والاعمش. و قـرأ عليه الكسائى و جماعة. كان يقرىء اهل الكوفة اذا لم يكن حمزة. مات ١٥٦.

٨ــ ابوالحارث عيسى بن وردان المدنى الحذاء : امام مقرىء حاذق، وراو ضابط، عرض القراءة على ابى جعفر وشيبة بن نصاح، وكان من اجلة اصحاب نافع مات حدود سنة ١٦٠.

٩ــ سليمان بن مسلم بن جماز: ابوالربيع الزهرى المدنى، مقرىء مجيد ضابط، عرض القراءة على ابى جعفر يزيد بن القعقاع و شيبة بن نصاح، توفى سنة ١٧٠.

١٠ــ على بن حمزة بن عبدالله بن بهمـن بن فيروز الكسائـى ابوالحسن الامام المقرىء النحوى الكوفى احد الاعلام و من السبعة. قرأ على جماعات و قرأ عليه طوائف كان اماماً ألمعياً يختار لنفسه قراءة من بين القراءات، يأخذ ببعضها و يترك بعضها قال ابن مجاهد : كان الكسائى من اهل القراءة و كانت علمه و صنعته، قال: ولم نجالس احداً اضبط منه واقوى قراءة من الكسائى. قال خلف: كنت احضر بين يدى الكسائى و هو يقرأ على الناس، وهم ينقطون مصاحفهم بقراءته.

كان الكسائى وجهاً من وجوه الشيعة الامامية، وله اخبار طوال و مواقف كثيرة هى غرر الموسوعات الادبية والتاريخية توفى ـ رحمه‌الله ـ سنة ١٨٧.

١١ـ سلام بن سليمان ابو منذر المزنى البصرى، ثم الكوفى المقرىء النحوى المعروف بالخراسانى. شيخ يعقوب الحضرمى. قرأ على عاصم. ولم يكن فى وقته اعلم منه، و كان فصيحاً نحوياً، يؤم بجامع البصرة. مات ١٧١.

١٢ـ ابوبكر شعبة بن عياش الاسدى الكوفى : الامام، احد راويى عاصم. ويتهم بعدم الضبط. على خلاف زميله حفص الضابط. وكان متزلفاً الى الامراء، يشهد لذلك حديثه بمحضر الرشيد: كان بنو امية انفع للناس، وانتم اقوم بالصلاة. و كان يقول: ابوبكر بن ابى قحافة خليفة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فى‌القرآن!

رماه الائمة بالاضطراب فى الحديث. قال ابونعيم: لم‌يكن فى شيوخنا اكثر غلطاً منه. مات سنة ١٩٣.

١٣ـ سليم بن عيسى ابو عيسى الكوفى : صاحب حمزة و اخص تلامذته به، و احذقهم بالقراءة و اقومهم بالحرف. خلف حمزة بالاقراء بالكوفة، حتى ان رفقاءه فى القراءة على حمزة، قرأوا عليه ايضاً، لاتقانه. قال الكسائى: كنت اقرأ على حمزة فجاء سليم فتلكأت. و كان يقول : قرأت القرآن على حمزة عشر مرات. مات سنة ١٨٨.

١٤ـ حفص بن سليمان الاسدى، الغاضرى الكوفى : المقرىء الامام صاحب عاصم و ربيبه. و كان اعلم بقراءة عاصم. و كان الائمة

يعدونه فوق صاحبه شعبة ابىبكر ابن عياش. كما اخذ التشيع عن شيخه عاصم، و عده الشيخ ابـوجعفر الطوسى من اصحاب الامـام الصادق عليه‌السلام. و من ثم فان القراءة التى أقرأها عـاصم لحفص هى التى أخذها عن ابى عبدالرحمان السلمى عن على عليه‌السلام.

ولحفص منزلة رفيعة عندالقراء مع الابدية، حيث التزموا بقراءته فى‌المصحف المتعارف بين المسلمين، و عليها كان مدار القراءة العامة ، وسنبحث عن هذه الناحية و مرت الاشارة الى ذلك فى‌ترجمة عاصم.

عاش حفص تسعين سنة سعيداً، وتوفى ـ رحمه‌الله ـ سنة ١٨٠.

١٥ـ اسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين : ابو اسحاق المخـزومى المكى، القارىء المعروف بالقسط. قارىء اهل مكة فى‌زمانه، و آخر اصحاب ابن‌كثير وفاة. و هو شيخ محمد بن ادريس الشافعى فى‌القراءة. مات سنة ١٧٠.

١٦ـ اسماعيل بن جعفر الانصارى المدنى: أخذ القـراءة عـن شيبة وعرضها على نافع، وبرع فى القراءة و نزل بغداد ونشربها علمه، و أقرأبها، و اخذ عنه ابوالحسن الكسائى و ابو عبيد القاسم بن سلام و ابو عمرو والدورى و جماعة. توفى ببغداد سنة ١٨٠.

الطبقة الخامسة

١ـ ابو محمد اسحاق بن محمد المسيبى المخـزومى ، المدنى المقرىء: قرأعلى نافع بن ابى نعيم، وكان من جلة اصحابه المحققين. و اخذ عنه خلف بن هشام البزار وطائفة. وحدث عنه ابن ذكوان و احمد بن حنبل. توفى سنة ٢٠٠.

٢ـ ايوب‌بن المتوكل البصری‌الصيدلانی المقریء، عرض‌القراءة علی سلام القاریء و ابی‌الحسن الكسائی، وجماعة. و اختار لنفسه مقرأ. و كان اماماً ضابطاً متتبعاً للاثر و كان أقرأ زمانه. مات سنة ٢٠٠.

٣ـ يحيی‌بن المبارك اليزيدی : الأمام ابومحمد البصری النحوی المقریء. و عرف باليزيدی لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدی يؤدب ولده . جود القرآن علی ابی عمرو، و قرأ عليه الدوری والسوسی ، وكان له اختيار ـ كما ذكره الذهبی ـ و كان علامة فصيحاً مفوهاً بارعاً في اللغات والاداب. اخذ عن خليل بن احمد الفراهيدی حتی قيل: انه املی عشرة آلاف ورقة، وله عدة تصانيف، توفی سنة ٢٠٢.

٤ـ عثمان بن سعيد ابوسعيد المصری المقری، الملقب بـ «ورش» اصله من افريقية، قرأ القرآن وجوده علی نافع عدة ختمات فی حدود سنة خمس و خمسين و مأة. و نافع هو الذی لقبه بورش لشدة بياضه. والورش شیء يصنع من‌اللبن. وقيل: لقبه بالورشان، وهوطائرمعروف، و كان يقول: اقرأ ياورشان. وهات ياورشان، ثم خفف فقيل ورش. وكان ورش يعتز بهذه التسمية، و يقول: استاذی نافع سمانی بذلك.
و اليه انتهت رئاسة الاقراء بالديار المصرية فی زمانه قال الذهبی: ان ورشاً لما تعمق فی النحو و أحكمه، اتخذ لنفسه مقرأ يسمی مقرأ ورش. مات سنة ١٩٧.

٥ـ قالون ابوموسی عيسی بن مينا: قاریء اهل المدينة فی‌زمانه قيل: كان ربيب نافع. و هو الذی لقبه بقالون لجودة قراءته. و هی لفظة رومية معناها: «جيد» و لم يزل يقرأ علی نافع حتی مهر وحذق.

وطال عمره وطار صيته. قرأ عليه جماعات توفى سنة ۲۲۰.

٦ــ يعقوب بن اسحاق الحضرمى : قارىء اهل البصرة فى عصره برع فى القرآن و طارصيته. قال ابوحاتم: هو اعلم من رأيت بالحروف و الاختلاف فى القرآن و علله و مذاهبه. و كان امام جامع البصرة لايقرأ الابقراءة يعقوب. وكان لايلحن فى كلامه قط. وكان ابوحاتم السجستانى من بعض تلامذته. و قال ابوالقاسم الهذلى: لم‌ير فى زمن يعقوب مثله. و كان عالماً بالعربية و وجوهها فاضلا نقياً تقياً توفى سنة ۲۰۵.

٧ــ ابو يوسف الاعشى: يعقوب بن محمد الكوفى: قرأ على ابن عياش، و تصدر للاقراء بالكوفة، فقرأ عليه الصيرفى والشمونى و غيرهما. قال النقاش: كان الاعشى صاحب قرآن و فرائض، ولست افضل عليه احداً فى القراءة على ابى‌بكر. مات حدود ۲۰۰.

٨ــ شجاع بن ابى‌نصر البلخى: المقرىء الزاهد. قرأ القرآن على ابى عمرو و جوده. أخذ عنه القاسم بن سلام و محمد بن غالب. و سئل عنه احمد بن حنبل، فقال: بخ بخ، و اين مثله اليوم؟ توفى ببغداد سنة ۱۹۰.

٩ــ الحسين بن على الجعفى الكوفى. ابو عبدالله الزاهد، أحد الاعلام. قرأ القرآن على حمزة و برع فيه، و تصدى للاقراء بعد حمزة. و أخذ عنه احمد بن حنبل. قال : مارأيت افضل من حسين الجعفى. و قيل لسفيان بن عيينة : قدم حسين الجعفى، فوثب قائماً، و قال: قدم افضل رجل يكون قط. قال ابن داود، كنت عند ابن عيينة فاتاه حسين

الجعفي، فقام سفيان و قبل يده. و قال ابن يحيى النيسابوري: ان كان بقي من‌الأبدال احد فحسين الجعفي. و سأل الرشيد الكسائي عن اقرأ الناس، فقال: حسين الجعفي. و قال احمد بن عبدالله العجلي: كان الجعفي يقرىء الناس و هو رأس فيه، و لم‌أر أحداً قط افضل منه. توفي عن عمر ناهز الاربع و الثمانين في سنة ۲۰۳ في ذي‌القعدة.

۱۰ـ عبدالله‌بن صالح العجلي‌الكوفي المقرىء ابواحمد، من كبار المقرئين قرأ على حمزة و قرأ عليه جماعة. سكن بغداد في آخر أيامه و أقرأ بها. توفي حدود ۲۲۰.

۱۱ـ يحيى بن آدم. الامام ابوزكريا القرشي، الكوفي الاحول، الحافظ المقرىء. روى حروف عاصم من غير تلاوة على شعبة. قال ابو أسامة: مارأيت يحيى الاذكرت الشعبي، يعني جامعيته للعلم و رأس اهل عصره. توفي بفم الصلح في ربيع‌الاول سنة ۲۰۳ و هو في عشر السبعين.

۱۲ـ عبدالله بن موسى العبسي الكوفي: ابو محمد المقرىء الحافظ الشيعي، شيخ البخاري. قرأ القرآن و جوده على عيسى الهمداني و علي بن صالح. و اخذ الحروف من حمزة والكسائي. قال احمد العجلي: عالم بالقرآن رأس فيه، و ما رأيته رافعاً رأسه. و مارؤى ضاحكاً قط. قال ابو داود: كان شيعياً منحرفاً (اى عن مذهب العامة في‌الولاء للجبت والطاغوت). قال الذهبي: حديثه في الكتب الستة بواسطة، و عندالبخاري بلاواسطة. و كان صاحب عبادة و تهجد و زهد. صحب حمزة الزيات و تخلق بسيرته (في الولاء لال البيت، مذهب‌عامة المقرئين الكوفيين).

قال ابن سعد: توفى العبسى سنة ٢١٣ فى ذى القعدة ـ رحمه‌الله ـ.

الطبقة السادسة

١ـ ابو عبيد القاسم بن سلام الامام، احد الاعـلام، ذوالتصانيف الكثيرة، أخذ القراءة عن الكسائى و شجاع بن ابى نصر وآخرين.

كان اماماً مجتهداً لايقلد أحداً فيما يختار. قال ابن راهويه: كنا نحتاج الى ابى‌عبيد، و ابو عبيد لايحتاج الينا. و قال احمد بن حنبل: ابو عبيد استاذ. و سئل ابن معين عنه، فقال: أمثلى يسأل عن ابى‌عبيد!؟.

ولد ابو عبيد بهراة، و كان ابوه سلام عبداً لبعض اهلها، فأخـذ القاسم فى التعلم حتى برع فى‌الادب و اتصل بثابت بن مالك الخزاعى فولاه قضاء طرسوس ثمانى عشرة سنة.

و كان يتصل بوجهاء الشيعة فيأخذ عنهم العلم الكثير، فى‌الادب و القرآن و سائر العلوم الاسلامية التى امتازت الشيعة الامامية بجمعها و تهذيبها مالا يوجد عند غيرهم. ولذلك رماه اصحاب الحديث بـانه يحسن كل شيء الا الحديث. و قد نقل الذهبى عن عباس الدورى ان ابا عبيد كـان يقـول : مارأيت قوماً اضعف جهة و لا اجمع للعلوم من‌الرافضة. توفى بمكة سنة ٢٢٤.

٢ـ خلاد بن خالد، ابو عيسى الشيبانى الصيرفى الكوفى، الاحول المقرىء صاحب سليم، و تصدى للاقراء مدة. توفى سنة ٢٢٠.

٣ـ خلف بن هشام البزار ، المقرىء البغدادى، احد الاعـلام. قرأ على سليم عن حمزة، و كان له اختيار فى‌القراءة يقرىء بها. مات حدود سنة ٢٣٠.

٤ـ روح بن عبدالمؤمن الهذلی، البصری المقریء. قرأ علی یعقوب الحضرمی، ذکره ابن‌حبان فی الثقات. مات سنة ۲۳۳.

٥ـ رویس، محمد بن‌المتوکل اللؤلؤی البصری، مقریء حاذق، وضابط معروف، اخذ القراءة عرضاً عن یعقوب الحضرمی، و کان من احذق اصحابه توفی سنة ۲۳۸.

٦ـ اسحاق‌بن ابراهیم، ابویعقوب‌المروزی المعروف بابن‌راهویه، نزیل نیسابور، احد الائمة، طاف البلاد، و کان احفظ دهره. قال ابوداود: تغیر ابن راهویه قبل ان یموت بخمسة اشهر، و سمعت منه فی تلک الایام فرمیت به، مات سنة ۲۳۸.

٧ـ اللیث بن خالد. ابوالحارث البغدادی، کان ذاحذق و ضبط عرض القراءة علی الکسائی، و کان من اجلة اصحابه. مات سنة ۲٤٠.

٨ـ ابو یعقوب الازرق یوسف بن عمرو، المدنی ثم المصری. لزم‌ورشاً مدة طویلة واتقن عنه الاداء. قال: ان ورشاً لما تعمق فی‌النحو اتخذ لنفسه مقرءاً یسمی «مقرأ ورش» فلما جئت لاقرأ علیه، قلت له: یا ابا سعید، انی أحب ان تقرئنی مقرأ نافع خالصاً و تدعنی مما استحسنت لنفسک، فقلدته مقرأ نافع، فقرأت علیه عشرین ختمة بین حدر و تحقیق. و أخیراً انفرد الازرق عن ورش بتغلیظ اللامات و ترقیق الراءات. و قد خلف‌ورشاً فی‌الاقراء بالدیار المصریة. توفی حدود ۲٤٠.

٩ـ ابن ذکوان عبدالله بن احمد بن بشیر، ابو عمرو الدمشقی،

مقرىء دمشق وامام الجامع. قال ابوزرعة الدمشقي: لم يكن في الاقطار الاسلامية في عصر ابن ذكوان اقرأ منه. توفي سنة ٢٤٢.

١٠ـ احمد بن محمد القواس المقرىء المكي. قال ابن مجاهد: قال لي قنبل: قال لي القواس ـ في سنة سبع و ثلاثين و مأتين ـ الق هذا الرجل ـ يعني البزي ـ فقل له: هذا الحرف ليس من قراءتنا، يعني «و ماهو بميت» مخففا، و انما يخفف من الميت من قدمات، و أما من لم يمت فهو مشدد، قال قنبل: فلقيت البزي فاخبرته، فقال: قدرجعت عنه. ثم اتى الى القواس من الغد، فقال: قدجاءني ابوعمرو سألتك في هذاالحرف. وكان معه حرفان آخران رددتهما عليه. و قد كان عكرمة بن سليمان أقرأنيهما، و قدرجعت عنهما الى قولك.

و هذا يدل على مكانة القواس العظيمة، اولى من قنبل والبزي وهماراويا ابن كثير!

توفي القواس بمكة سنة ٢٤٥.

١١ـ ابوعمر الدوري حفص بن عمر الازدي، المقرىء النحوي البغدادي الضرير، نزيل سامراء مقرىء الاسلام، و شيخ العراق في وقته قرأ على اسماعيل بن جعفر والكسائي واليزيدي، ويقال: انه اول من جمع القراءات و ألفها. و قدطال عمره، فقصده من الافاق رواد العلم، و حذاق الصنعة، لعلو سنده و سعة علمه والدوري نسبة الى الدور محلة بالجانب الشرقي من بغداد. توفي ٢٤٦.

١٢ـ ابوالحسن البزي احمد بن محمد، مقرىء اهل مكة في عصره و مؤذن المسجد الحرام. فارسي الاصل، قيل. من بلدة همذان. قرأ على ابن سليمان و اسماعيل القسط عن ابن كثير. و قرأ عليه جماعة.

كان مؤذن المسجد الحرام اربعين سنة، و أقرأ الناس بالتكبير من «والضحى» توفى سنة ۲۵۰.

۱۳ـ احمد بن یزید الحلوانی، ابوالحسن المقرىء، من كبار الحذاق المجددين، قرأ على قالون و خلف و جماعة و كان كثير الترحال، توفى سنة ۲۵۰.

١٤ـ ابو نشيط محمد بن هارون المروزی، قرأ على قالون و كان من أجل اصحابه. و على روايته اعتمد الدانی فی التیسیر. و كان من الحفاظ والرحالين فيه توفى سنة ۲۵۳.

١٥ـ محمد بن عيسى الرازی ثم الاصبهانی المقرىء، احد الحذاق. قرأ القرآن على نصير و خلاد، صاحبی الكسائی. و صنف كتاب الجامع فی القراءات. و كتاباً فی العدد و فی الرسم. و كان رأساً فی النحو. قال ابونعيم الاصبهانی: ما اعلم احداً اعلم منه فـی فنه، يعنى القراءات. اخذ عنه الفضل بن شاذان والحسن بن العباس و ابوسهل حمدان و جماعة. توفى سنة ۲۵۳.

١٦ـ هشام بن عمار السلمى، ابوالوليد الدمشقى، خطيب المسجد الجامع بها، و اجتمع اليه الناس بعد موت ابن ذكوان، و طال عمره و خرف فی آخر أيامه، فكان يختلط فی الحديث، حتى قال احمد بشأنه: طیاش خفیف، و ذكر له قصة فی اللفظ بالقرآن، انكر عليه، و قال: من صلى خلفه فليعد صلاته. هلك سنة ۲۵۳.

١٧ـ احمد بن جبير، ابوجعفر الكوفى نزيل انطاكية. كان

من كبار انقراء و حذاقهم و معمريهم. اخذ القراءة عرضاً و سماعاً عن الكسائى، و سليم واليزيدى والمسيبى والاعشى واضرابهم. قال الدانى: امام جليل ثقة ضابط، اقرأ الناس بانطاكية، روى القراءة عنه خلق كثير. توفى سنة ۲۵۸.

۱۸ـ ابو شعیب السوسی، صالح بن زیاد المقرىء. قرأ على اليزيدى و سمع بالكوفة من ابن نمير و بمكة من ابن عيينة. مات سنة ٢٦٠ و قد قارب التسعين.

۱۹ـ الفضل بن شاذان بن عیسی، ابوالعباس الرازى المقرىء، احد الاعلام وشيخ الاقراء بالرى. قال ابوعمرو الدانى: لم يكن فى دهره مثله في علمه و فهمه و حسن اضطلاعه.

و هو شيخ ابن ابى حاتم الرازى، ولم يذكر ذلك ارباب تراجم الرجال سواه فى كتابه «الجرح والتعديل».

و نعته ابن النديم بعظمة، و ذكره من ائمة القرآن والروايات، ومن ثم يثق بنقله اكثر مما رأى بعينه. و ذلك فى باب ترتيب مصحف ابن مسعود. ثم يذكر فى الكتب المؤلفة فى القراءات: «كتاب القراءات للفضل بن شاذان». و يقول ـ في الفن ٦ من المقالة ٦ ـ : «الفضل بن شاذان الرازى و ابنه العباس بن الفضل. وهو خاصى عامى، الشيعة تدعيه، والحشوية ـ اهل السنة ـ تدعيه...»

۲۰ـ وهذا غير الفضل بن شاذان بن الخليل ابى محمد الازدى النيسابورى، العالم الشيعى الكبير، ذى المقام الرفيع والعظمة الشامخة فى الكلام و الحديث و سائر العلوم الاسلامية الاولى. توفى هذا الاخير سنة ۲٦٠. اما المترجم فقال ابن الجزرى: توفى حدود ٢٩٠.

الطبقة السابعة

١ـ محمد بن يحيى، الكسائى الصغير، هو من اجل اصحاب الكسائى الكبير. قرأ عليه وكيع و ابوبكر بن مجاهد. توفى حدود سنة ٢٩٠.

٢ـ محمد بن عبدالرحمان، ابوعمر المشتهر بـ «قنبل» مقرىء اهل مكة، و قد انتهت اليه رئاسة الاقراء بالحجاز. أخذ عن القواس و البزى. و قرأ عليه خلق كثير، منهم ابن مجاهد و ابن شنبوذ.

تولى قنبل شرطة مكة فخربت سيرته. و اختلط فى اواخر حياته و خلط فى القرآن، فهجره الناس منذى وذاك. و من ثم ترك الاقراء قبل موته بسبع سنين نهائياً. ثم انه طعن فى السن و شاخ و بلغ ٩٦ سنة و تغير تغيراً شديداً. مات سنة ٢٩١.

٣ـ سليمان بن يحيى الضبى. ابو ايوب البغدادى، من كبار المقرئين و من علمائهم، تصدى للاقراء بجامع المدينة ببغداد ستين عاماً، وطال عمره فوق التسعين مات سنة ٢٩١.

٤ـ القاسم بن احمد الخياط، ابومحمد التميمى الكوفى المقرىء. احد الحذاق. قرأ على الشمونى. و اقرأ الناس دهراً. و قرأ عليه ابن داود النقار و ابن شنبوذ و جماعة. و قال النقار: قرأت عليه اربعين ختمة. و سمعت اجماع الناس على تفضيل قاسم فى قراءة عاصم. مات حدود ٢٩٢.

٥ـ هارون بن موسى، ابن شريك الاخفش، شيخ المقرئين بدمشق، قرأ على ابن ذكوان، و قرأ عليه خلق كثير، و قدرحل اليه الطلبة من

الاقطار، لاتقانه وتبحره. منهم جعفر بن ابى داود، و ابوالحسن ابـن شنبوذ، و البلخى و البعلبكى و غيرهم.

قال ابو على الاصبهانى: كان هارون الاخفش من اهل الفضل، صنف كتباً كثيرة فيالقراءات والعربية. واليه رجعت الامامة فىقراءة ابن ذكوان، قيل: انه رأى اباعبيد بدمشق و سأله مسألة لغويـة، لقدم عهده وطول‌عمره، عاش ٩٢ سنة و توفى فى صفر سنة ٢٩٢.

٦ـ ادريس بن عبدالكريم الحداد المقرىء، ابوالحسن‌البغدادى. قرأ على خلف. و رحل اليه الناس من‌البلاد لاتقانه وعلو سنده. قـرأ عليه ابن شنبوذ و ابن مقسم. توفى سنة ٢٩٣.

٧ـ جعفر بن عبدالله الانصارى الاصبهانى، الامام المقرىء بجامع اصبهان. كان رأساً فى علوم القرآن والتجويد. قرأ علـى الدورى. وقرأ عليه محمد بن احمد الكسائى. توفى سنة ٢٩٤.

٨ـ محمد بن عبدالرحيم، المقـرىء الاصبهانى، شيخ الاقـراء فى‌زمانه. قرأ لورش على عامر الجرشى، و سمع من يـونس صاحب ورش، وحذق فى‌معرفة حرف نافع. اخذ عنه ابن‌مجاهد. قال‌المترجم: رحلت الى مصر بطلب القراءة، و كان معى ثمانون الفاً، فانفقتها على ثمانين ختمة. توفى ببغداد سنة ٢٩٦.

٩ـ الحسين بن على بن حمـاد بن مهران ابوعبدالله الـرازى، الازرق المقرىء عمر و اقرأ الناس، و سكن «قزوين» قرأ عليه ابن شنبوذ و ابوبكر النقاش و المطوعى. نزل ـ اخيراًـ «الاهواز» وكان محققا لقراءة ابن عامر. توفى حدود سنة ٣٠٠.

۱۰ـ احمد بن فرح بن جبرئیل، ابوجعفر البغدادی، قرأ علی الدوری والبزی تصدر للافادة دهراً و بعد صیته و اشتهر اسمه لسعة علمه و علو سنه. قرأ علیه المطوعی و جماعة. سکن الکوفة مدة، وحمل اهلها عنه علماً جماً، وکان ثقة مأموناً. توفی سنة ۳۰۳ و قد قارب التسعین.

۱۱ـ جعفر بن محمد بن اسد، ابوالفضل الضریر النصیبی. قرأ علی الدوری وکان من جلة اصحابه. توفی سنة ۳۰۷.

۱۲ـ احمد بن سهل بن فیروزان، الشیخ الاشنانی، ابوالعباس المقریء، بقیة المسندین فیالقراءة، قرأ علی عبید صاحب حفص ثمقرأ بعده علی جماعة حتی برع فیالقراءة. وطال عمره وطار ذکره. قرأ علیه جماعة. توفی ببغداد ۳۰۷.

۱۳ـ ابوبکر بن عبدالله بن مالك المقریء المصری المعروف بابن سیف، شیخالاقلیم فی القراءات فی زمانه. قرأ علی الازرق و عمر دهراً طویلا. توفی سنة ۳۰۷.

۱٤ـ اسحاق بناحمد، ابومحمد الخزاعی المکی، الامامالمقریء بالمسجد الحرام قرأ علی البزی و ابن فلیح، و کان ثقة حجة رفیع الذکر، قرأ علیه ابن شنبوذ و المطوعی والرسی و غیرهم. له کتاب اختلاف المکیین و اتفاقهم.
و اخذ عنه الحروف ابوبکر بن مجاهد و ابن عبدالرزاق وطائفة.
قال الدانی: هو من اثبت الناس فهما، مطلع ضابط ثقة مأمون.
مات سنه ۳۰۸.

۱۵ـ العباس بن فضل بن شاذان، الرازی المقریء، امام محقق مجید. کان یقریء مع والده بالری. قرأ علی‌ابیه، واخذ قراءةالکسائی عن ابن ابی سرح عن الکسائی. قرأ علیه جماعات. قال الخلیلی: ادرکت بقزوین ثمانیة من اصحابه و بقی الی سنة ۳۱۰.

۱۶ـ موسی‌بن جریر بن‌عمران الرقی. المقریء النحوی الضریر. کان بصیراً بالادغام، ماهراً فی العربیة. وافر الحرمة. کثیر الاصحاب. توفی حدود سنة ۳۱۰.

۱۷ـ محمد بن هارون بن نافع التمار، مقریء اهل البصرة، و ابصرهم بحرف یعقوب، وهو احد اصحاب رویس. قرأ علیه خلق. توفی بعد سنة ۳۱۰.

۱۸ـ الحسن بن الحسین بن علی الصواف، بغدادی مقریء، کبیر القدر، عارف بالفن، متصدر للاقراء و للافادة. قرأ علی الدوری و جماعة. و قرأ علیه المطوعی و جماعات. توفی ۳۱۰.

۱۹ـ محمدبن جریر ابوجعفر الطبری المفسر المؤرخ، ولد بآمل طبرستان دخل فی العلم و له عشرون سنة. قرأ علی سلیمان الطلحی صاحب خلاد، و سمع حرف نافع من یونس والفزاری و ابن منیع. اخذ عنه ابن مجاهد و الداجونی و خلق کثیر. وله فی‌العلوم النقلیة قدم وفضل. توفی سنة ۳۱۰ ببغداد.

۲۰ـ الحسن بن علی ابوبکر العلاف البغدادی، المقریء الادیب، قرأ علی الدوری. و قرأ علیه الشنبوذی، عمر طویلا، قال الذهبی:

واظنه آخـــر من قرأ القرآن على الدورى. توفى سنة ٣١٨.

الطبقة الثامنة

وهم بقية من عاشوا فى القرن الثالث، و ادركوا بضعاً من القرن الرابع، و كانواهم آخر من كان له اختيار فى القراءات، وهم عدد كثير، نذكر منهم اهم المعروفين فى ذلك العهد:

١ــ الزينبى، محمد بن سليمان الهاشمى، ابوبكر البغدادى، احد من عنى بالقراءات، وكان اماماً فى قراءة المكيين. قرأ على اسحاق الخزاعى وجماعة. و قرأ عليه ابن بدهن و احمد الــولى والشذائــى وجماعة. قال الدانى: توفى قريباً من سنة ٣٢٠.

٢ــ نفطويه: ابراهيم بن محمد بن عــرفة، ابــو عبدالله العتكى الواسطى. قال الذهبى: كان من اذكياء العالم. قال المرزبانى: و كان من طهارة الاخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويــه، على حــال ماشاهدت عليها احداً. وكان فقيهاً عالماً و مسنداً للحديث.

قال ابن حجر : ثقة صدوق، لا يتعلق عليه بشىء مماروواه. وكان جالس الملوك والوزراء، و اتقن الحفظ مع المروة والفتوة والظرف. و قال مسلمة: كان كثير الرواية للحديث و ايام الناس. و كانت فيه شيعية. وحكى: انه جلس للاقراء اكثر من خمسين سنة، وكان يبتدىء فى مجلسه بشىء من القرآن على قراءة عاصم، ثم يقرىء غيره.

قرأ على محمد بن عمرو بواسط و غيره. و اخذ الحروف عن شعيب ابن ايوب و محمد بن الجهم. و قرأ عليه ابن سعيد القزاز والشنبوذى و ابوبكر بن شاذان و جماعات. توفى ببغداد سنة ٣٢٣.

٣ـ ابن مجاهد، احمد بن موسى بن العباس، ابوبكـر البغدادى العطشى، المقرىء الاستاذ ـ على حد تعبير الـذهبى ـ ولـد ببغداد بسوق العطش و من ثم نسب اليه. و هو الذى كتب فىالقراءات السبع المعروفة، وحصرها فى السبعة، ومنذذلك العهد شاعت العقيدةالعامية: ان القراءات محصورة فى السبع و انها التى جاءت الاشارة اليها فى حديث السبعة.

ومن ثم يعود لوم هذه الاشاعة الكاذبة الى ابن مجاهد، كما قال الدكتور صبحى الصالح.

وهو اول من حـاول سد باب الاجتهاد والاختيار فىالقراءات، قال ابن ابى هاشم: سأل رجل ابنمجاهد، لم لا يختار الشيخ لنفسهحرفاً يحمل عليه؟ فقال: نحن احوج الىان نعمل انفسنا فى حفظ ما مضى عليه أئمتنا، احوج منا الى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا.

وبهذا المنطق التقليدى المحض حاول جهده فىسد باب الاختيار اطلاقاً. وكان لمنزلته العالية فىالدولة، و اجتماع الناس اليه، كبير أثر فى تنفيذ رأيه هذا فى مرسوم السلطة آنذاك. فقد حكى ان اربعاً وثمانين خليفة كانوا يحضـرون حلقته، و يأخـذون علـى الناس. و سيأتى ان محاكمة ابن شنبوذ والمطوعى كانت بمحاولة ابن مجاهد و امضائه. توفى سنة ٣٢٤.

٤ـ الداجونى الكبير، محمد بن احمد، ابوبكر الضرير. احد من عنى بالقراءات و رحل الى الشيوخ، و جمع القراءات. قرأ عليه ابن مجاهد والقباب الاصبهانى و ابن ابى بلال الكوفى والداجونى الصغير العباس بن محمد، و جماعة. مات سنة ٣٢٤.

٥ـ موسى بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان، الامـام ابومزاحـم الخاقانى. من اولاد الوزراء. كان قدبرع فى قراءة الكسائى، و كـان

من جملة العلماء. مات سنة ٣٢٥.

٦ـ احمد بن محمد بـن اسماعيل المقـرىء، ابوبكـر الادمی المعروف بالحمزی، لانه کان عارفاً بحرف حمزة بن حبيب الزيات. اقرأ الناس مدة ببغداد فی بروج المدينة، و حمل الناس عنه لزهده و اتقانه. مات سنة ٣٢٧.

٧ـ ابن‌شنبوذ محمد بن احمد، ابوالحسن البغدادی، شيخ‌الاقراء بالعراق، قرأ علی کثير من‌القراء بالامصار، وطاف البلاد فی طلب‌العلم. و کان معاصراً لابن مجاهد، و کان اعلم منه باصول القراءات وحروفها والاخذ من‌المشايخ الکبار، و کان علی عکس ابن مجاهد، يختار فی القراءة، و کان يقرأ بالمشهور و ربما يقرأ بالشاذ عن مأنوس العامة.

وقرأ عليه عددکثير. و اعتمد ابوعمرو الدانی وغيره علی اسانيده فی کتبهم و کان يری جواز الصلاة بما صح عن ابی و ابن مسعود فی قراءاتهم، و بذلك خالف جمهور الفقهاء.

کان ثقة فی نفسه، صالحاً ديناً متبحراً فی‌هذا الفن، وکان يحط من ابن مجاهد قلة علمه و ضئالة اطلاعه، فکان يقـول: هذا العطشی لم‌تغبر قدماه فی طلب العلم، يعنی انه لم‌يرحل من بغداد، وهو کذلك سوی سفرته الی الحج فحسب.

وکان ابن‌شنبوذ اذااتاه رجل‌من‌القراء للاخذ عنه، قال: هل‌قرأت علی ابن مجاهد؟ فان قال: نعم، لم‌يقرئه.

و قد حقد عليه ابن مجاهد، فجعل يدس عليه عندالوزير ابن مقلة، حتی أثاره عليه، وکان الذی أخذه عليه هوقراءته بالشواذ.

قال ابوبکر الانهری : کنت ذلك اليوم ـ الذی نوظر فيه ابـن شنبوذ ـ حاضراً مع جملة الفقهاء، و ابن مجاهد بالحضرة. و قداحضر

ابن شنبوذ و جرت معه مناظرات فی‌حروف حکی عنه انه یقرأ بها وهی شواذ، فاعترف ببعضها، فطلب الیه الوزیر ان ینتهی عن القراءة بها والزمه بشدة، فاغلظ للوزیر فی الخطاب، و للقاضی، ولابن مجاهد، و نسبهم الی قلة المعرفة، و انهم لم‌یسافروا فی طلب العلم کماسافر، فامر الوزیر بضربه سبع درر، وهو یدعو علی الوزیر بان یقطع الله یده ویشتت شمله، و اخیراً اضطر الی التوبة غصباً، فکتب ابن‌مجاهد بذلك محضراً، وفیه: اعترف ابن شنبوذ بمافی هذه الرقعة بحضرتی. و کتب ابن مجاهد بیده یوم السبت لست خلون من ربیع الاخر سنة ثلاث وعشرین وثلاثمائة.

قیل: انه لماضرب بالدرة، جرد و اقیم بین‌الهبارین، و ضرب نحو العشر. فتألم وصاح و اذعن بالرجوع. و قیل: انه نفی من بغداد، فذهب الی البصرة.

و قد استجیب دعاؤه علی ابن مقلة، بعد ثلاث سنین، فی منتصف شوال سنة ٣٢٦. و فیها قطعت یده ثم قطع لسانه و حبس و ضیق علیه، وذاق الذل والهوان و مات فی‌الحبس سنة ٣٢٨. و هی سنة وفاة ابن‌شنبوذ ایضاً. کما هلك ابن‌مجاهد بعد سنة من‌حادثة ابن شنبوذ المولمة (ای سنة ٣٢٤).

٨ـ ابن الانباری، محمد بن القاسم، ابوبکر المقریء النحوی البغدادی، سمع من جماعة منهم الکریمی و هواکبر شیخ‌له. روی عنه الدانی کتاب الوقف والابتداء. قال ابوعلی القالی: کان ابن الانباری یحفظ ثلاثمأة الف بیت شاهداً فی‌القرآن. وکان یملی من‌حفظه. قال التنوخی: ما املی‌قط من‌دفتر. وکان یحفظ مأة وعشرین تفسیراً للقرآن بأسانیدها. قیل‌له: قد اکثر الناس فی محفوظاتك فکم تحفظ؟ قال: احفظ ثلاثة عشر صندوقاً. توفی سنة ٣٢٨.

۹ـ ابواسحاق، ابراهيم بن عبدالرزاق الانطاكى المقرىء احد الحذاق، صنف كتاب القراءات الثمان. كان مقرىء الشام في زمانه، معرفة و اسناداً. قال الدانى: مقرىء جليل ضابط مشهور. مات ۳۳۸.

۱۰ـ جعفر بن ابى داود، ابـوالفضل النيسابـورى، المقـرىء المؤدب، نزيل دمشق. قرأ على هارون الاخفش، و كان من حذاق اصحابه. توفى سنة ۳۳۹ بدمشق.

۱۱ـ احمد بن يعقوب التائب المقرىء ابوالطيب الانطاكى. قال الدانى : له كتاب حسن فىالقراءات، وهو امام فى هذه الصنعة، ضابط بصير بالعربية. توفى بانطاكية سنة ۳٤۰.

۱۲ـ محمد بن النضر الربعى، الامام ابوالحسن ابـن الاخـرم الدمشقى، انتهت اليه رئاسة الاقراء بالشام، وكانت له حلقة عظيمة. و كان يحفظ تفسيراً كثيراً.وطال عمره و ارتحل اليه الناس، و كـان عارفاً بعلل القراءات بصيراً بالتفسير والعربية، متواضعاً حسنالاخلاق كبير الشأن. قال محمد بن على السلمى: قمت ليلة المؤذن الكبير لاخذ النوبة على ابن الاخرم، فوجدت قد سبقنى ثلاثون قارئاً، ولم تدركنى النوبة الى العصر. قال ابوعلى الاصبهانى: توفى ابن الاخرم الربعى سنة ۳٤۱.

۱۳ـ ابوالحسين احمد بن عثمان بن بويان، مقرىء اهل بغـداد فىوقته، قال الدانى: حافظ ضابط مشهور. توفى سنة ۳٤٤.

۱٤ـ احمد بن عثمان، ابوبكـر الـربعى، البغدادى المقـرىء،

المعروف بغلام السباك، قال عبدالقاهر: سمعت غلام السباك يقول: ثقل سمعی، و کان شاب جميل يقرأ علی، فكنت انظر الى فمه ولسانه مراعاة لقراءته. وكان الناس يقفون ينظرون اليه لحسنه، فاتهمت فيه، فساءنی ذلك فسألت الله ان يرد على سمعي فرده علی. توفی سنة ٣٤٥.

١٥ـ محمد بن احمد، ابو عبدالله الكسائی الاصبهانی المقریء. قرأ على جماعة منهم ابن عساكر و ابن الصباح. و قرأ عليه جماعات منهم ابن اشتة نزيل مصر. توفی سنة ٣٤٧ باصبهان.

١٦ـ عبدالواحد بن عمر، ابوطاهر البغدادی، المقریء احد الاعلام، و مصنف كتاب البيان، و من انتهت اليه الرئاسة والحذق باداء القرآن. و قد اطنب الدانی فی وصفه فی علمه و فهمه و صدق لهجته و استقامة طريقته. قرأ على خلق كثير. وكان ينتحل فیالنحو مذهب الكوفيين، بارعاً فيه. ولم يكن بعد ابن مجاهد ـ شيخه ـ فیالقراءات مثله، ولما توفی ابن مجاهد اجمعوا ان يقدموا اباطاهر، فتصدر للاقراء فی مجلسه و قصده الاكابر من كل صوب. مات سنة ٣٤٩.

١٧ـ محمدبن الحسن‌بن‌محمد، ابوبكر النقاش، الموصلی الاصل، البغدادی المولد والمنشأ المقریء المفسر، احدالاعلام. سافر شرقاً و غرباً فی طلب الاسناد، و روی عن جلة من العلماء. و كتب الحديث و صنف فیالقراءات والتفسير وطالت أيامه، فانفردبالامامة فیصناعته. مع ظهور نسكه و ورعه، وصدق لهجته وبراعة فهمه، و حسن‌اضطلاعه، و اتساع معرفته. كما ذكره الذهبی. و قد اثنی عليه الدانی وزكاه قال: وسمعت عبدالعزيز بن جعفر يقول: كان النقاش يقصد فیقراءة ابن‌كثير و ابن‌عامر، لعلو اسناده فيهما و كان له بيت ملان كتب،

وحدث عنه جماعات، منهم شيخه ابن‌مجاهد.

و كان يعرف بالتشيع لال البيت ـ عليهم‌السلام ـ و يروى فيهم الاحاديث عن شيوخه بأسانيد عالية، و من ثم اتهموه فى‌الحديث.

قال ابن القطان : حضرت ابابكر النقاش، و هو يجود بنفسه فى ثالث شوال سنة ٣٥١، فجعل يحرك شفتيه، ثم نادى باعلى صوته: «لمثل هذا فليعمل العاملون» رددها ثلاث مرات، ثم خرجت نفسه الكريمة رحمه‌الله.

قال المحدث القمي: الظاهر ان النقاش كان يتشيع، و تحريك شفتيه وقت موته كان اقراراً بالامامة و ولاية اولياء الله. وليس اتهامه فى‌الحديث الالنقله الحديث فى فضل اهل‌البيت. و تلك سجيتهم فى محبى آل‌بيت الرسول صلى‌الله‌عليه وآله شنشنة اعرفها من اخزم.

١٨ـ بكاربن احمد بن بكـار، ابوعيسى البغـدادى المقرىء، من‌كبار ائمة الاداء. اقرأ الناس نحواً من‌ستين سنة. توفى ٣٥٣.

١٩ـ ابن مقسم، محمد بن الحسن بن يعقوب، الامـام ابوبكـر البغدادى، المقرىء النحوى العطار. كان من احفظ اهل زمانه لنحو الكوفيين، واعرفهم بالقراءات، مشهورها وغريبها وشاذها. قال‌الدانى: هو مشهور بالضبط والاتقان، عالم بالعربية، حافظ للغة، حسن التأليف فى علوم القرآن.

و كان قد سلك مذهب ابن شنبوذ، و قد اختار حروفاً خالف فيها عامة المقرئين، فنوظر عليها واضطر الى الرجوع و استتيب أخيراً بعد ان اوقف للضرب، و سأل ابن مجاهد ان يدرأ عنه ذلك فدرأ عنه، منة منه عليه، وكان هو الذى عقد له هذا المجلس.

كان يقول: كل قراءة وافقت خط المصحف، و ان خالفته فـى

المادة، فالقراءة بها جائزة. و شاع ذلك عنه، فانكر عليه جماعة، فرفعوا امره الى السلطان، فاحضره و استتابه بحضرة الفقهاء والقراء. لكنه بعد موت ابن مجاهد رجع عن توبته، و كان يقول: لما كان لخلف بن هشام و ابى عبيد و ابن سعدان، ان يختاروا، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان لمن بعدهم ـ أيضاًـ مباحاً. توفى سنة ٣٥٤.

٢٠ـ احمد بن العباس، امام مقرىء، و هـو شيخ بغـداد نـزل خراسان. و ممن قرأ عليه ابو عبدالله الحاكم النيسابـورى. و كـان اوحد عصره فى اداء الحروف فى القراءات. دخل مرو و بخارى، و ذكروا انه وصل فرغانة، و ان الامير نصر بن نوح قرأ عليه ختمة و وصله بأموال. و كان خليعاً يسرف فيما يحصل عليه، و كـانت لياليه لاتخلو من الصوفية والقوالين. و اخيراً كفن كما يكفن الغريب. مات سنة ٣٥٥.

٢١ـ زيد بن على بن احمد، ابوالقاسم العجلى الكوفى المقرىء، احدالحذاق و شيخ العراق. قرأ على ابن مجاهد و جماعة. قرأ عليه بكربن شاذان و ابنالفحام السامرى و ابن صقر الكاتب والصابـونى وجماعة. و حدث عنه ابونعيم الحافظ توفى ببغداد فى جمادىالاولى سنة ٣٥٨.

٢٢ـ احمد بن عبدالعزيز، ابـن بـدهن ابوالفتح البغـدادى، المقرىء نزيل مصر. قرأ على ابن مجاهد و ابن الاخرم، و حذق ومهر، وطال عمره واشتهر. وكان منإطيب الناس صوتاً بالقرآن و أفصحهم اداء. توفى سنة ٣٥٩.

۲۳ـ ابوعمران، موسی بن عبدالـرحمان، البیروتـی الصباغ المقریء، امام جامع بیروت، کان آخر من‌أسند فی‌الشام من‌القـراء. و آخر من قرأ القراءات علی هارون بن موسی الاخفش بقاء. توفی حدود ۳٦۰.

۲٤ـ محمد بن عبدالله بن‌أشتة، ابوبکـر النحـوی، المقـریء الاصبهانی. أحد الائمة. قرأ علی ابن مجاهد و محمد الکسائی وطائفة. و صنف فی‌القراءات. قال الدانی: ضابط مشهور، ثقة عـالم بالعربیة، بصیر بالمعانی، حسن التصنیف. توفی بمصر فی شعبان ۳٦۰. له کتاب المحبر و کتاب المفید فی‌الشاذ.

۲۵ـ علی بن محمد، ابوالحسن الهاشمی، المقـریء الضریـر، شیخ‌الاقراء بالبصرة وبقیتهم الباقیة. قرأ علیه ابوالحسن طاهر بـن غلبون، و کان قد رحل الیه. توفی سنة ۳٦۸.

۲٦ـ عبدالله بن الحسن، ابوالقاسم النخاس البغدادی المقریء. قال الحافظ ابوالحسن بن الفرات: قل مارأیت فی‌الشیوخ مثله. توفی سنة ۳٦۸.

۲۷ـ الحسن بن سعید «المطوعی» ابوالعباس العبادانی، المقریء المعمر نزیل اصطخر. عنی بهذا الفن و تبحر فیه و لقی الکبار، و اکثر الرحلة فی‌الاقطار. قرأ علی محمد بن عبدالرحیم الاصبهانی وجماعة. و صنف وعمر دهراً طویلا، و انتهی الیه علو الاسناد فی‌القراءات. و کان ابوه واعظاً محدثاً و کان السبب فی اعانته علی الرحلة فی طلب العلم. قدم اصبهان سنة ۳۵۵ وکان رأساً فی القرآن وحفظه. قال ابن حجر: کان رأساً فی القراءات، و روایاته مذکورة فی المبهج فـی

القراءات الثمانيه للشيخ ابی‌محمد سبط الخياط البغـدادی. تـوفی المترجم سنة ۳۷۱ عن عمر جاوز المأة.

۲۸ــ احمد بن نصر، ابوبكر الشذائی، المقریء البصری، احـد القراء المشهورين قال الدانی: مشهور بالضبط والاتقان، عالم بالقراءة، بصير بالعربية، توفی سنة ۳۷۳.

۲۹ــ عبدالله بن‌الحسين، ابن سحنون ابواحمد،السامری‌البغدادی المقریء مسند القراءة بالديار المصرية. توفی سنة ۳۸٦.

۳۰ــ محمد بن احمد بن ابراهيم، ابوالفرج الشنبوذی البغدادی، المقریء غلام ابن شنبوذ. قرأ علی ابن الاخـرم و نفطـويه والنقاش والخاقانی وجماعة. و قد اكثر الترحال فی طلب القراءات، و تبحر فيها و اشتهر وطال عمره. و كان حفظ خمسين الفاً من‌الشعر شواهد للقراءات. قال‌الدانی: حافظ‌ماهر حاذق. و كان يدخل علی عضدالدولة فيكرمه، وهذا يدل‌علی تشيعه. بل و اكثرالقراء المعروفين من‌الشيعة، لاسيما من كان من اهل العراق. توفی المترجم سنة ۳۸۸. (*)

*ــ اهم مراجعنا فی هذا العرض هی:/النهاية فی طبقات القراء، لابن الجزری/ والنشر فی‌القراءات العشر، له ايضاً./و معرفة القراء الكبار، للذهبی./و ميزان الاعتدال، /والمغنی فی الضعفاء، كلاهما له ايضاً. و/تاريخ ابن‌خلكان. و/الطبقات لابن سعد. /والكامل فی‌التاريخ لابن الاثير./والاصابة لابن حجر./و تهذيب التهذيب،/وتقريب التهذيب،/ولسان الميزان، له ايضاً./والاستيعاب لابن عبدالبر./و اسدالغابة لابن الاثير./والمعجم لكحالة/ والاعلام للزركلی. و/قاموس الرجال للتستری./والكنی والالقاب للقمی./و روضات الجنات للخوانساری...

مضافاً الی/مجالس المؤمنين للقاضی./و تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للصدر/ والفهرست لابن النديم./والفهرست للشيخ،/ورجاله./وسفينة البحار للقمی/ والمجمع‌للقهبائی. /والمعجم لاستاذنا الخوئی./والايضاح لابن شاذان النيسابوری،/و بغية الـوعـاة للسيوطی/ والتنقيح للمامقانی/ والخلاصة للخزرجی...

***

تلك ثمانی طبقات من‌القراء المعروفين الكبار، عرضنا تراجمهم في اختصار، كما ولم نستقص عامة القراء طوال هذه القرون الثلاثة. اذكانت غايتنا عرض نماذج من حياة قراء مشهورين، تفيدنا في جانب سلوكهم فی‌الاختيار و فی‌الاخذ عن المشايخ حسب تسلسل الـزمان. و ستكون نقاط هامة من حياة هؤلاء، موضع دراستنا في فصل قادم عند ما نعرض اهم اسباب الجمود القرائی فی‌العصور المتأخرة، والسبب فی رواج قراءة واحدة مدى الاجيال، هی قراءة عـاصم بن بهدلـة، برواية حفص بن سليمان. و قبل ان ننتقل الـی هـذا الفصل، ينبغی التكلم ــ اجمالياً ــ عن‌سبب حصر القراءات فی‌السبع، فی‌حين ان‌القراء الكبار المعروفين اكثر من ذلك، و ربما كان بعضهم ارفع شأناً و اعظم قدراً واعلى اسناداً من هؤلاء السبعة الذين حصر ابن مجاهد القراءة المقبولة فی قراءاتهم فحسب.



تدوين القراءات المشهورة

كان المسلمون فی العهد الاول يقرأون القرآن كما يتلقونه من صحابة الرسول صلی‌الله‌عليه‌وآله و من بعدهم من‌التابعين، ممن حـل فی بلدهم من‌الائمة الكبار. فممن كان بالمدينة: سعيد بـن المسيب، و عروةبن الزبير، و سالم بن عبدالله العدوی، و معاذبـن الحارث، و عبدالرحمان بن هرمز، و محمد بن مسلم بن شهاب، و مسلم بن جندب، و زيد بن اسلم.

و بمكة: عبيد بن عمير، و عطاء، وطاووس، و مجاهد، وعكرمة، و عبدالله بن ابی ملیکة...

بالكوفة : علقمة، والاسود، ومسروق، و عبيدة، و عمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، و عمرو بن ميمون، و ابو عبدالرحمان السلمی، و زر بن حبيش، و عبيد بن نضيلة، و ابو زرعة، و سعيد بن جبير، و ابراهيم النخعی، والشعبی...

وبالبصرة : عامر بن عبد قيس، و ابوالعالية، و ابورجاء، و نصر بن عاصم، و يحيى بن يعمر، و جابر بن زيد...

وبالشام : ابن ابی‌شهاب، و خليد بن سعيد، صاحب ابی‌الدرداء ...

***

هؤلاء و اضرابهم، كانوا علماء الامة فی‌البلاد، و مراجع‌المسلمين فی‌شتی نواحی المعارف الاسلامية آنذاك. ولكن من غير ما اختصاص بفن او بثقافة خاصة من انحاء الثقافات المعروفة ذلك العهد.

ثم تجرد قوم لفن القراءة، والاخذ والتلقی والاقراء، سمة اختصاصية، و اعتنوا بذلك اتم عناية و اشتهروا فی قراءة القرآن و اقرائه، حتى صاروا فی ذلك أئمة يقتدى بهم و يرحل اليهم ويؤخذ عنهم.

وهكذا اجمع المسلمون من اهل‌البلاد، و كان اهل كل بلد يأخذون من القاریء الذی حل بينهم، و يتلقون قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم اثنان، و لتصديهم للقراءة نسبت اليهم.

و ممن اشتهر منهم بالمدينة: ابوجعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة‌بن نصاح، ثم نافع بن ابی‌نعيم.

وبمكة : عبدالله بن كثير، و حميد بن قيس، و محمد بن محيصن.

وبالكوفة : يحيى بن وثاب، و عاصم بن ابی النجود، و سليمان

الاعمش، ثم حمزة ثم الكسائي.

وبالبصرة : عبدالله بن ابي‌اسحاق، و عيسى بن عمر، و ابو عمرو ابن العلاء، ثم عاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي.

وبالشام: عبدالله بن‌عامر، و عطية‌بن قيس، و عبدالله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

***

والقراء بعد هؤلاء كثروا و تفرقوا في البلاد و انتشروا، وخلفهم امم بعد امم عرفت طبقاتهم ـ حسبما تقدم اجمالياً ـ و اختلفت صفاتهم و سيرتهم في الاخذ والتلقي والقراءة والاقراء، فكان منهم المتقن للتلاوة، مشهوراً بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من‌هذه الاوصاف. وكثر بينهم لذلك الاختلاف، و قل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق ـ على حد تعبير ابن الجزري (١) فقام جهابذة علماء الامة، و كبارالائمة، فبالغوا جهدهم في‌التمحيص وتمييز الصحيح عن السقيم، والمشهور عن الشاذ، باصول اصلوها و قواعد رصفوها، و اصبحت القراءة، بذلك فناً من الفنون، له قواعد متقنة و اصول محكمة، وفيه الاجتهاد والاختيار. و قد شرحنا طرفاً من ذلك في فصل سابق.

***

و اول امام معتبر تصدى لضبط ما صح من‌القراءات، وجمعها في كتاب بشكل مبسط و بتفصيل، هو ابوعبيد القاسم بن سلام الانصاري

١ـ راجع: النشر في‌القراءات العشر ج ١ ص ٩.

(ت ٢٢٤) تلميذ الكسائى. قال ابن الجزرى (١): وجعلهم ـ فيما أحسب ـ خمسة و عشرين قارئاً، بما فيهم السبعة الذين اشتهروا فيما بعد.

وجاءبعده احمدبن جبير بن محمدابو جعفر الكوفى نزيل انطاكية (ت ٢٥٨) جمع كتاباً فىقراءات الخمسة، من كل مصر واحداً.

ثم القاضى اسماعيل بن اسحاق، صاحب قالون (ت ٢٨٢) ألف كتاباً فى القراءات، جمع فيه قراءة عشرين اماماً.

وبعده الامام ابو جعفر الطبرى (ت ٣١٠) جمع كتاباً حافلاسماه «الجامع» فيه نيف و عشرون قراءة.

و بعده ـ بقليل ـ الف ابوبكر محمد بن احمد الداجونى (ت ٣٢٤) كتاباً فى القراءات، و ادخل معهم اباجعفر، احد العشرة.

و كان فى اثره ابوبكر احمد بن موسى «ابن‌مجاهد» (ت ٣٢٤) اول من اقتصر على قراءات السبعة فقط.

وقام الناس فى زمانه و بعده فألفوا على منواله، كاحمد بن نصر الشذائى (ت ٣٧٠). و احمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١) وزاد على السبعة بقية العشرة. و محمد بن جعفر الخزاعى (٤٠٨) مؤلف «المنتهى» جمع فيه مالم يجمعه من قبله. و انتدب الناس لتأليف‌الكتب فى‌القراءات، بحسب ما وصل اليهم وصح لديهم.

***

هذا، ولم‌يكن بالاندلس، ولابلاد المغرب شيء من هذه القراءات، الى اواخر المأة الرابعة، فرحل منهم من روى القراءات بمصر، وكان ابوعمر احمد بن محمد الطلمنكى، مؤلف «الروضة» (ت ٤٢٩) اول

١ـ النشر فى القراءات العشر، ج ١ ص ٣٤.

من ادخل القراءات الى الاندلس.

ثم تبعه ابو محمد مكـي بن ابى طالب القيسى (ت ٤٣٧) مؤلف «التبصرة» و «الكشف عن وجوه القراءات السبع» و غير ذلك.

ثم الحافظ ابوعمرو عثمان بن سعيد الدانـى (ت ٤٤٤) مؤلف «التيسير» و «جامع البيان» و غير ذلك.

و فى دمشق ألف الاستاذ ابوعلى الحسن بن على الاهوازى (ت ٤٤٦) كتباً فى القراءات والطرق اليها.

و في هذه الحدود، رحل من المغرب ابوالقاسم يوسف بن علـى الهذلى (ت ٤٦٥) الى المشرق وطاف البلاد، و روى عن ائمة القراءة، حتى انتهى الى ماوراءالنهر، وقرأ بغزنة وغيرها، ألف كتابه «الكامل» جمع فيه خمسين قراءة عن الائمة المعروفين، و ١٤٥٩ رواية و طريقاً اليهم. قال : و جملة من لقيت فى هذا العلم ٣٦٥ شيخاً من آخر المغرب الى باب فرغانة يميناً و شمالا و جبلا و بحراً.

ثم كان ابومعشر عبدالكريم بن عبدالصمدالطبرى بمكة (ت٤٧٨)، مؤلف كتاب «التلخيص» فى القراءات الثمان، و «سوق العروس» فيه ١٥٥٠ رواية و طريقاً.

قال ابن الجزرى: و هذان الرجلان اكثر مـن علمنا جمعـاً فى القراءات، لانعلم احداً بعدهما جمع اكثر منهما الا اباالقاسم عيسى بن عبدالعزيز الاسكندرى (ت ٦٢٩)، فانه الف كتابا سماه «الجامع الاكبر والبحر الازخر» يحتوى على ٧٠٠٠ رواية و طريق.

قال : ولازال الناس يؤلفون فى كثير القراءات و قليلها، ويروون شاذها و صحيحها بحسب ما وصل اليهم اوصح لديهم، ولاينكر احـد عليهم، بل هم متبعون فى ذلك سبيل السلف، حيث القراءة سنة متبعة يأخذها الاخر عن الاول، و يقرأون بماجاء فى «الكامل» للهذلى، او

«سوق‌العروس» للطبری، او «الاقناع» للاهوازی، اوکفایة ابی‌العز، او مبهج سبط الخیاط، او روضة المالکی، و نحو ذلك، علی ما فیه من ضعیف وشاذ، عن‌السبعة والعشرة و غیرهم، فلا نعلم احداً انکرذلك، ولازعم انه مخالف لشیء من‌الاحرف المأثورة (۱).

* * *

حصر القراءات فی‌السبع

کان‌العرض المتقدم نموذجاً کافیاً عن اعتناء المسلمین، فی عامة ادوارهم، بالقراءات المعروفة عن الائمة الکبار، و حفظها و تدوینها والقراءة بها اجمع، غیر ان اهل کل بلد کانت عنایتهم بمن حل فی بلدهم من‌الائمة اکثر من غیرهم. ولم یکن من أحد من‌العامة والخاصة نکیر علی هذه السیرة المستمرة، کما تقدم فی کلام ابن الجزری أخیراً.

وهکذا کانت اختیارات القراء واجتهاداتهم‌فی‌الاخذ والتمحیص، موضع عنایة کافة المسلمین، یتلقونها و یقرأون بها. نعم فی‌اطار من محدودیة شروط خاصة تقدمت ایضاً.

لقد جرت هذه السیرة المستمرة فی کلا جانبی القراءة والاقراء، حتی مطالع القرن الرابع، حیث نبغ نابغة بغداد ـ فی‌اجتلاب قلوب العامة والنفوذ فی‌عقول الامراء ـ ابوبکر «ابن‌مجاهد». کان قدتصدر کرسی شیخ القراء ـ رسمیاً ـ من قبل الدولة، و اجتمعت علیه عامة الناس فی غوغاء وضوضاء، و کان له منافسون افضل نبلا و قدماً فی‌القرآن، و کانوا یستصغرونه ضئالة علمه و قلة روایته عن الشیوخ،

۱ـ النشر فی القراءات العشر، ج ۱ ص ۳۶.

و عدم رحلته في طلب العلم، و ضعف مقدرته في فنون القراءة وانواعها المأثورة عن الائمة الكبار.

يقول المعافى ابوالفرج : دخلت يوماً على ابن شنبوذ، و هوجالس بين‌يديه خزانة الكتب، فقال لي: يا معافى، افتح الخزانــة، ففتحتها وفيها رفوف عليها كتب، و كل رف في‌فن من‌العلم، فما كنت آخــذ مجلداً و أفتحه الا و ابن شنبوذ يهذه كما يقرأ الفاتحة (١) ثم قال: يا معافى، والله ما اغلقتها حتى دخلت معي الى الحمام هذا، والسوق للعطشى (٢).

قال ابن الجزري: وكان قد وقع بين ابن شنبوذ و ابن مجاهد تنافس على عادة الاقران، حتى كان ابن شنبوذ لايقرىء من‌يقرأ علــى ابن‌مجاهد، و كان يقول: هذا العطشى ـ يعني ابن مجاهد ـ لم‌تغبر قدماه في‌هذا العلم.

قال العلاف: سألت اباطاهر، أي الرجلين افضل، ابوبكــر ابن مجاهد، او ابوالحسن ابن شنبوذ؟ قال: فقال لي ابوطاهر: ابوبكر ابن مجاهد عقله فوق علمه، و ابوالحسن ابن شنبوذ علمه فوق عقله (٣).

***

كان ابن مجاهد حريصاً على الترمت، والاخذ بتقليد السلف فيما قرأوا. قال عبدالواحد بن ابي هاشم: سأل رجل ابن مجاهد، لم‌لايختار الشيخ لنفسه حرفاً يحمل عليه؟ فقال: نحن أحوج الى ان نعمل أنفسنا في حفظ مامضى عليه أئمتنا، احوج منا الى اختيار حرف يقــرأ بــه

١ـ يقال هذ الحديث يهذه ـ بتشديد الذال ـ اى قرأه سريعاً.

٢ـ السوق كناية عن رواج الامر. والعطشي: لقب ابن مجاهد، لانه ولد بحــارة سوق العطش في بغداد، فنسب اليها.

٣ـ غاية النهاية في‌طبقات القراء ج ٢ ص ٥٤ ـ ٥٦.

من بعدنا (١).

وهو الذى اشار على الوزير ابن مقلة باحضار ابن‌شنبوذ (٢) و ابن مقسم (٣) فی‌مجلسين ومحاكمة كل واحد منهما بملاء من‌الفقهاء، للضرب على يد الاختيار رأساً.

قال الدكتور صبحي الصالح : و قد انعقد المجلسان بأمر شيخ القراء ابن مجاهد، الذى عرفنا انه اول من جمع القـراءات السبع. و كان ابن مجاهد قد أخذ القراءة عن ابن شاذان الرازى الذى اخـذ عنه ايضاً كل من ابن مقسم و ابن شنبوذ ولكن اشتراك الثلاثة فی‌التلقى عن شيخ واحد لم‌يمنع ابن مجاهد من التشدد مع زميليه (٤).

و كان اعتراض ابن شنبوذ لموقف ابـن مجاهد هذا شديـداً، حسبما ذكرنا بعض كلامه. و هكذا اعترض ابـن مقسم علـى سدباب الاختيار فى القراءة، قال: لما كان لخلف‌بن هشام و ابى عبيد و ابن سعدان، ان يختاروا، و كان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان لمن‌بعدهم ـ ايضاً ـ مباحاً (٥).

وهكذا جاهد ابن مجاهد قصارى جهده فى سد باب الاختيار فى القراءة، وقد توفق لذلك نسبياً، حيث وافقته الظروف القاسية التى كانت تمربركب الاسلام ذلك القرن المضطرب، بالشغب والدسائس، وتفشى الفساد فی‌ارجاء البلاد.

***

١ــ معرفة القراء الكبار، للذهبى ج ١ ص ٢١٧.

٢ــ محمد بن احمد بن ايوب بن شنبوذ. راجع: غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢.

٣ــ محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم. راجع: غاية النهاية ج ٢ ص ١٢٣.

٤ــ مباحث فى علوم القرآن ص ٢٥١ ــ ٢٥٢. و راجع : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٢٢١ و ص ٢٤٧.

٥ــ معرفة القراء ج ١ ص ٢٤٩.

اما قضية حصر القراءات فى السبع المشهورة، فهو ايضاً من صنع ابن مجاهد، ويعود اكثر لومه عليه.

قال الدكتور صبحى الصالح : ويقع اكبر قسط من اللوم فى هذا الايهام ـ ايهام انحصار القراءات فى السبع ـ على عاتق الامام الكبير ابى‌بكر احمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد، الذى قام على رأس الثلاثمأة للهجرة فى بغداد، بجمع سبع قراءات لسبعة من‌ائمة الحرمين والعراقين والشام، واشتهروا بالثقة والامانة والضبط وملازمة القراءة، وجاء جمعه لها محض مصادفة و اتفاق، اذكان فى‌ائمة القراء من‌هم اجل منهم قدراً، و كان عددهم لايستهان به (١).

هذا.. و عبارة «القراءات السبع» لم‌تكن معروفة فـى الامصار الاسلامية، حين بدأ العلماء يؤلفون فى‌القراءات، كابى عبيد القاسم بن سلام، و ابى جعفر الطبرى، و ابى حاتم السجستانى، و غيرهم، فقـد ذكروا فى مؤلفاتهم اضعاف تلك القراءات ـ حسبما تقدم فى الفصل السابق ـ و انما بدأت هذه العبارة تشتهر على رأس المأة الـرابعة، من‌لدن «ابن مجاهد» ولم‌يكن متسع الرواية والرحلة (٢) و تـوهم الكثير من عوام الناس و غوغائهم انها هى‌المرادة من الاحرف السبعة التى جاءت فى‌الحديث النبوى.

و من ثم هب الائمة النقاد فى توجيه ملامتهم الحادة الـى موقف ابن‌مجاهد هذاالموهم، الامر الذى حط من‌كرامة أئمة آخرين هماكبر شأناً و اعظم قدراً من هؤلاء السبعة : ـ

استنكارات لموقف ابن مجاهد

هذا الامام ـ المقرىء المفسر ـ ابـو العباس احمد بـن عمار

١ـ مباحث فى علوم القرآن ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٢ـ راجع: البرهان للزركشى ج ١ ص ٣٢٧.

المهدوی یلوم ابن مجاهد فی عبارة قاسية جداً، يقول: «لقــد فعل مسبع هذه السبعة مالاينبغی له، و اشكل الامر على العامة، بايهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هی المذكورة فی الخبر، وليته اذ اقتصر نقص عن السبعة اوزاد ليزيل الشبهة. و وقع له ايضاً فی اقتصاره عن كل امام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما ابطلها، و قد تكــون هی اشهر واصح و اظهر، و ربما بالغ من لايفهم فخطأ و كفر» (١).

و قال ابوبكر ابن العربی: «ليست هذه السبعة متعينة للجــواز، حتى لايجوز غيرها كقراءة ابی جعفر و شيبة والاعمش و نحــوهم، فان هؤلاء مثلهم او فوقهم». قال جلال الدين السيوطی: «و كذا قال غير واحد، منهم ابو محمد مكی بن ابی‌طالب و ابوالعلاء الهمذانی وآخرون من‌أئمة القراء» (٢).

و قال أثيرالدين ابو حيان الاندلسی: «ليس فی كتاب ابن مجاهد و من تبعه، من القراءات المشهورة، الا النزر اليسير، فهذا ابو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ــ ثم ساق اسماءهم ــ و اقتصر فــی كتاب ابن مجاهد على اليزيدی. و اشتهر عن اليزيدی عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السوسی والدوری، و ليس لهما مزية على غيرهما! لان الجميع مشتركون فی الضبط والاتقان والاشتراك فی‌الاخذ. قال: ولا اعرف لهذا سبباً الا ما قضى من نقص العلم» (٣).

و قال الامام الاستاذ اسماعيل بن ابراهيم بن القراب فی اول كتابه «الشافی»: «ثم التمسك بقراءة سبعة من‌القراء دون غيرهم، ليس فيه اثر ولا سنة، و انما هو من جمع بعض المتأخرين ــ يريد ابن مجاهد ــ

١ــ الاتقان ج ١ ص ٨٠. و فی ط ١٣٨٧ ج ١ ص ٢٢٣.

٢ــ الاتقان ج١ ص ٨٠.

٣ــ الاتقان ج ١ ص ٨٠.

لم‌يكن قرأ باكثر من‌السبع، فصنف كتاباً وسماه «السبعة» فانتشر ذلك في‌العامة، وتوهموا انه لاتجوز الزيادة على ماذكر في ذلك الكتاب، لاشتهار ذكر مصنفه. و قد صنف غيره كتباً في القراءات و بعده، و ذكر لكل امام من‌هؤلاء الائمة روايات كثيرة و انواعاً من‌الاختلاف، ولم يقل احد انه لاتجوز القراءة بتلك الروايات من أجل انها غير مذكورة في‌كتاب ذلك المصنف ـ يريد ابن مجاهد ـ ...» (١).

و قال ابوالحسن على بن محمد ـ شيخ ابى شامة ـ : «لماكان العصر الرابع سنة ثلاثمأة وماقاربها، كان ابوبكر ابن مجاهد قد انتهت اليه الرياسة في القراءة، مقدماً على اهل عصره، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف، و من القراء من اشتهرت قراءته، و رأى ان يكونوا سبعة تأسياً بعدة المصاحف التى بعثها عثمان الى الافاق، وبقول النبى صلى‌الله عليه وآله: نزل القرآن على سبعة احرف. فاختار هؤلاء السبعة أئمة الامصار. فكان ابوبكر ابن مجاهد اول من اقتصر على هؤلاء السبعة، و صنف كتابه في قراءتهم، و اتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد الى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة» (٢).

وقال ابومحمد مكى بن ابى‌طالب: «وهذه القراءات كلها جزء من‌الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن. و اما من‌ظن ان قراءة كل واحد من هؤلاء القراء السبعة هى احد الاحرف السبعة، فذلك منه غلط عظيم. اذيجب ان يكون مالم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً، اذقد استولوا على الاحرف السبعة، فما خرج عن قراءتهم فليس من‌السبعة، و يجب ان لاتروى قراءة عن ثامن فمافوق!»

قال: «وقد ذكر الناس من‌الائمة في كتبهم اكثر من سبعين ممن هو اعلى رتبة و اجل قدراً من هؤلاء السبعة، على انه قد ترك جماعة

١ـ النشر فى‌القراءات العشر ج ١ ص ٤٦.

٢ـ جمال القراء ص ١١١. و راجع: المرشد الوجيز ص ١٦٠.

من‌العلماء فی کتبهم فی‌القراءات ذکر بعض هؤلاء السبعة و اطرحهم. فقد ترك ابوحاتم و غیره ذکر حمزة والکسائی و ابن‌عامر، وزادنحو عشرین رجلا من‌الائمة ممن‌هوفوق هؤلاء السبعة. وکذلك زاد الطبری فی‌کتاب القراءات علی السبعة نحو خمسة عشر رجلا، و کذلك فعل ابو عبید و اسماعیل القاضی».

قال : «فکیف یجوز ان یظن ظان ان قراءات هؤلاء السبعة المتأخرین هی الاحرف السبعة؟! هذا تخلف عظیم، أکان ذلك بنص النبی ـ صلی‌الله علیه وآله ـ ام کیف ذلك؟!».

قال : «وکیف یکون ذلك والکسائی انما ألحق بالسبعة بالامس فی ایام المأمون، و قدکان السابع یعقوب الحضرمی، فاثبت ابن‌مجاهد فی سنة ثلاثمأة او نحوها الکسائی فی‌موضع یعقوب؟».

و اطال الکلام فی ذلك باسهاب (١).

و قال الحافظ ابن الجزری : «بلغنا عن بعض من لاعلم له ان القراءات الصحیحة هی التی عن هؤلاء السبعة. بل غلب علی کثیر من‌الجهال ان الصحیحة هی التی فی‌الشاطبیة والتیسیر. و حتی ان بعضهم یطلق علی مالیس فیهما اولم‌یکن عن هؤلاء السبعة اسم الشاذ. و ربما کان کثیر ممالم‌یکن فیهما اولم‌یکن عن السبعة أصح مما فیهما او مما عنهم. و انما اوقع هؤلاء فی الشبهة انهم سمعوا نزول‌القرآن علی سبعة أحرف، و سمعوا قراءات السبعة، فظنوا انها هی‌المشار الیها فی‌الحدیث».

قال: «ولذلك کره کثیر من‌الائمة المتقدمین اقتصار ابن‌مجاهد علی سبعة من‌القراء، و خطأوه فی ذلك، و قالوا: ألا اقتصر علی دون هذا العدد اوزاده، او بین مراده لیخلص من لایعلم من هذه

١ـ راجع: الابانة ص ٢ ـ ١٠. و راجع ایضاً : المرشد الوجیز ص ١٥١ ـ ١٥٣.

الشبهة» (١) .

قال جلال الدين السيوطى : «و قد اشتد انكار ائمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة فى مثل مافى التيسير والشاطبية. و آخر من صرح بذلك هو الشيخ تقي الدين السبكى ...» (٢) .

تلك استنكارات الائمة موجهة الى ابن مجاهد، باعتباره اول من جمع القراءات فى السبع واقتصر عليها. اما وهل اثرت تلكم الاستنكارات؟

اما العامة فجروا على سيرتهم الاولى منذ مطلع القرن الرابع، مقتصرين على القراء السبعة فى تقليد اعمى محض.

و اما العلماء والمصنفون الذين جاؤوا بعد، فلم يستطيعوا الحياد عن مجرى العامة، فنسجوا على منوالهم القصير، و جروا معهم فى مهبط المسيل.

فهذا ابو محمد مكى (ت ٤٣٧) ـ اشد المشنعين على الحصر فى السبع ـ صنف كتابه «الكشف» عن وجوه القراءات السبع فحسب.

و هذا الامام ابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤) الف كتابه «التيسير» فى القراءات السبع.

والامام ابوعبدالله محمد بن شريح الاشبيلى (ت ٤٧٦) ألف كتابه «الكافى» فى السبعة و رواتهم. و كذا الامام ابوحفص عمر بن القاسم الانصارى الاندلسى صنف كتابه «المكرر» فيما تواتر من القراءات السبع و تحرر.

والامام ابومحمد القاسم بن فيرة الشاطبى (ت ٥٩٠) نظم قصيدته «الشاطبية» المسماة بحرز الامانى و وجه التهانى، فى قراءات السبعة، و ذكر لكل قارىء راويين، كماجرت عليه العامة تقليداً الزامياً

١ـ النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٣٦.

٢ـ الاتقان ج ١ ص ٨١. و ط ١٣٨٧ ج ١ ص ٢٢٥.

لابن مجاهد.

وهكذا غيرهم من‌مؤلفين و غيرها من مـؤلفات، جـرواوجرت على نفس المنوال في حصر محصور.

* * *

نعم زاد بعض المتأخرين ثلاثة تتميماً للعشرة، و ذكر لكل واحد منهم راويين ايضاً، تقليداً لما فعله ابن مجاهد في‌السبعة.

من هولاء : الامام شمس‌الدين ابوالخير ابن الجزرى (ت ۸۳۳). صنف كتابه الكبير «النشر» في‌القراءات العشر. ثم «التحبير» فـى قراءات الائمة العشرة. و نظم قصيدة على نفس النمط، اسماها «طيبة النشر» فى القراءات العشر.

وجرى مجراه من‌جاء بعده، حتى العصر الاخير، كالمهذب فـى القراءات العشر، تأليف المعاصر محمد سالم محيسن.

و اختار بعضهم من قارئى الشواذ اربعة، ليضيفوهم على العشرة، ليصبح عدد القراء المعتمدين ـ حسب تقديرهم ـ اربعة عشر. وجاء كتاب «اتحاف فضلاء البشر» في قـراءات الاربعة عشر تأليف احمدبن محمد الدمياطى (ت ۱۱۱۷) على هذا النمط المبتدع.

اما نحن ـ معاشر الامامية اتباع مذهب اهل‌البيت ـ فـلا نملك دليلا يسعنا في هذا الشطط من‌الرأى والاختيار غيـر المستند، سوى ما ثبتت لنا صحته وفـق الشروط التى تقدمت، و هى قراءة واحـدة، لان القرآن واحد نزل من عندالواحد. والاختلاف انما جاء من قبل الرواة، اى القراء حسب اجتهاداتهم الخاصة. ولاعبرة بهم ذاتياً، سوى الكشف عن القراءة الصحيحة التى هى الاصل، و ذلك اذا اتفق القراء عليها، او كانت الاغلبية معها، مع توفر باقي الشروط.

القراء السبعة و رواتهم

ذكرنا انحصر القراءات فيالائمة السبعة كـان محض مصادفـة و اتفاق، على اثر جمع ابنمجاهد و اقتصاره على من وصل اليه من القراءات السبع، ولم يكن متسع الرواية والرحلة ـ كما علله الامام الزركشي (١)ـ او لم يكن له سبب سوى نقص العلم و قلة معرفته بقراءات الائمة الكبار غيرهم ـ كما علله ابوحيان الاندلسي (٢) ـ اولم يكن قرأ باكثر من السبع ـ كمـا عليه الامـام القراب (٣) ـ و نحو ذلك من تعاليل تنم عن قصور ابن مجاهد في هذا الشأن.

فكان من ثم تقصير وازراء بحق آخرين، ممن هوا على رتبة واجل قدراً من هؤلاء السبعة. كماجاء في كلام ابي محمد مكي (٤) ناقماً على مسبع السبعة.

و ذكر مكي في تعليل ذلك: ان ابن جبير صنف قبل ابن مجاهد كتابا فيالقراءات و اقتصر على خمسة، اختار من كل مصـر امـاماً واحداً، باعتبار ان المصاحف التي ارسلها عثمان كانت خمسة الى هذه الامصار الخمسة. ويقال: انهوجهبسبعة، هذه الخمسة واليمنوالبحرين. لكن لمالم يسمع لهذين المصحفين خبر، واراد ابن مجاهد مراعاةعدد المصاحف السبعة، استبدل منغيرالبلدين قارئين، فاختارهمامنالكوفة ايضاً فصادف بذلك موافقة العدد الذي ورد به حديث الاحرف السبعة.

قال: و كان احد السبعة المعروفين يعقوب الحضـرمي، فاثبت ابن مجاهد اسم الكسائي و حذف يعقوب (٥).

١ـ البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٢٧.

٢ـ الاتقان لجلالالدين السيوطي ج ١ ص ٢٢٤ ط ١٣٨٧.

٣ـ النشر فيالقراءات العشر لابن الجزري ج ١ ص ٤٦.

٤ـ راجع: الابانة ص ٥ ــ ٨. والمرشد الوجيز ص ١٥١. والاتقان ج ١ ص ٢٢٤.

٥ـ راجع : الابانة ص ٥ ــ ٨. والمرشد الوجيز ص ١٥١. والاتقان ج ١ ص ٢٢٤.

قلت: وهو تعليل غريب، وعلى اية حال فان القراءات المعروفة عبر العصور بعدحادث ابن‌مجاهد، هي‌السبع، وغيرهاهجرت تدريجياً، و او شكت ان تذهب ادراج الرياح. و مـا ذاك الاثر سيىء من تلك المأساة التى قام بها ابن مجاهد.

و من ثم فانا ــ في هذا العصر ــ نجد انفسنا مضطرين تجاه هذه السبع لاغيرها فالواجب هوالتحفظ عليها و مدارستها و ممارستها لئلا تضيع كما ضاعت اخواتها من قبل.

***

أما القراء السبعة الذين قرأوا بهذه القراءات الباقية، فقد تقدمت تراجمهم في فصل «طبقات القراء حسب القرون» و اليك الان‌فهرس اسمائهم و اسماء راويين من رواتهم، حسب ماجاء في كتاب «السبعة» لابن مجاهد، والا فالرواة عنهم اكثر من ذلك.

١ــ عبدالله «ابن عامر» اليحصبى، قارىء الشام (ت ١١٨).

وراوياه هما: «هشام بن عمار». و «ابن ذكوان» ولم يـدركاه، لان هشاماً ولد عام ١٥٣ و مات ٢٤٥. و ابن ذكوان ولد عام ١٧٣ و مات ٢٤٢. و من ثم لم يعرف السبب في اختيار ابن مجـاهد هذيـن للرواية عن ابن‌عامر؟!

٢ــ عبدالله «ابن‌كثير» الدارى. قارىء مكة (ت ١٢٠).

و راويـاه هما: «البـزى» و «قنبل». و لـم يدركاه ايضاً. لان الاول ولد سنة ١٧٠ و مات ٢٥٠. والثانى ولد ١٩٥ و مات ٢٩١.

٣ــ «عاصم» بن ابى‌النجود الاسدى. قارىء الكوفة (ت ١٢٨).

و راوياه هما: «حفص» بن سليمان ربيبه (٩٠ ــ ١٨٠) و «شعبة» ابوبكر بن عياش (٩٥ ــ ١٩٣). و كان حفص اضبط بقراءة عاصم.

٤ـ «ابوعمرو» بن‌العلاء المازنی، و اسمه زبان. قاریء البصرة (ت ١٥٤).

وراویاه هما: «الدوری» حفص بن عمر (ت ٢٤٦) و «السوسی» صالح بن زیاد (ت ٢٦١) و لم یدرکاه، و انما رویا عن الیزیدی عنه.

٥ـ «حمزة» بن حبیب الزیات، قاریء الکوفة ایضاً. (ت ١٥٦).

وراویاه هما: «خلف» بن‌هشام البزار (١٥٠ ـ ٢٢٩). و «خلاد» ابن خالد الشیبانی (ت ٢٢٠). رویا عنه بالواسطة.

٦ـ «نافع» بن عبدالرحمان اللیثی. قاریء المدینة (ت ١٦٩).

وراویاه هما: «قالون» ربیب نافع، واسمه عیسی بن میناء (١٢٠ـ ٢٢٠) و «ورش» عثمان بن سعید (١١٠ ـ ١٩٧).

٧ـ علی بن حمزة «الکسائی». قاریء الکوفة ایضاً. (ت ١٨٩).

وراویاه هما: «اللیث» بن خالد البغدادی (ت ٢٤٠). و «الدوری» حفص بن عمر راوی ابی‌عمرو ایضاً (ت ٢٤٦).

***

وزاد المتأخرون ثلاثة، تتمیماً للعشرة، وهم:

٨ـ «خلف» بن هشام. راوی حمزة. وقاریء بغداد. (ت ٢٢٩).

وراویاه هما: «ابویعقوب» المروزی اسحاق بن ابراهیم. وراق خلف. (ت ٢٨٦). و «ابوالحسن» ادریس بن عبدالکریم (ت ٢٩٢).

٩ـ «یعقوب» الحضرمی، ابن اسحاق، قاریء البصرة (ت ٢٠٥).

وراویاه هما: «رویس» محمد بن المتوکل اللؤلؤی (ت ٢٣٨). و «روح» بن عبدالمؤمن الهذلی (ت ٢٣٥).

١٠ـ «ابوجعفر» یزید بن القعقاع المخزومی. قاریء المدینة (ت ١٣٠).

وراوياه هما : «ابن وردان» عيسى الحذاء (ت ١٦٠). و «ابن جماز» سليمان بن مسلم الزهرى (ت ١٧٠).

***

ولحق هؤلاء اربعة، قرأوا بالشواذ، و قد اعتبرت قراءاتهم و قبلتها العامة، وهم:

١١- «الحسن البصرى» بن‌يسار. قارىء البصرة (ت ١١٠).

وراوياه : «شجاع» بن ابى‌نصر البلخى (١٢٠ - ١٩٠). و «الدورى» حفص بن عمر (ت ٢٤٦). رويا عنه بالاسناد.

١٢- «ابن محيصن» محمد بن عبدالرحمان. قارىء مكة مع ابن‌كثير (ت ١٢٣).

و راوياه هما : «البزى» احمد بن محمد (١٧٠ - ٢٥٠) و «ابن‌شنبوذ» محمد بن احمد (ت ٣٢٨). رويا عنه بالاسناد.

١٣- «اليزيدى» يحيى بن المبارك. قارىء البصرة (ت ٢٠٢).

وراوياه هما : «سليمان بن الحكم» الخياط (ت ٢٣٥). و «احمد ابن فرج» الضرير (ت ٣٠٣) روى عن الدورى عنه.

١٤- «الاعمش» سليمان بن مهران الاسدى، قارىء الكوفة (ت ١٤٨).

وراوياهما : «الشنبوذى» محمد بن احمد البغدادى (٣٠٠ - ٣٨٨). و «المطوعى» الحسن بن سعيد البصرى (ت ٣٧١). رويا عنه بالواسطة.

هؤلاء اربعة عشر قارئاً و ثمانية و عشرون راوياً، ذكرناهم تبعاً لما ذكره القوم، و لمسيس الحاجة الى معرفتهم بالذات، فى خصوص القراءات الدارجة الموجودة اليوم.

ملحوظات قصيرة

١ـ قال ابوعمرو الداني: ليس في‌القراء السبعة من‌العرب سوى اثنين : عبدالله بن عامر اليحصبي قاريء دمشق. و ابـي‌عمرو بن‌العلاء المازني قاريء البصرة (١).

قلت: اما ابن عامر فكان يزعم انه من حمير، غير ان ابن حجـر ذكر : انه ممن يغمز في نسبه (٢).

وكذا ابو عمرو بن العلاء قيل: انه من مازن تميم. لكن حكـى القاضي اسد اليزيدي : انه من «فارس» ـ شيراز ـ من قرية يقال لها «كازرون» و هي معمورة اليوم (٣).

***

٢ـ اربعة من‌القراء السبعة هم شيعة آل البيت ـ عليهم‌السلام ـ بالتصريح و من‌المحافظين الثقات : عاصم بن ابي‌النجود، و ابو عمرو ابن العلاء، و حمزة بن حبيب، و علي بن حمزة الكسائي (٤) و واحد من‌اشياع معاوية و هو ابن عامر كان لايتورع الكذب والفسوق (٥) و اثنان ـ هما : ابن‌كثير المكي و نافع المدني ـ مستورا الحال. لكن

١ـ التيسير في القراءات السبع ص ٦.

٢ـ تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٤ رقم ٤٧٠.

٣ـ غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨.

٤ـ راجع : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٤٦.

٥ـ فقد كذب في سنة ولادته. و في انتسابه الى حمير. و في اسناد قراءته الى شيوخ لم يلتق بهم. او الى اناس لم‌يكونوا مقرئين، كعثمان و معاوية. قال : «قرأت على معاوية..!» ـ معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٦٧ ـ و من ثم بعث سليمـان بـن عبدالملك مهاجراً لينحيه عن امامة المسجد بدمشق، و يقول له : «تأخر فلن يتقدم منادعي!» المصدر ص٦٨. وراجع ترجمته في‌هذا الكتاب ص ١٩٣ برقم٨ طبقة٣.

نسبتهما الى «فارس» بالخصوص (١) ربما تنم عن موقفهما من مذهب اهل البيت ـ عليهم السلام ـ لانهم اسبق من عرف الحق و لمسه فــى هذا الاتجاه.

***

٣ـ قال ابو محمد مكى بن ابى‌طالب : «واصح القراءات سنداً نافع و عاصم و افصحها ابوعمرو والكسائى» (٢).

و قال ابن خلكان : «كان عاصم المشار اليه فى‌القراءات» (٣).

و قال احمد بن حنبل: «كان اهل الكوفة يختارون قراءة عاصم، و انا اختارها» (٤).

و قال الخوانسارى «وظلت قراءته هى الدارجة بين‌المسلمين، و كانت تكتب بالسواد، و باقى القراءات تكتب بألوان اخر للتميز (٥).

قال يحيى بن معين : «الرواية الصحيحة التى رويت من قراءة عاصم هى‌رواية حفص» (٦).

قلت : و من ثم فالقراءة المعروفة عن عاصم فــى جميع الاعصار هى التى برواية حفص، و هو موضوع بحثنا فى‌الفصل التالى.

١ـ فان ابن كثير ينتهى نسبه الى زاذان بن فيروزان بن هرمز، من ابناء فارس الذين بعثهم كسرى فى اسطول بحرى لانقاذ صنعاء من‌الاحباش، فطردوهم عنها و اقاموا هناك مرابطين. و كان نافــع اصله من اصبهان. راجع: التيسير ص ٤ و غاية‌النهاية ج ٢ ص ٣٣٠ و ج ١ ص ٤٤٣.

٢ـ الاتقان ج ١ ص ٢٢٥ ط ١٣٨٧.

٣ـ وفيات الاعيان ج ٣ ص ٩.

٤ـ تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٩.

٥ـ روضات الجنات ج ٥ ص ٤ ط ١٣٩٥.

٦ـ النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ١٥٦.

كانت و لاتزال القراءة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول حتى عصرنا الحاضر، هى القراءة التى تتوافق مع قراءة عاصم برواية حفص. و كان لذلك سببان:

الاول ـ ما اشرنا اليه سابقاً، ان قراءة حفص كانت هى قراءة عامة المسلمين، و ان النسبة مقلوبة، حيث كان حفص و شيخه عاصم حريصين على الالتزام بماوافق قراءة العامة والرواية الصحيحة المتواترة بين المسلمين. و هى القراءة التى اخذها عاصم عن شيخه ابى عبدالرحمان السلمى عن الامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام ولم يكن على عليه‌السلام يقرأ الابما وافق نص الوحى الاصل المتواتر بين‌المسلمين.

و هذه القراءة أقرأها عاصم لتلميذه حفص، و من ثـم اعتمدها المسلمون فى عامة ادوارهم، نظراً الى هذا التوافق والوئام، و كانت نسبتها الى حفص نسبة رمزية، تعييناً لهذه القراءة، فمعنى اختيار قراءة حفص : اختيار قراءة اختارها حفص، لانهاقراءة متواترة بين‌المسلمين منذ الاول.

الثانى ـ ان عاصماً بين القراء المعروفين، كان فـريداً بسمات وخصائص، جعلته علماً يشار اليه بالبنان، فقدكان ضابطاً متقناً للغاية، شديد الحذر والاحتياط فيمن يأخذ عنه القرآن متثبتاً. و من ثم لم‌يأخذ القراءة اخذاً الا من ابى عبدالرحمان السلمى عن على عليه‌السلام و كان يعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود.

قال ابن عياش : قال لى عاصم : مـا اقرأنـى احـد حـرفاً الا ابوعبدالرحمان، و كان ابو عبدالرحمان قد قرأ على على عليه السلام فكنت ارجع من عنده فاعرض على زر، و كان زر قدقرأ على عبدالله.

فقلت لعاصم : لقد استوثقت (١). الامر الذى جعله مشاراً اليه فى القراءات، على حد تعبير ابن خلكان (٢).

وهكذا في جميع ادوار التاريخ كانت قراءة عاصم هى القراءة المفضلة التى راجت بين عامة المسلمين، و اتجهوا اليها فى صورة جماعية.

هذا القاسم بن احمد الخياط الحاذق الثقة (ت ح ٢٩٢) كان اماماً فى قراءة عاصم، و من ثم كان اجماع الناس على تفضيله فى قراءته (٣).

و كان فى حلقة ابن مجاهد ـ مقرىء بغداد على رأس المأة الرابعة ـ خمسة عشر رجلا خصيصاً بقراءة عاصم، فكان الشيخ يقريهم بهذه القراءة فقط، دون غيرها من قراءات (٤).

و كان نفطويه ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٣) اذا جلس للاقراء ـ و كان قد جلس اكثر من خمسين عاما ـ يبتدىء بشيء من القرآن المجيد على قراءة عاصم فحسب، ثم يقرىء بغيرها (٥).

و هكذا اختار الامام احمد بن حنبل قراءة عاصم على قراءة غيره، لان اهل الكوفة ـ وهم اهل علم و فضيلة ـ اختاروا قراءته (٦) و فى لفظ الذهبى: قال احمد بن حنبل : كان عاصم ثقة، انا اختار قراءته (٧).

وقد حاول الائمة اتصال اسانيدهم الى عاصم برواية حفص

١ـ معرفة القراء الكبار للذهبى ج ١ ص ٧٥.
٢ـ وفيات الاعيان ج ٣ ص ٩ رقم ص ٣١٥.
٣ـ الطبقات لابن الجزرى ج ٢ ص ١٧.
٤ـ معرفة القراء الكبار للذهبى ج ١ ص ٢١٧.
٥ـ لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ١٠٩.
٦ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٩.
٧ـ ميزان الاعتدال للذهبى ج ٢ ص ٣٥٨.

بالخصوص، قال الامام شمس‌الدين الذهبى: و اعلى ما يقع لنا القرآن العظيم فهو من جهة عاصم. ثم ذكر اسناده متصلا الى حفص عن عاصم عن ابى عبدالرحمان السلمى عن على عليه‌السلام و عن زر عن عبدالله. كلاهما عن النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه‌السلام عن الله عزوجل (١).

***

هذا من‌جانب، و من جانب آخر كان حفص هوالذى اشاع قراءة عاصم فى البلاد، و كان معروفاً بالضبط والاتقان، و من ثم اقبل‌جمهور المسلمين الى اخذ قراءة عاصم منه بالخصوص.

هذا فضلا عن ان حفصاً كان اعلم اصحاب عاصم بقراءته، و مفضلا على زميله ابى‌بكر ابن عياش فى‌الحفظ و ضبط حروف عاصم.

قال ابوعمرو الدانى : حفص هو الذى اخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، و نزل بغداد فأقرأ بها، و جاور بمكة فاقرأ بها (٢).

قال ابن المنادى : كان الاولون يعدون حفصاً فى الحفظ فوق ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التى قرأها على عاصم (٣).

قال الشاطبى : وحفص و بالاتفان كان مفضلا (٤).

اما اهل النقد والتمحيص فيرون من رواية حفص عن عاصم هى الرواية الصحيحة. قال ابن معين: الرواية الصحيحة التى رويت من قراءة عاصم هى رواية حفص بن سليمان (٥).

١ـ معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٧٧.
٢ـ الطبقات لابن الجزرى ج ١ ص ٢٥٤.
٣ـ النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ١٥٦.
٤ـ شرح الشاطبية «سراج القارى» ص ١٤.
٥ـ النشر فى‌القراءات العشر ج ١ ص ١٥٦.

و من ثم فان القراءة التی راجت بین المسلمین قاطبة، هی‌قراءة عاصم من طریق حفص فقط.

***

هذا فضلا عن ان اسناد حفص الی شیخه الی علی امیرالمؤمنین علیه‌السلام اسناد ذهبی عال لانظیر له فی القراءات.

اولا : ان عاصماً لم‌یقرأ ـ القراءة التامة ـ علی احد سوی شیخه ابی عبدالرحمان السلمی الرجل العظیم نبلا و وجاهة. و انما کان یعرض قراءته علی غیره لغرض الاتقان فحسب.

قال ابن عیاش : قال لی عاصم : ما اقرأنی أحد حرفاً الا ابو عبدالرحمان السلمی و کان قدقرأ علی علی علیه‌السلام و کنت ارجع من عنده فاعرض علی زر، وکان قدقرأ علی عبدالله (١).

ثانیاً : انه لم‌یخطیء شیخه السلمی فی شیء من حروفه، علماً منه ان شیخه لم یخطیء علیاً علیه‌السلام فی شیء من قراءته.

قال: لم اخالف ابا عبدالرحمان السلمی فی شیء من‌قراءته، فان اباعبدالرحمان لم یخالف علیاً فی شیء من قراءته (٢).

ثالثاً : ان عاصماً خص بهذا الاسناد الذهبی الرفیع ربیبه حفصاً دون غیره. و هی فضیلة کبری امتاز بها حفص علی سائر القراء اطلاقاً، و هی التی اهلته لاقبال عامة المسلمین علی قراءته فحسب، قال حفص: قال لی عاصم : ماکان من‌القراءة التی أقرأتك بها، فهی القراءة التی قرأت بها علی ابی عبدالرحمان السلمی عن علی علیه‌السلام و ما کان من القراءة التی اقرأتها ابابکر ابن عیاش فهی القراءة التی کنت

١ـ معرفة القراء الکبار للذهبی ج ١ ص ٧٥.

٢ـ معرفة القراء ج ١ ص٧٥ والطبقات ج ١ ص ٣٤٨.

اعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (١).

***

وهل خالف حفص شيخه عاصماً فی شیء من قراءته؟.
قال ابن‌الجزری: و ذکر حفص انه لم یخالف عاصماً فی شیء من‌قراءته الا فی حرف الروم (س ٣٠ آ ٥٤): «الله الذی خلقکم من ضعف . . .» قرأه بالضم و قرأه عاصم بالفتح (٢).
قال ابومحمدمکی: قرأ ابوبکر وحمزة بفتح الضاد فی‌الثلاثة (٣).
و قد ذکر عن حفص انه رواه عن عاصم و اختار هو الضم لـروایة ابن عمر، قال: قرأت علی رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله «من ضعف» بالفتح، قال: فرد علی النبی صلی‌الله علیه وآله «من ضعف» بالضم فی‌الثلاثة.
قال مکی: و روی عن حفص انه قال: ما خالفت عاصماً فی شیء مما قرأت به علیه الا فی ضم هذه الثلاث کلمات (٤).
لکن الصحیح ان هذه النسبة غیر ثابتة، و من ثم لم‌یبت مکی فی اسناد ذلك الی حفص، و انما ذکره عن تردید و شك بلفظة المجهول: «ذکر عن حفص». «روی عن حفص». کانه لم تثبت عنده صحة ذلك قطعیاً. و هذا هو الذی نرجحه نحن، نظراً لان وثوق مثل حفص، بابن عمر الهائم فی مذاهبه، لم‌یکن بمرتبة توجب ترجیحه علی الوثـوق بشیخه الضابط الامین، اذکانت قراءة عاصم ترتفع الی مثل علی‌علیه السلام فی سلسلة اسناد ذهبی رفیع، و قد اتقنه عاصم اتقاناً، فـاودعه ربیبه و ثقته حفصاً. الامر الذی لاینبغی الارتیاب فیه لمجرد روایة

١ــ طبقات القراء لابن الجزری ج ١ ص ٣٤٨.
٢ــ طبقات القراء ج ١ ص ٢٥٤.
٣ــ الکلمة مکررة فی‌الایة ثلاث مرات.
٤ــ الکشف عن وجوه القراءات ج ٢ ص ١٨٦.

رواها رجل غير موثوق به اطلاقاً.

اذ كيف يخفى مثل هذا الامر ـ فى قراءة آية قرآنية ـ على سائر الصحابة الكبار الامناء، و بيديه النبى صلى‌الله‌عليه وآله لابن عمر اختصاصاً به ؟!

و هل يعقل ان يترك حفص قراءة ضمن شيخه الثقة انها قراءة على عليه السلام فى جميع حروفها كاملة أخذها عن شيخه السلمى فى اخلاص و امانة، لمجرد رواية لم تثبت صحتها ؟!

و اذ كنا نعرف مبلغ تدقيق الكوفيين ولاسيما فى عصر التابعين، و مدى ولائهم لآل‌البيت عليهم‌السلام و اتهامهم لأمثال ابن عمر المتفكك الشخصية، نقطع بكذب الاسناد المذكور و ان حفصاً لم يخالف شيخه عاصماً فى شيء من حروفه اطلاقاً، كما لم‌يخالف عاصم شيخه السلمى فى شيء من قراءته، لان السلمى لم يخالف علياً اميرالمؤمنين عليه‌السلام. هذا هو الصحيح عندنا.

فالارجح ان عاصماً هوالذى قرأ بالضم فيما اقرأه على حفص.

صلة الشيعة بالقرآن الوثيقة

لم يبعثنا على عقد هذا الفصل سوى انا وجدنا فى كلمات بعض من تعوزهم الحرية فى التفكير، و يفضلون تقليد اسلافهم فى‌الحقد على امة كبيرة من‌المسلمين لاذنب لهم سوى تمسكهم بولاء آل بيت‌الرسول صلى‌الله عليه وآله عملا بوصيته صلى‌الله عليه وآله (١) و اجابة لدعوة القرآن الكريم (٢).

فقد وجهوا الى الشيعة تهماً كثيرة افكاً و زوراً هم منها براء، منها: نسبة مصحف خاص اليهم اطلقوا عليه اسم «المصحف

١ــ فى حديث الثقلين و حديث السفينة و غيرهما.

٢ــ فى قوله تعالى : «قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة فى القربى».

الشيعي» (١). في حين ان الشيعة انفسهم لم‌يسمعوا بهكذا مصحف في جميع ادوار تاريخهم المجيد.

و قد واجه هذه النسبة بالانكار الشديد، جماعة من‌الباحثين المتأخرين (٢) و من اهمهم جولد تسيهر الذي عالج علاقة الشيعة الخاصة بالنص القرآني الرسمي الموجود بأيدينا (٣).

و استيضاحاً لهذا الجانب ـ مدى صلة الشيعة بالنص الموجود ـ نعرض مايلي:

نحن اذعرضنا تاريخ القرآن المجيد، والادوار التي مرت عليه جيلا بعد جيل وجدنا ان هذا النص الموجود بهذا الوضع الراهن، هو صنيع جهود الشيعة بالذات، و هم‌الذين سهروا على حفظه و ضبطه و اتقانه، و عملوا في تحسينه و تشكيله و تطويره من جميل الى اجمل في عمل مستمر، فالحقيقة ـ ان كان هناك مصحف شيعي ـ تقضي بان يطلق هذاالاسم على المصحف الموجود، نسبة الى ائمة الشيعة و قرائهم وحفاظهم و فنانيهم عبر التاريخ، و اليك بايجاز:

كان علي اميرالمؤمنين عليه‌السلام اول من ابدى فكرة جمع القرآن بعد وفاة رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله مباشرة. و ان كان جمعه هو رفض، لكن فكرة الجمع اثرت اثرها في نفس الوقت. ولم يكن الاختلاف بين الجمعين في ذات القرآن.

و كانت المصاحف الرئيسية التي جمع فيها القرآن كله على ذلك العهد ـ قبل توحيدها ـ هي: ما جمعه عبدالله بن مسعود و ابي‌بن

١ـ راجع: الدكتور عبدالله خورشيد في كتابه «القرآن و علومه في مصر» ص ٨١ فانه عالج ما بين الشيعة و هذه النسبة من‌صلة، و فندها على اساس تاريخي.

٢ـ راجع: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ١٥ ـ ١٦ و موير: مقدمة حياة محمد ص ٣٥ ـ ٣٦. و حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الاثرية ص ٩٢. و هامش فضائل القرآن لابن كثير بقلم رشيد رضا ص ٤٨ رقم: ٢ و ٣.

٣ـ راجع: مذاهب التفسير لجولد تسيهر ص ٢٩٣.

كعب و ابوالدرداء والمقداد بن الاسود. ممن عرفوا بالولاء الخاص للبيت النبوى الرفيع و لم‌يكن سائر المصاحف بذلك الاعتبار. و كانت صحف ابى‌بكر غير منتظمة بين دفتين.

و اول من جاء بفكرة توحيد المصاحف على‌عهدعثمان هو حذيفة ابن اليمان فى قصة سلفت و كان ابى بن كعب هو الذى تصدى املاء القرآن على لجنة استنساخ المصاحف الموحدة، و كانوا يراجعونه فيما اشكل عليهم من ثبت الكلمات.

و كان تشكيل المصحف و تنقيطه على يد ابى الاسود الدؤلى و تلميذيه نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر. و اول من تنوق فى كتابة المصحف و تجويد خطه هو خالد بن ابى الهياج صاحب‌على‌عليه‌السلام ثم كان ضبط الحركات على الشكل الحاضر على يد الاستاذ الكبير خليل بن احمد الفراهيدى، و كان هو اول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام (١).

***

أما القراءات فان الشيعة هم‌الذين درسوا اصولها و احكموا قواعدها و ابدعوا فى فنونها و اطوارها فى امانة و اخلاص.

كان اربعة ـ ان‌لم نقل ستة ـ من‌القراء السبعة شيعة. فضلا عن غيرهم من‌ائمة قراء كبار، كابن مسعود و ابى بن كعب، و ابى الدرداء، والمقداد، و ابن عباس و ابى‌الاسود، و علقمة، و ابن‌السائب، والسلمى، و زر بن حبيش، و سعيد بن جبير، و نصر بن عاصم، و يحيى بن يعمر، و عاصم بن ابى‌النجود، و حمران بن اعين، وابان بن تغلب، والاعمش، و ابى‌عمرو بن العلاء، و حمزة، والكسائى، و ابن عياش، و حفص بن

١ـ كل ذلك تقدم تفصيله فى‌الجزء الاول من هذا الكتاب.

سليمان، و نظرائهم من ائمة كبار هم‌رؤوس فـي‌القراءة والاقـراء في‌الامصار والاعصار (١).

***

اما القراءة الحاضرة ـ قراءة حفص ـ فهى قراءة شيعية خالصة، رواها‌حفص ـ‌وهو‌من اصحاب الامام‌الصادق عليه‌السلام (٢) عن‌شيخه عاصم‌ـ وهو‌من‌اعيان شيعة‌الكوفة‌الاعلام (٣) ـ‌عن‌شيخه السلمى‌ـ (٤) و كان من خواص على عليه‌السلام، عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام، عن رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله عن الله عزوجل.

١ـ راجع: الطبقات الثمان التى تقدمت هنا.

٢ـ ذكره الشيخ ابوجعفر الطوسى فى اصحاب الامام الصادق ـ ع ـ و قال: اسند عنه. راجع : الرجال ص ١٧٦.

٣ـ ذكره مؤلف نقض الفضائح شيخ ابن شهرآشوب و ابى‌الفتوح الرازى. راجـع : التأسيس للصدر ص ٣٤٦. والمجالس للقاضى ج ١ ص ٥٤٨.

٤ـ ذكره ابن قتيبة فى اصحاب على ـ ع ـ و ممن حمل عنه الفقه. المعارف ص ٢٣٠. وعده البرقى فى رجاله من خواص الامام ـ ع ـ من مضر. التأسيس ص ٣٤٢.



(معجم)

طبقات القراء الكبار

المترجمين فی هذا الحقل

الف

رقم الصفحة

رقم الصفحة

س

١٩٠	سعيدبن جبير «الوالبى»	طبقته:٣ . رقم: ١
٢٠١	سلام‌بن سليمان «ابومنذر»	،، : ٤ . ،، : ١١
٢٠١	سليم بن عيسى «ابوعيسى»	،، : ٤ . ،، : ١٣
٢٠٠	سليمان بن مسلم «ابن جماز»	،، : ٤ . ،، : ٩
١٩٧	سليمان بن مهران «الاعمش»	،، : ٤ . ،، : ٢
٢١١	سليمان بن يحيى «ابوايوب»	،، : ٧ . ،، : ٣

ش

٢٠٤	شجاع بن ابى‌نصر «البلخى»	،، : ٥ . ،، : ٨
٢٠١	شعبة بن‌عياش «ابوبكر ابن عياش»	،، : ٤ . ،، : ١٢
١٩٥	شيبة بن‌نصاح بن سرجس «المدنى»	،، : ٣ . ،، : ١٣

ص

٢١٠	صالح بن زياد «السوسى»	،، : ٦ . ،، : ١٨

ط

١٩٢	طلحة بن مصرف «الكوفى»	،، : ٣ . ،، : ٦

ظ

١٨٦	ظالم بن عمرو «ابوالاسود الدؤلى»	،، : ٢ . ،، : ٢

رقم الصفحة

ع

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

ن

ه

ى

القراء المعروفون بالكنى او الالقاب

أ	ابن اشتة	: محمد بن عبدالله	٨	٢٤	٢٢٣
أ	ابن الانبارى	: محمد بن القاسم	٨	٨	٢١٨
أ	الاعرج	: عبدالرحمان بن هرمز	٣	٧	١٩٢
أ	الاعرج	: حميد بن قيس	٣	١٤	١٩٥
أ	الاعمش	: سليمان بن مهران	٤	٢	١٩٧
أ	الاعشى	: يعقوب بن محمد	٥	٧	٢٠٤
ب	البزى	: احمد بن محمد	٦	١٢	٢٠٨
ب	ابوبكر	: شعبة بن عياش	٤	١٢	٢٠١
ب	ابوالبركات	: عيسى بن وردان	٤	٨	٢٠٠
ج	ابوجعفر	: يزيد بن القعقاع	٣	١٥	١٩٦
ج	ابنجماز	: سليمان بن مسلم	٤	٩	٢٠٠
ح	الحمزى	: احمد بن محمد	٨	٦	٢١٧
د	الدورى	: حفص بن عمر	٦	١١	٢٠٨
د	الداجونى	: محمد بن احمد	٨	٤	٢١٦
د	ابوالدرداء	: عويمر بن زيد	١	٤	١٨٤
د	الدؤلى	: ظالم بن عمرو	٢	٢	١٨٦
ذ	ابن ذكوان	: عبدالله بن احمد	٦	٩	٢٠٧
ر	الربعى	: محمد بن النضر	٨	١٢	٢١٩
ر	رويس	: محمد بن المتوكل	٦	٥	٢٠٧
ر	ابن راهويه	: اسحاق بن ابراهيم	٦	٦	٢٠٧
ر	ابورويم	: نافع بن عبدالرحمان	٤	٥	١٩٩
ز	الزينبى	: محمد بن سليمان	٨	١	٢١٥
س	السوسى	: صالحبن زياد	٦	١٧	٢١٠
س	ابن سحنون	: عبدالله بن الحسين	٨	٢٩	٢٢٤
س	السلمى	: عبدالله بن حبيب	٢	٦	١٨٨

س	ابن سيف	: ابوبكر بن عبدالله	٧	١٣	٢١٣
ش	ابن‌شاذان	: الفضل، ابن خليل	٦	١٩	٢١٠
ش	ابن‌شاذان	: الفضل ، ابن عيسى	٦	٢٠	٢١٠
ش	الشذائى	: احمد بن نصر	٨	٢٨	٢٢٤
ش	الشنبوذى	: محمد بن احمد	٨	٣٠	٢٢٤
ش	ابن شنبوذ	: محمد بن احمد	٨	٧	٢١٧
ص	الصواف	: الحسن بن الحسين	٧	١٨	٢١٤
ط	الطبرى	: محمد بن جرير	٧	١٩	٢١٤
ع	ابن عامر	: عبدالله اليحصبى	٣	٨	١٩٣
ع	ابوالعالية	: رفيع بن مهران	٢	١٠	١٨٩
ع	ابن‌عباس	: عبدالله	٢	١	١٨٦
ع	العنبسى	: عبدالله بن موسى	٥	١٢	٢٠٥
ع	ابن عياش	: عبدالله	٢	٧	١٨٨
ع	ابوعبدالرحمان	: عبدالله بن حبيب	٢	٦	١٨٨
ع	ابو عبيد	: القاسم بن سلام	٦	١	٢٠٦
ع	العطار	: محمدبن الحسن، ابن‌مقسم	٨	١٩	٢٢١
ع	العلاف	: الحسن بن على	٧	٢٠	٢١٤
ع	ابوعمرو	: زبان بن العلاء	٤	٣	١٩٩
غ	غلام سباك	: احمد بن عثمان	٨	١٤	٢١٩
ق	قالون	: عيسى بن ميناء	٥	٥	٢٠٣
ق	القسط	: اسماعيل بن عبدالله	٤	١٥	٢٠٢
ق	قنبل	: محمد بن عبدالرحمان	٧	٢	٢١١
ق	القواس	: احمد بن محمد	٦	١٠	٢٠٨
ك	ابن كثير	: عبدالله	٣	١٠	١٩٤
ك	الكسائى	: على بن حمزة	٤	١٠	٢٠٠

م	ابن مجاهد	: احمد بن موسى	٨	٣	٢١٦
م	المسيبى	: اسحاق بن محمد	٥	١	٢٠٢
م	المطوعى	: الحسن بن سعيد	٨	٢٧	٢٢٣
م	ابن مسعود	: عبدالله	١	٢	١٨٣
م	ابن محيصن	: محمد بن عبدالرحمان	٣	١١	١٩٤
م	ابن‌مقسم	: محمد بن الحسن العطار	٨	١٩	٢٢١
م	ابو ميسرة	: عمرو بن شرحبيل	٢	١٢	١٩٠
ن	ابو نعيم	: نافع بن عبدالرحمان	٤	٥	١٩٩
ن	النقاش	: محمد بن الحسن	٨	١٧	٢٢٠
ن	نفطويه	: ابراهيم بن محمد	٨	٢	٢١٥
و	ورش	: عثمان بن سعيد	٥	٤	٢٠٣
ى	اليحصبى	: عبدالله بن عامر	٣	٨	١٩٣
ى	اليزيدى	: يحيى بن‌المبارك	٥	٣	٢٠٣



الناسخ والمنسوخ في القرآن

* النسخ والإصلاحات التشريعية
* سلسلة تدوين هذا العلم وتحقيقه
* خطورة معرفة الناسخ عن المنسوخ
* التعريف بالنسخ المصطلح
* حقيقة النسخ في التشريع
* الفرق بين النسخ والبداء
* الفرق بين النسخ والتخصيص
* شروط النسخ الخمسة
* صنوف النسخ في القرآن
* عرض آيات منسوخة



من طبيعة الحركة الاصلاحية الاخذة الى التقدم بوجه عـام، ان يتوارد على تشريعاتها نسخ متتابع، حسب تدرجها التصاعدى نحو قمة الكمال. تلك طبيعة الحـركة الاصلاحية محتمـة، و لاسيما اناكـانت الامة التى انبعثت فيها هذه النهضة التقدمية امة متوغلـة فىالضلال و بعيدة عن معالم الحضارة الى حد كبير حيث الانتشال بها من واقعها السحيق والانسجام مع سجيتها المتوحشة، لمما يبدو متعذراً ويتطلب طى عقبات و مراحل متلاحقة.

وهكذا استدعت التشريعات الاسلامية نسخاً متتالياً منذ ان ظهرت الدعوة فى مكة المكرمة، و حتى الى ما بعد الهجـرة الـى المدينة المنورة، وقد انتهت شريعة النسخ ـفيما يخص آى الذكر الحكيم ـ بوفاته ـ صلىالله عليه و آله ـ حيث انقطاع الوحى.

وكانت ظاهرة النسخ امراً لابد منه فى كل تشريع يحاول تركيز معالمه فى الأعماق، والاخذ بيدامة جاهلة الى مستوى عال منالحضارة الراقية. الامر الذى لايتناسب مع الطفرة المستحيلة، لولا الاناة والسير التدريجى المستمر خطوة بعد خطوة.

و من ثم فان النسخ ضرورة واقعية تتطلبها مصلحة الامة ذاتها، ولم يكد ينكر مالهذه الظاهرة الدينية من فائدة و عوائد تعود على الامة،

واعظم بها من حكمة الهية بالغة.

***

ولم يخف على العلماء ما لظاهرة النسخ من حكمة واقعية وحقيقة ثابتة لامحيص عنها. و من ثم احتفلوا بشأنها و بذلوا عنايتهم البالغة نحو الاهتمام بها و اخذوا في دراستها والتحقيق من جميع جوانبها المتنوعة.

و اول من عالج الموضوع و درسه دراسة فنية، و جمع اصوله في تدوين جامع هو : ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمان الاصم المسمعي من‌اصحاب الامام الصادق عليه‌السلام له رسالة في الناسخ والمنسوخ.

ثم تصدى جماعة من اصحاب الامام الرضا عليه‌السلام للبحث عن ذلك و ثبت نتائج بحوثهم في رسائل، منهم : دارم‌بن قبيصة التميمي الدارمي، و احمد بن محمد بن عيسى القمي، والحسن بن علي بن‌فضال.

و في‌القرن الثالث قام المفسر الامامي الكبير علي بن ابراهيم القمي بتدوين رسالة خاصة بشأن الناسخ والمنسوخ في‌القرآن. وكذا محمد بن العباس المعروف بابن الحجام. و ابو عبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٥» و جعفر بن مبشر الثقفي «ت ٢٣٥» و احمد بن حنبل «ت ٢٤١» و سعدبن ابراهيم الاشعري القمي «ت ٣٠١».

وفي‌القرن‌الرابع: احمدبن‌جعفر البغدادي المعروف‌بابن‌المنادي «ت ٣٣٤» و ابوجعفر احمد بن محمد النحاس «ت ٣٣٨». و محمد ابن محمد النيسابوري «ت ٣٦٨». وابـو سعيد الحسن بـن عبدالله السيرافي «ت ٣٦٨». و محمد بن الحسن الشيباني الامامي، ادرجـه في مقدمة تفسيره «نهج‌البيان عن كشف معاني القرآن». و محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بالصدوق «ت ٣٨١».

و في القرن الخامس : هبةالله بن سلامة «ت ٤١٠». و عبدالقاهر

البغدادی«ت ٤٢٩». و مکی بن ابی طالب «ت ٤٣٧» و علی بن احمد ابن حزم الأندلسی «ت ٤٥٦».

وفیالقرن السادس: محمد بن برکات بن هلال السعیدی «الایجاز فی ناسخ القرآن و منسوخه»، «ت ٥٢٠» و محمد بن عبدالله المعروف بابن العربی «ت ٥٤٣» و ابوالفرج عبدالرحمان بنالجوزی «ت ٥٩٧».

و فیالقرن الثامن : یحیی بن عبدالله الواسطی «ت ٧٣٨». و عبدالرحمان بن محمد العتائقی «ت ح ٧٧٠». و محمد بن عبدالله الزرکشی «ت ٧٩٤» ضمن کتابه «البرهان».

و فیالقرن التاسع: احمد بن المتوج البحرانی «ت ٨٣٦» واحمد ابن اسماعیل الابشیطی «ت ٨٨٣».

وفیالقرن العاشر: عبدالرحمانجلالالدین السیوطی «ت ٩١١» ضمن کتاب الاتقان. و محمد بن عبدالله الاسفراینی.

و فی القرن الثانی عشر : عطیةالله بن عطیة الاجهوری «ت ١١٩٠».

و فی هذا القرن الاخیر «الرابع عشر»: کتب سماحة سیدنا الاستاذ الامام الخوئی ـ دام ظله ـ فیالناسخ والمنسوخ فی دراسة عمیقة وافیة ضمن مؤلفه القیم «البیان». و کتب الاستاذ مصطفی زید: «النسخ فیالقرآن الکریم»: والاستاذ علی حسن العریض: «فتح المنان فی نسخ القرآن». و غیرهم مما یطول.

***

فان دل ذلك فانما یدل علی مبلغ اهتمام علماء الامة بشأن وقوع النسخ فیالقرآن و تمییز الناسخ عن المنسوخ بشکل قاطع، علماً منهم بان ذلك هو اولی مقدمات فهم التشریع الاسلامی الثابت المستمر،

ولايمكن استنباط حكم شرعى مالم يعرف الناسخ عن المنسوخ، والثابت الباقى عن الزائل المتروك.

و روى ابوعبدالرحمان السلمي : ان علياً عليه‌السلام مر على‌قاض فقال له: هل تعرف الناسخ عن المنسوخ؟ فقال: لا. فقال، هلكت و أهلكت، تأويل كل حرف من‌القرآن على وجوه (١).

ولعل هذا القاضى هو ابو يحيى المعرف، كماجاء فى حديث سعيد بن ابى الحسن، انه لقى ابا يحيى هذا، فقال له: اعرفونى اعرفونى يا سعيد، انى اناهو. قال سعيد: ما عرفت انك هو؟ قال: فانى انا هو، مربى على عليه‌السلام و انا اقضى بالكوفة، فقال لى: من انت؟ فقلت: انا ابويحيى، فقال: لست بابى يحيى، ولكنك تقول: اعرفونى، ثم قال: هل علمت بالناسخ والمنسوخ؟ قلت: لا. قال: هلكت و اهلكت. فماعدت بعد ذلك اقضى على احد، أنافعك ذلك يا سعيد؟ (٢).

و قال الامام الصادق عليه‌السلام لبعض متفقهة اهل الكوفة : انت فقيه اهل العراق؟ قال نعم. قال: فبم تفتيهم؟ قال: بكتاب‌الله و سنة نبيه. فقال له الامام : أتعرف كتاب الله حق معرفته، و تعرف الناسخ من‌المنسوخ؟ قال: نعم. قال: لقد ادعيت علماً، ما جعل‌الله ذلك الاعند اهله . . . (٣).

وفى حديث احتجاجه عليه‌السلام على الصوفية: ألكم علم بناسخ القرآن و منسوخه؟ الى ان قال: و كونوا فى طلب ناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابهه، و ما احل‌الله فيه مما حرم، فانه اقرب لكم من‌الله، وابعد لكم من‌الجهل، دعوا الجهالة لاهلها فان اهل‌الجهل

١ــ تفسير العياشي ج ١ ص ١٢ رقم : ٩ والاتقان ج ٢ ص ٢٠ ط ١.

٢ــرسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٥٠.

٣ــ تفسير الصافى ــ المقدمة الثانية ــ ج ١ ص ١٣.

كثير، و اهل العلم قليل، و قد قال تعالى: و فوق كل ذي‌علم عليم (١).

***

وقد اصبح البحث عن النسخ في القرآن ـ في هذا العصر ـ مثار جدل عنيف، من جراء طعون وجهها اعداء الاسلام الى هذا الكتاب السماوى الخالد: كيف توجد فيه آيات منسوخة الحكم لافائدة فى ثبتها سوى القراءة المجردة؟ و هم غفلوا او تغافلوا عن ان الثبت القرآنى لم يقم على اساس التشريع فحسب، اذليس فى القرآن من آيات الاحكام سوى ما يقرب من خمسمأة آية، من بضع و ستة آلاف آية ـ و سنشرح هذه الناحية فى حقل رد الشبهات ـ و ربما وقف بعض الكتاب الاسلاميين عن رد هذه الشبهة و امثالها، فانكر وجود آية منسوخة فى القرآن ـ على ما نبحث ـ و من ثم كان من ضرورة الباحث الاسلامى ان يعالج هذه المسألة معالجة فنية على اساليب النقد الراهن، بعد ان كانت المسألة مما يمس اخطر جانب من حياة المسلمين و هو كتابهم المعجز الخالد، فيقوم فى وجه المعاندين سداً منيعاً، و مدافعاً عن كتاب الله المجيد الذى «لاريب فيه» و «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد».

وليكن بحثنا الحاضر مقتصراً على مسألة «النسخ فى القرآن» بصنوفه و شرائطه وليس بحثاً عن مطلق النسخ فى الشريعة، الذى هو بحث عام اصولى، خارج ـ بعض الشىء ـ عن صبغة البحث القرآنى، الذى هو موضوع كتابنا هذا، و من الله التوفيق.

١ـ وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

التعريف بالنسخ

جاءت تعاريف العلماء للنسخ مختلفة وفاء و قصوراً لهذه الظاهرة الدينية، غير انها ـ جميعاً ـ تشير الى حقيقة واحدة نلخصها فيمايلى:

«هو رفع تشريع سابق ـ كان يقتضى الدوام حسب ظاهـره ـ بتشريع لاحق، بحيث لايمكن اجتماعهما معاً، اما ذاتاً، اذا كان التنافى بينهما بيناً، او بدليل خاص، من اجماع او نص صريح».

اذن فرفع الحكم عن بعض افراد الموضوع العام، ليس نسخاً ـ فى الاصطلاح ـ اذلم يرتفع التشريع السابق نهائياً، و انما اختص بسائـر الافراد، و من ثم فهو تخصيص فىالعام، او تقييد فىالحكم المطلق.

و كذلك اذا كان الحكم محدوداً صريحاً من اول الامر، فارتفاعه بانتهاء امده لايكون نسخاً فى الاصطلاح. و انما النسخ رفع حكميكون بطبعه ظاهراً فى البقاء والاستمرار لولا مجيء الناسخ ببيان جديد.

و هكذا اذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج او اضطرار او ضرر شخصى او لمصلحة وقتية ـ على ما يفصلها الفقهاء ـ لايكون منالنسخ فى شيء ، اذجميع ذلك لميكـن من ارتفاع التشريع، و انمـا تبدل الموضوع بطروء احد هذه العناوين.

كما لوجاز للمضطران يأكل من الميتة بقدر ما يسد رمقه، فـان مثل هذاالجواز لايكون نسخاً للحرمة الاصلية، التى كان موضوعها

الانسان المختار، وقد تبدل الى انسان مضطر.

حقيقة النسخ

النسخ في حقيقته الاولية ـ بمعنى «نشأة رأى جديد» ـ مستحيل عليه تعالى. اذهو بذاك المعنى يستدعى تبدل رأى المشترع، بظهور خطاء او نقص فى تشريعه السابق، عثر عليه متأخراً فابدل رأيه الى تشريع آخر ناسخ للاول، و يكون هذا الاخير هو الكامل الصحيح فى نظره حالياً، و يجوز تبدل رأيه ثانياً و ثالثاً الى تشريع ثالث و رابع و هكذا، مادام يحتمل خطاؤه فى كل تشريع.

هذا المعنى انما يخص اولئك المشترعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الامور، تلك الاحاطة الشاملة. اماالعالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيات فى طول الزمان و عرضه على حد سواء، فيمتنع عليه خطأ فى اصابة الواقع، اويفوته نقص كان غافلا عنه ثم وجده. كل ذلك مستحيل بشأنه تعالى.

اذن فالنسخ المنسوب اليه تعالى نسخ فى ظاهره، اما الواقع فلا نسخ اصلا، و انما هو حكم موقت و تشريع محدود من أول الامر، وانه تعالى لم يشرعه حين شرعه الاوهو يعلم ان له امداً ينتهى اليه، و انما المصلحة الواقعيةاقتضت هذا التشريع الموقت، و قد شرعه تعالى وفق تلك المصلحة المحدودة من اول الامر.

لكن لمصلحة فى التكليف أخفى تعالى بيان الامد، و أجله الى وقته المحدود. ثم فى نهاية الامد جاء البيان الى الناس: أن هذا التشريع قد انتهى بهذا الاجل.

فالنسخ فى حقيقته الدينية ليس سوى تأخير بيان الامد المضروب من الاول. و لعل فى تأخير هذاالبيان مصلحة للامة، منها الاختبار بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقاً ـ مثلا ـ . و غير

ذلك من مصالح يراها المولى الحكيم.

وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينية بالنسخ تعبير ظاهري حسب ما كان يزعمه الناس، حيث فهموا من اطلاق التشريع السابق بقاءه و استمراره، و بعد ان جاء بيان الامد متأخراً مصحوباً بتشريع لاحق، حسبوه نسخاً واقعياً للتشريع القديم. لما لمسوا من خواص النسخ فيه. و هذه استعارة في التعبير وليس من الحقيقة في شيء.

الفرق بين النسخ والبداء

اذا كان النسخ في التشريع ـ بمعنى نشأة رأى جديد ـ مستحيلا بحقه تعالى، فهكذا البداء في التكوين ـ بنفس المعنى ـ مستحيل بشأنه تعالى، على حد سواء.

اذلا فرق بين النسخ والبداء، سوى ان الاول خاص بالتشريعيات ـ اصطلاحاً ـ والثاني بالتكوينيات . فان كلا منهما في مفهومهما الاصلي ـ و هو تبدل الرأى ـ ممتنع بالقياس الى علمه تعالى الازلي المحيط، بلافرق.

اذن فكما ان النسخ انما كان بمعناه الظاهري مستعملا في الشريعة، و هو ظهور الشيء بعد خفاه على الناس، فكذلك البداء، ظهور امر بعد خفاء. سوى ان الاول ظهور أمد حكم كان معلوماً عندالله خافياً على الناس، والثاني ظهور أمر او اجل كان محتماً عنده تعالى من الازل، و خافياً على الناس ثم بدالهم اى ظهرت لهم الحقيقة.

والخلاصة : ان للبداء في التكوين ـ كالنسخ في التشريع ـ معنيين، يكون باحدهما مستحيلا بشأنه تعالى، و جائزاً بالمعنى الاخر.

وبذلك يفسر قوله تعالى : «يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده امالكتاب» ـ الرعد: ٣٢ـ (١) و غيرها من الايات.

١ـ راجع: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٩. والبحار للعلامة المجلسي ج ٤ ص ٩٢ ـ ١٣٤.

تبين ان البداء الذى تقول به الشيعة ـ مستنداً الى الاية الكريمة ـ هو بذلك المعنى الجائز، نظير النسخ، من غير فرق.

و اما مانسبه بعض الكتاب السلف، و تابعهم عليه الخلف من غير تحقيق، من اسناد الشيعة البداء المستحيل الى الله تعالى، فهو افتراء محض و بهتان زور، و هذه كتب الشيعة الكلامية وغيرها من: كتب التفسير والحديث، كلها متفقة على تفسير البداء ـ المسند الى الله ـ بمعناه الجائز، و هو الظهور للناس بعد خفاء (١).

ونحن اذلانستغرب افتراءات السلف الموجهة الى الشيعة، حيث البيئة الغاشمة هي التى وجهتهم ذاك التوجيه الخاطىء، لكنا نستغرب جداً من متابعة الخلف و نسجهم على نفس ذلك المنوال المعوج، كالاستاذ الزرقانى (٢) والاستاذ العريض (٣) و من لف لفهما، مشوا على نفس المنهاج الخاطىء من غير تحقيق عن جلى الامر، و هذه كتب الشيعة مبثوثة بين ايديهم يغفلونها (٤) ويقتصرون على نقل تلكم

١ـ راجع ـ بالخصوص ـ : البيان للامام الخوئى ص ٤١٦.

٢ـ انظر : مناهل العرفان ج ٢ ص ١٨٢ ـ ١٨٤.

٣ـ انظر: فتح المنان فى نسخ القرآن ـ على حسن العريض ـ ص ٥٣ ـ ٥٦.

٤ـ هذا «البيان» لسيدنا الاستاذ الامام الخوئى ـ دام ظله ـ عرض فيه مسألة «البداء» على مستوى علمى دقيق و شامل، فى مقال ضاف جامع بين الايجاز والوفاء، راجع: مقال «البداء فى التكوين» ص ٤٠٥ ـ ٤١٨.

وقد فصل القول فيه العلامة المجلسى ـ طاب رمسه ـ فى موسوعته القيمة «بحار الانوار» و بحث عن مسألة البداء بحثاً تحقيقياً على ضوء مذهب الشيعة المستقى من نصوص صادرة عن اهل البيت ـ عليهم السلام ـ و كلمات كبار العلماء المحققين السلف. راجع: الجزء الرابع ص ٩٢ ـ ١٣٤ من الطبعة الحديثة.

الافتراءات الظالمة التى سجلها اسلافهم على اثر ضغط من حكومات غاشمة كانت لاتفسح المجال لجلاء الحقيقة التى كانت تعاكس اهدافهم فى سياسة الاغتصاب.

الفرق بين النسخ والتخصيص

اطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً فى متداول السلف، ومن ثم اكثروا القول فى عدد الاى المنسوخة. فمن الضـروري للباحث المعاصر ان يعرف معرفة دقيقة مابين المصطلحين من فرق، ليستعمل كلا منهما فى موضعه الخاص، ولايذهب مذاهب الخلط القديمة.

يفترق النسخ عن التخصيص: ان الاول قطع لاستمرار التشريـع السابق بالمرة، بعد ان عمل بهالمسلمون فى فترة منالـزمن طويلة ام قصيرة. اما التخصيص فهو قصر الحكـم العام على بعض افـراد الموضوع و اخراج البقية عن الشمول، قبل ان يعمل المكلفون بعموم التكليف.

فالنسخ اختصاص للحكم ببعض الازمان. والتخصيص اختصاصه ببعض الافراد. ذاك تخصيص أزمانى و هذا تخصيص أفرادى ولايشتبه احدهما بالاخر.

نعم يشتركان فىجامع بينهما، هو: ارتكاب خلاف ظاهر بداءى فىكل منهما، كان التشريع الاول ظاهراً بطبعه فى الاستمرار، فجاء الناسخ ليزيل هذا التوهم، و يبين ان الحكم كان محدوداً منالاول، و ان كان لايعلم بهالناس. و هكذا التخصيص بيان للمراد الحقيقى مناللفظة الظاهرة بطبعها فىالعموم. فجاء المخصص كاشفاً عنالواقع المقصود. فكان كـل من النسخ والتخصيص اداة كشف عن المراد الحقيقي للمشرع الاول الحكيم.

شروط النسخ

نستطيع ـ على ضوء ما تقدم ـ ان نحدد «النسخ فيالقـرآن» تحديداً يميزه عن كل ما يشبهه من نظائر، بالشروط التالية:

اولاـ تحقق التنافى بين تشريعين وقعا فيالقرآن، بحيث لايمكن اجتماعهما فيتشريع مستمر، تنافياً ذاتياً، كما فيآيات وجوب الصفح مع آيات القتال (١). اوبدليل قاطع دل على نقض التشريع السابق بتشريع لاحق. كما في آية الامتاع الى الحول مع آية الاعتداد باربعة اشهر و عشرة أيام و آية المواريث، فقدقام الاجماع علىنسخ الاولى بالاخيرتين (٢).

اما فى صورة عدم التنافى بين آيتين، كما فى آية الانفاق و آية الزكاة، فلانسخ ـ اصطلاحياً ـ و ان توهمه البعض (٣). حيث تشريع الانفاق فيسبيلالله ثابت مستمر، مندوب اليه فـىالاسلام معالابد. والزكاة واجبة كذلك. ولاتنافى بين استحبابالاول و وجوبالاخيرة ابدياً.

ثانياً ـ ان يكون التنافى كلياً على الاطلاق، لا جزئياً و فى بعض الجوانب، فان هذا الثانى تخصيص فيالحكم العام، وليس منالنسخ فى شيء. فآية القواعد من النساء (٤) لاتصلح ناسخة لاية الغض (٥) بعدان كانت الاولى اخص من الثانية (٦) والخاص لاينسخ العام، بل يخصصه بما عداه من افراد الموضوع. و هكذا تحليل السمك والجراد

١ـ راجع : اختيارنا فى النسخ الاية برقم: ٦ ص ٣١١.
٢ـ راجع : اختيارنا فيالنسخ الاية برقم : ٣ ص ٣٠٣.
٣ـ راجع: قائمة المنسوخات برقم : ١٥ ص ٣٧٣.
٤ـ سورة النور: ٦٠.
٥ـ سورة النور : ٣١.
٦ـ راجع : قائمة المنسوخات برقم : ١٤٠ ص ٣٧٣.

لايكون نسخاً لاية تحريم الميتة (١) حتى ولوفرضنا صدق الميتة على السمك الذى اخــرج من الماء حياً فمات. والجــراد المأخــوذ حياً ثم يموت (٢). فان هذا تخصيص فيالاية على الفرض لانسخ (٣).

ثالثاً: ان لايكون الحكم السابق محدداً بأمد صريح، حيث الحكم بنفسه يرتفع عند انتهاء أمده، من غير حاجة الــى نسخ. فمثل قــوله تعالى: فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امرالله.. (٤) لايصدق عليه النسخ عند ماتفىء الفئة الباغية و ترجع الى رشدها والتسليم لحكمالله.

نعم فى مثل قوله تعالى: او يجعل الله لهــن سبيلا.. (٥) يصدق النسخ عند مايأتى البيان، لان التلميح الى تحديد الحكم معلقاً علــى بيان جديد، لايوجب ارتفاع الحكم الابعد ان يأتى حكم جــديد، و ما لم يأت البيان فالحكم الاول ثابت و مستمر على احكامه.

اذن فالتحديد الذى يتنافى مع النسخ هو ما اذا كان الحكــم بنفسه يرتفع بانقضاء الامد المضروب له من الاول.

رابعاً : ان يتعلق النسخ بالتشريعيات، فلانسخ فيما يتعلق بالاخبار. فقوله تعالى: ثلة منالاولين و ثلة منالاخرين (٦) لايصلح نــاسخاً لقوله : ثلة منالاولين و قليل منالاخرين (٧) فيما زعمه مقاتل بن سليمان (٨) لان الاية اخبار عن واقعية لاتتغير بالوجوه والاعتبار.

١ـ سورة البقرة : ١٧٣.

٢ـ بل هذا فى المصطلح الاصولى حكومة، فان تذكية السدك والجراد شرعاً هو اخراج السمك و اخذ الجراد حيين ىم يموتان.

٣ـ راجع : رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم. بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦١.

٤ـ سورة الحجرات : ٩.

٥ـ سورة النساء : ١٥.

٦ـ سورة الواقعة : ١٣.

٧ـ سورة الواقعة : ٣٩.

٨ـ راجع: قائمة المنسوخات برقم: ٢٠٢ ص ٣٨٩.

و هكذا الاباحة الاصلية ترتفع بحدوث التشريع من غير ان يكون ذلك نسخاً، حيث تلك الاباحة لم تكن بتشريع، و انما كانت بحكم العقل الفطرى (البراءة العقلية) موضوعها: عدم التشريع فترتفع بالتشريع. فقوله : فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره (١) لايصلح ناسخاً لقوله : و ما على الذين يتقون من حسابهم من شىء (٢) لان جواز القعود قبل نزول آية النساء لم يكن مستفاداً من آية الانعام، بل كان وفق الاباحة الاصلية، و نزلت آية الانعام دفعاً لتوهم الحظر، حيث كان النهى خاصاً بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فتوهم المسلمون شموله للمؤمنين ايضاً (٣).

خامساً : التحفظ على نفس الموضوع، اذعند ما يتبدل موضوع حكم الى غيره، فان الحكم يتغير لامحالة، حيث الحكم قيد موضوعه. وليس هذا نسخاً. فمثل قوله تعالى: الا الذين تابوا و اصلحوا وبينوا... لايصلح ناسخاً لقوله: ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى... (٤). لان الذى يبين غير الذى يكتم (٥) و هكذا كل استثناء او تخصيص ورد على حكم عام، فقد زعموهما نسخاً على خلاف المصطلح ـ فيما سيأتى.

و من هذا الباب ما اذا طرأ عنوان ثانوى يختلف حكمه عن العنوان الذاتى الاولى، كالاضطرار والحرج والتقية، تعرض شيئاً فتجعله جائزاً بعد ان كان بعنوانه الذاتى حراماً مثلا، كالخمر تحل اذا اضطر الى شربها، و هذا لايسمى نسخاً فى الاصطلاح، نظراً لان

١ـ سورة النساء : ١٤٠.
٢ـ سورة الانعام : ٦٩.
٣ـ راجع : قائمة المنسوخات برقم ٦٥ ص ٣٤٦.
٤ـ سورة البقرة : ١٥٩.
٥ـ راجع: ابن حزم ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٠.

الحكم الاول ثابت للخمر بعنوانها الذاتي ولايزال. و اما الحكم الثاني العارض فهو طارىء بعنوان الاضطرار، و يرتفع برفع الاضطرار، وهذا من قبيل تبدل الموضوع بالنسبة الى حالاته الطارئة التي يختلف الحكم الشرعي بحسبها. و عليه فقوله تعالى: فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه (١) ليس ناسخاً لقوله: انما حرم عليكم الميتة والدم (٢) الامر الذي اشتبه على كثير ممن كتب فيالنسخ (٣).

***

صنوف النسخ فيالقرآن

النسخ فيالقرآن يتصور على انواع، تعرض لها القدامى والمحدثون، وقدمر عليها اكثرية الباحثين مرور الكرام، في حين ان منها ماهو مرفوض على مسرح التحقيق، بعيد عن كرامة القرآن، كتابالله العزيز الحميد، كل البعد. و نحن نجرى على منوالهم فيذات التقسيم، مع تعقيب كل نوع بما تقتضيه اداة النقد والتمحيص النزيه بحوله تعالى:

١ــ نسخ الحكم والتلاوة معاً.

بأن تسقط منالقرآن آية كانت ذات حكم تشريعي، و كان المسلمون يتداولونها و يقرؤونها و يتعاطون حكمها، ثم نسخت وبطل حكمها و محيت من صفحة الوجود رأساً.

هذا النوع من النسخ مرفوض عندنا، و يتحاشاه الكتاب العزيز، الذي لايأتيه الباطل منبينيديه ولامنخلفه تنزيل منحكيمحميد(٤).

١و ٢ــ سورة البقرة : ١٧٣.

٣ــ راجع : قائمة المنسوخات برقم ٦ ص ٣١٩.

٤ــ سورة فصلت : ٤٢.

وقدحاول بعض القدامى من اهل‌الحديث (١)، و هكذا لفيف من‌المحدثين غير المحققين (٢) اثبات هذا النوع من النسخ فى القرآن، بحجة مجيئه فى‌حديث صحيح الأسناد الى عائشة، قالت: كان فيما انزل من‌القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرمن» ثم نسخن بخمس معلومات. قالت: و توفى رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله و هن فيما يقرأ من‌القرآن (٣).

قلت: هذا شيء غريب، كيف يلتزم به من لايرى التحريف فى القرآن! اذيرجع اثبات هذا النوع من النسخ الى القول بالتحريف، بان تكون آية ذات حكم تشريعى، و كانت تتلى حتى وفاة رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله ثم نسيت، وليس ذلك سوى اسقاط آية بعد وفاته صلى‌الله عليه‌وآله، الامر الذى تنكره جماعة المسلمين اطلاقاً.

والغريب ان الشيخ الزرقانى حاول اثباته باجماع القائلين بالنسخ من‌المسلمين بدليل وقوعه سمعاً (٤).

غير ان المحققين من‌العلماء ابطلوا هذا النوع من النسخ رأساً، و حاول بعضهم تأويل الحديث، بينما الاخرون ضربوا به عرض الجدار، لانه حديث واحد يرجع الى التلاعب بالقرآن الكريم.

قال الامام الزركشى: وقد تكلموا فى قولها: «وهن مما يقرأ» فان ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك. فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاة. والاظهر ان التلاوة نسخت ايضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاته صلى‌الله‌عليه‌وآله فتوفى و بعض الناس يقرؤها.

قال: وحكى القاضى ابوبكر فى «الانتصار» عن قوم انكار هذا

١ـ راجع الاتقان: جلال‌الدين السيوطى، ج ٣ ص ٦٣.

٢ـ راجع : مناهل العرفان عبدالعظيم الزرقانى، ج ٢ ص ٢١٤.

٣ـ راجع: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧. وسنن الترمذى ج ٣ ص ٤٥٦.

٤ـ المناهل ج٢ص ٢١٤.

القسم، لان الاخبار فيه أخبار آحاد، ولايجوز القطـع على انـزال قرآن و نسخه باخبار آحاد لاحجة فيها (١).

وجعل الواحدى من هذا النوع ـ ايضاً ـ ما روى عن ابى‌بكر، قال: كنا نقرأ «لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر» (٢).

***

قال الامام السرخسى : لايجوز هذاالنوع من‌النسخ فى‌القـرآن عندالمسلمين، و قال بعض الملحدين ممن يتستر باظهار الاسلام ـ وهو قاصد الى افساده ـ : هذا جائز بعد وفاته صلى‌الله عليه و آله ايضاً، و استدل فى ذلك بما روى ان ابابكر الصديق كان يقرأ «لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم». و انس كان يقول: قرأنا فى القرآن «بلغـوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا و ارضانا». و قال عمر: قرأنا آية الرجم فى كتاب‌الله و رعيناها. و قال ابى‌بن كعب: ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة او اطول منها !!

قال: والشافعى، لايظن به موافقة هؤلاء فى هذا القول، ولكنه استدل بما هوقريب من هذا فى‌عدد الرضعات، (٣) فانه صحح مايروى عن عائشة: و ان مما انزل فى القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن». فنسخن بخمس رضعات معلومات، و كان ذلك مما يتلى فى‌القرآن بعد وفاة رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله.

قال: والدليل على بطلان هذا القول قوله تعالى : «انا نحن نزلنا الذكروانا له لحافظون». و معلوم انه ليس المراد الحفظ لديه تعالى، فانه يتعالى من ان يوصف بالغفلة او النسيان، فعرفنا ان المراد الحفظ

١ـ البرهان ج ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠.

٢ـ المصدر ص ٣٩.

٣ـ وهكذا ابومحمد ابن حزم استدل بذلك، انظر : المحلى ج ١٠ ص ١٥.

لدينا ... و قد ثبت انه لاناسخ لهذا الشريعة بوحي ينزل بعد وفـاة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ولو جوزنا هذا فى بعض مـا اوحى اليه لوجب القول بتجويز ذلك في جميعه، فيؤدى ذلك الى القول بـان لايبقى شيء مما ثبت بالوحى بين الناس في‌حال بقاء التكليف. و أى قول أقبح من هذا!؟ و من فتح هذا الباب لم يأمن ان يكون بعض ما بأيدينا اليوم او كله مخالف لشريعة رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله بان نسخ‌الله ذلك بعده، و ألف بين قلوب الناس على أن ألهمهم ماهوخلاف شريعته. فلصيانة الدين الى آخر الدهر اخبر الله تعالى انه هو الحافظ لما انزله على رسوله. و به يتبين انه لايجوز نسخ شيء منه بعد وفـاته. و ما ينقل من اخبار الاحاد شاذ لايكاد يصح شيء منها.

قال: و حديث عائشة لايكاد يصح، لانه (اى الراوى) قال فى ذلك الحديث: و كانت الصحيفة تحت السريـر فاشتغلنا بـدفن رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله فدخل داجن البيت فأكله. و معلوم ان بهذا لاينعدم حفظه من‌القلوب، و لايتعذر عليهم اثباته فى صحيفة اخرى، فعرفنا انه لااصل لهذا الحديث (١).

قلت: في كلام هذا المحقق كفاية فـى ابطال هذا الزعم، و ان لاحجية في‌خبر واحد فى هذا الشأن، ولاسيما جانب مساسه بكـرامة القرآن، و استلزام التلاعب بآيه الكريمة بعد وفاته صلى‌الله عليه وآله الامر الذى تبطله‌آية الحفظ وضمانه تعالى في‌حفظ‌كتابه عن التحريف والزيادة والنقص. لانه كلامه المجيد يجب ان يبقى معجزة خـالدة لدين الاسلام الخالد مع الابدية.

قال الجزيرى ـ رداً على الزعم المذكور ـ : ان المسلمين قـد اجمعوا على ان القرآن هو ما تواتر نقله، فكيف يمكن الحكم بكون هذا قرآنا، فمن المشكل الواضح ما يذكره المحدثون من روايـات

١ـ اصول السرخسي ج ٢ ص ٧٨ ـ ٨٠.

الاحاد المشتملة على ان آية كذا كانت قرآناً و نسخت. على ان مثل هذه الروايات قدمهدت لاعداء الاسلام ادخال ما يوجب الشك فى كتاب الله، منالروايات الفاسدة ... فهذه و امثاله ـ اشارة الى حديث عائشة ـ منالروايات التى فيها الحكم على القرآن المتواتر باخبار الاحاد، فضلا عن كونه ضاراً بالدين، فيه تناقض ظاهر... (١).

وقال الاستاذ السايس : ماروواه مالك و غيره عن عائشة أنها قالت: كان فيما انزل الله منالقرآن عشر رضعات... الخ، حديث لايصح الاستدلال به، لاتفاق الجميع علىانهلايجوز نسختلاوة شىء منالقرآن بعد وفاته صلىالله عليهوآله وهذا هو الخطأ الصراح (٢).

وقال تلميذه الاستاذ العريض: و هذا هو الصواب الذى نعتقده، و ندين الله عليه، حتى نقفل الباب على الطاعنين فى كتاب الله تعالى، من الملاحدة والكافرين، الذين وجدوا من هذا الباب نقرة يلجون منها الى الطعن فىالقرآن الكريم، و حتى ننزه كتاب الله تعالى عن شبهة الحذف والزيادة باخبار الاحاد، فما لم يتواتر فى شأن القرآن اثباتاً و حذفاً لااعتداد به، ومن هذاالباب نسخالقرآن بالسنة الاحادية، بل حتى المتواترة عند بعضهم، و نرفض كل ماورد منالروايات فى هذا الباب، و ما اكثرها، كما ورد فى بعض الاقوال عن سورة الاحزاب و براءة و غيرها (٣).



٢ـ نسخ التلاوة دون الحكم.

بأن تسقط آية منالقرآن الحكيم، كانت تقرأ، و كانت ذات حكم

١ـ الفقه على المذاهب الاربعة ج ٣ ص ٢٥٧.

٢ـ فتح المنان، على حسن العريض، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

٣ـ المصدر ص ٢١٩.

تشريعي، ثم نسيت و محيت هي عن صفحة الوجود، لكن حكمها بقي مستمراً غير منسوخ.

و هذا النوع من النسخ ايضاً عندنا مرفوض على غرار النوع الاول بلافرق لأن القائل بذلك انما يتمسك بأخبار آحاد زعمها صحيحة الاسناد، متغفلا عن أن نسخ آية محكمة شيء لايمكن اثباته باخبار آحاد لاتفيد سوى الظن، و ان الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

هذا فضلا عن منافاته لمصلحة نزول نفس الاية او الايات، اذلوكانت المصلحة التي كانت تقتضي نزولها هي اشتمالها على حكم تشريعي ثابت، فلما ذا ترفع الاية وحدها، في حين اقتضاء المصلحة بقاءها لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور.

و من ثم فان القول بذلك استدعى تشنيع اعداء الاسلام و تعييرهم على المسلمين في كتابهم المجيد.

و اخيراً فان الالتزام بذلك ـ حسب منطوق تلك الروايات ـ التزام صريح بتحريف القرآن الكريم، و حاشاه من كتاب الهي خالد، مضمون بالحفظ مع الخلود.

و لذلك فان هذا القول باطل عندنا ـ معاشر الامامية ـ رأساً، لامبرر له اطلاقاً فضلا عن مساسه بقداسة القرآن المجيد.

قال سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ : اجمع المسلمون على ان النسخ لايثبت بخبر الواحد كما ان القرآن لايثبت به. وذلك لان الامور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس و انتشار الخبر عنها، لا تثبت بخبر الواحد، فان اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي او خطائه. و على هذا فكيف يثبت بخبر الواحد ان آية الرجم من القرآن و انها نسخت؟! نعم جاء عمر بآية الرجم و ادعى انها من القرآن، لكن المسلمين لم يقبلوا منه. لأن نقلها كان منحصراً به، فلم يثبتوها في المصاحف، لكن المتأخرين التزموا بانها كانت آية

منسوخة التلاوة باقية الحكم (١).

***

هذا.. ولكن جل علماء اهل السنة بما فيهم من فقهاء كبار و ائمة محققين، التزموا بهذا القول المستند الى لفيف من اخبار آحاد زعموها صحيحة الاسناد، وهذا ايثار لكرامة القرآن على حساب روايات لاحجية فيها في هذا المجال، و ان فرضت صحيحة الاسناد فى مصطلحهم، اذصحة السند انما تجدى في فروع مسائل فقهية، لااذا كانت تمس كرامة القرآن و تمهد السبيل لادخال الشكوك على كتاب المسلمين.

هذا الامام السرخسى ـ المحقق الاصولى الفقيه ـ بينما شدد النكير على القائل بالنسخ من النوع الاول، اذاهو يلتزم به فى هذا النوع، فى حين عدم فرق بينهما فيما ذكره من استدلال لبطلان الاول.

قال : و اما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فبيانه فيما قال علماؤنا : ان صوم كفارة اليمين ثلاثة ايام متتابعة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة ايام متتابعات». وقد كانت هذه قراءة مشهورة الى زمن ابى حنيفة، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر الذى يثبت بمثله القرآن، و ابن مسعود لا يشك فى عدالته و اتقانه، فلاوجه لذلك الا ان نقول: كان ذلك مما يتلى في القرآن ـ كما حفظه ابن مسعود ـ ثم انتسخت تلاوته فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بصرف القلوب عن حفظها الا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، فان خبر الواحد موجب للعمل به، وقراءته لاتكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق (٢).

١ـ البيان ص ٣٠٤.

٢ـ اصول السرخسى ج ٢ ص ٨١.

قلت : غير خفى سخافة هذا الاستدلال و بشاعة هذا التأويل!

***

و فيمايلي عرض لما اسهبه ابن حزم الاندلسى بهذاالشأن، و هو الامام المحقق صاحب مذهب و اختيار، و من ثم فان ذلك منه غريب جـداً.

قال : فاما قول من‌لايرى الرجم اصلا فقول مرغوب عنه، لانـه خلاف الثابت عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وقدكان نزل به قرآن، ولكنه نسخ لفظه و بقي حكمه ـ ثم يروى عن سفيان عن عاصم عن زر ـ قال: قال لى ابى بن كعب : كم‌تعدون سورة الاحزاب؟ قلت: اما ثلاثاً و سبعين آية او اربعاً و سبعين آية. قال: ان كانت لتقارن سورة البقرة اولهى اطول منها، و ان كان فيها لاية الرجم. قلت: ابا المنذر، و ما آية الرجم؟ قال: «اذازنى الشيخ والشيخة فـارجموهما البتة نكالا من‌الله والله عزيز حكيم».

قال : هذا اسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه.

ثم روى بطريق آخر عن منصور عن عاصم عن زر، و قال: فهذا سفيان الثورى و منصور شهدا على عاصم، وما كذبا، فهمـا الثقتان الامامان البدران، و ما كذب عاصم على زر، و لاكذب زر على ابى.

قال ابو محمد: ولكنها نسخ لفظها و بقى حكمها، و لولم ينسخ لفظها لاقـرأها ابى بن‌كعب زراً بلاشك، ولكنه اخبره بانها كانت‌تعدل سورة البقرة ولم يقل له: انها تعدل الان، فصح نسخ لفظها.

ثم يروى آية الرجم عن زيد و ابن الخطاب و يقول: اسناد جيد.

ويروى عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة، فكانتا فى صحيفة تحت سريرى، فلما مات رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها. قال: و هذا حديث صحيح. وليس هو على

ماظنوا، لان آية الرجم اذنزلت حفظت و عرفت و عمل بها رسول‌الله صلی‌الله علیه‌وآله الا انه لم یکتبها نساخ القرآن فی المصاحف، و لا اثبتوا لفظها فی‌القرآن، وقد سأله عمربن الخطاب ذلك فلم یجبه. فصح نسخ لفظها، و بقیت الصحیفة التی کتبت فیها کما قالت عائشة، فاکلها الداجن ولاحاجة باحد الیها (١).

قلت: و انی لاستغرب هذا التمحل الفاضح فی کلام مثل هذا الرجل المعروف بالتحقیق و دقة النظر والاختیار.

کیف یقول: لاحاجة الیها وهی سند حکم تشریعی ثابت! ثم کیف لایعلم بالایة احد من کتبة الوحی ولم یکتبوها سوی انها کتبت فی صحیفة و أودعت عند عائشة فحسب، و کیف انها ترکتها تحت سریرها لیأکلها داجن البیت؟! کل ذلك لغریب یستبعده العقل السلیم.

والذی غر هؤلاء: انها احادیث جاءت فی الصحاح الستة وغیرها (٢)، ولابدلهم ـ وهم متعبدون بماجاء فیها ـ ان یتقبلوها علی علاتها مهما خالفت اسالیب النقد والتحقیق.

هذا .. وقد اکثر جلال‌الدین السیوطی (٣) من نقل هکذا روایات ساقطة، و من قبله شیخه بدرالدین الزرکشی ولکن مع شیء من‌التردید (٤) و قد أخذها بعض الکاتبین المحدثین ادلة قاطعة من غیرتحقیق. قال ـ متشدقاً ـ : واذا ثبت وقوع هذین‌النوعین کماتری، ثبت‌جوازهما، لان‌الوقوع اعظم دلیل علی‌الجواز کما هومقرر. و اذن

١ـ المحلی ج ١١ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦.

٢ـ راجع : البخاری ج ٨ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠. و مسلم ج ٥ ص ١١٦ و ج٤ص ١٦٧ والمستدرك ج ٤ ص ٣٥٩. و مسند احمد ج١ ص ٢٣ و ج ٢ ص ٤٣ و سنن الترمذی ج ٤ ص ٣٩ و ج ٣ ص ٤٥٦.

٣ـ راجع : الاتقان ج ٣ ص ٧٢ ـ ٧٥. و راجع الدر المنثور ج ٤ ص ٣٦٦ تحت‌الایة ٥٢ من سورة الحج.

٤ـ راجع : البرهان ج ٢ ص ٣٥ ـ ٣٧.

بطل ما ذهب اليه المانعون له من ناحية الشرع كابى مسلم و من لف‌لفه، و يبطل كذلك ما ذهب اليه المانعون له من ناحية العقل، وهم فريق من المعتزلة شذ عن الجماعة، فزعم ان هـذين النوعين الاخيرين مستحيلان عقلا (١).

قلت : ما اشرف حكم العقل لولا ان امثال الزرقانى حصروه فى اصحاب الاعتزال، وجعلوا من انفسهم بمعزل عن نور العقل الحكيم.

و اما الاستاذ العريض فقد ذهب هنا مذهباً تحقيقياً و اسهب فى الرد على هذا القول الفاسد، دفاعاً عن كرامة القرآن. و نقل عن جماعة من معاصريه مواكبته على هذا الرأى السديد (٢).

***

٣ـ نسخ الحكم دون التلاوة.

بأن تبقى الاية ثابتة فى الكتاب يقرؤها المسلمون عبر العصور، سوى انها من ناحية مفادها التشريعى منسوخة، لايجوز العمل بها بعد مجىء الناسخ القاطع لحكمها.

هذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسرين، واتفق الجميع على جوازه امكاناً، و على تحققه بالفعل ايضاً، حيث توجد فى القرآن الحاضر آيات منسوخة و آيات ناسخة.

نعم كانت لهذا النوع من النسخ انحاء ثلاثة، وقع الكلام فى امكان بعضها، نعرضها فيمايلى :

(الاول) : ان ينسخ مفاد آية كريمة، بسنة قطعية او اجماع محقق، كآية الامتاع الى الحول بشأن المتوفى عنها زوجها (٣) فانها

١ـ راجع: الزرقانى ـ مناهل العرفان ج ٢ ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

٢ـ راجع : فتح المنان ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠.

٣ـ سورة البقرة : ٢٤٠.

ـ بظاهرها ـ لاتتنافى و آية العدد والمواريث، غير ان السنة القطعية و اجماع المسلمين أثبتا نسخها بآية العدد والمواريث، و سنعرضها بتفصيل.

واستشكل بعضهم نسخ القرآن بالسنة، نظـراً لان الاول قطعى، والثانية ظنية. والجواب: إن مفروض الكلام ما اذا كانت السنةمتواترة و قطعية الصدور ايضاً، ودعمها اجماع الامة فى جميع العصور، على ما سنبحث فى آيات منسوخة من هذا النمط.

(الثانى) : ان ينسخ مفاد آية بآية اخـرى، بحيث تكـون الثانية ناظرة الى مفاد الاولى ورافعة لحكمها بالتنصيص، و لولا ذلك لميكن موقع لنزول الثانية و كانت لغواً. و هذا كآية النجوى (١) اوجبت التصدق بين يدى مناجاة الرسول صلىالله عليه وآله، و نسختها آيـة الاشفاق: «ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقة...» (٢).

و هذا النحو منالنسخ لم يختلف فيه أحد.

(الثالث) : ان تنسخ آية باخرى من غير انتكون احداهما ناظرة الى الاخرى سوى انهم وجدوا التنافى بينالايتين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعياً، و من ثم أخذوا منالثانية المتأخرة نزولا ناسخة للاولى.

ويجب ان يكون التنافى بين الايتين كلياً ـ على وجه التباين الكلي ـ لاجزئياً و فى بعض الوجوه، لان الاخير اشبه بالتخصيص منه الى النسخ المصطلح، و قد تسامح بعض الباحثين، فأخذ من ظاهـر التنافى ـ ولو جزئياً ـ دليلا على النسخ، فقال بنسخ العام بالخاص و نسخ الاطلاق بالتقييد (٣) ولكن عمدة عذره هبوط مستواه العلمى

١ـ سورة المجادلة : ١٢.

٢ـ نفس السورة : ١٣.

٣ـ سيبدو ذلك عند ما نستعرض الايات المنسوخة.

فى مبادىء علم الاصول.

***

(ملحوظة) : يشترط فى هذا القسم الثالث، وجود نص صحيح و اثر قطعى صريح، يدعمه اجماع القدامى. اذمن الصعب جداً الوقوف على تاريخ نزول آية فى تقدمها و تأخرها، ولاعبرة بثبت آية قبل اخرى فيالمصحف، اذكثير منآيات ناسخة هى متقدمة فى ثبتها على المنسوخة، كما فى آية العدد بـرقم: ٢٣٤ من سورة البقـرة، و هى ناسخة لاية الامتاع الى الحول برقم : ٢٤٠ من نفس السورة، و هذا اجماع.

كما ان التنافى ـ على الوجه الكلى ـ لايمكن القطع به بين آيتين قرآنيتين سوى عن نص معصوم، لان للقرآن ظاهراً و باطنا و محكما و متشابهاً، وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة.

هذا.. وقد أخذ سيدناالاستاذ ـ دامظله ـ منهذا الاخير مستمسكاً لنكران هذا النحو ـ الثالث ـ منالنسخ، قـال : والتحقيق ان هذا القسم منالنسخ غير واقع فى القرآن، كيف و قد قال الله عزوجل : «أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (١).

لكن سنبين : ان لاتنافى بين الناسخ والمنسوخ فى متن الواقع، و انما هو تناف ظاهرى، اذ الحكم المنسوخ هو فى الحقيقة حكـم محدود فى علم الله من اول تشريعه، غير ان ظاهره الدوام. و من ثم كان التنافى بينه و بين الناسخ المتأخر شكلياً محضاً. و سيبدو ذلك بتوضيح اكثر عند الجواب عن الشبهة الثالثة الاتية.

١ـ راجع : البيان ص ٣٠٦ ط ٢.

شبهات حول النسخ فيالقرآن

وقبل ان ننتقل الى عرض آيات وقـع فيها النسخ اوقيل فيهـا بالنسخ، يجب ان نتعرض الى شبهات اوردها ناكروا النسخ، فزعموا عدم امكان النسخ في شريعة الله، وبالتالي عدموقوعه فيالقرآن، وهي شبهات متنوعة و مختلفة المستوى، غير انا نذكر ـ هنا ـ منها الاهم:

(الاولى): ان النسخ في التشريع كالبداء فيالتكوين مستحيل بشأنه تعالى، لانهما عبارة عن نشأة رأى جديد، و عثور على مصلحـة كانت خافية في بدء الامر. والحال ان علمه تعالى ازلي، لايتبدل لـه رأي ولا يتجدد له علم. فلا يعقل وقوفه تعالى على خطاء في تشريع قديم لينسخه بتشريع جديد.

(الجواب) : ان النسخ كالبداء ليس على معناه الحقيقي، الذى هو عبارة عن نشأة رأي جديد و انما هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم، لمصلحة في هذا الاخفاء في بدء الامر، حسبما تقدم تحقيقه.

فالشارع تعالى يشرع حكما يكون بظاهره الدوام والاستمرار، حسبما الفه الناس مندوام الاحكام المطلقة، لكنه في الواقع كان من الاول محدوداً بأمد معلوم لديه تعالى، ولم يظهره للناس الابعد انتهاء الامد المذكور. لمصلحة في ذلك الاخفاء و في هذا الاظهار المتأخر.

ولعل معترضاً يقول: لما ذاكان تحديد فيالاحكام، فاذا كانت في اصل تشريع الحكم مصلحة فلتقتض الدوام، و ان لم تكن مصلحة فلا مقتضى لاصل التشريع.

قلنا: أن المصالح تختلف حسب الظروف والاحوال. كوصفـات طبيب حاذق تختلف حسب اعتوار احوال المـريض و اختلاف بيئته والمحيط الذى يعيش فيه، فرب مصلحة تستدعى تشريعاً متناسباً مع بيئة خاصة و في مستوى خاص، فـاذا تغيرت الواقعية فـان المصلحة

تستدعی تبدیل تشریع سابق الی تشریع لاحق یلتئم مع هذا الاخیر.

اما لماذا لم ینبه الشارع تعالی علی هذا التحدید من اول الامر؟ فلعل هناك مصلحة مستدعیة لهذا الاخفاء، منها توطین نفوس مؤمنة و ترویضها علی الطاعة والانقیاد، ولا سیما اذا کان التشریع الاول اشد و اصعب، فیتبدل الی تشریع اسهل و اخف، تسهیلا علی الامة و تخفیفا علیهم رحمة من الله.

(الشبهة الثانیة) : ان وجود آیة منسوخة فیالقرآن ربما یسبب اشتباه المکلفین، فیظنونها آیة محکمة یعملون بها او یلتزمون بمفادها، الامر الذی یکون اغراء الجهل، و هو قبیح.

(الجواب) : ان مضاعفات جهل کل انسان تعود الی نفسه، ولم یکن الجهل یوماً ما عذراً مقبولا لدی العقلاء. فـاذا کانت المصلحة تستدعی نسخ تشریع سابق بتشریع لاحق، فعلی المکلفین ان یتنبهوا هم علی هذاالاحتمال فیالتشریع، ولاسیما اذا کان التشریع فی بدء حرکة اصلاحیة آخذة فی التدرج نحو الکمال.

و هکذا کان فیالقرآن ناسخ و منسوخ، و عام و خاص، واطلاق و تقیید، و محکم و متشابه، ولیس لاحد التسرع الی الاخذ بآیة حتی یعرف نوعیتها، کما ورد التنبیه علی ذلك فی احادیث مستفیضة عـن أئمة الدین، قال علی علیهالسلام لقاض مر عـلیه: هل تعـرف الناسخ منالمنسوخ؟ فقال القاضی: لا. فقال امیرالمؤمنین علیهالسلام: اذن هلکت و اهلکت (۱).

(الشبهة الثالثة) : ان الالتزام بوجـود آیـات ناسخة و آیـات منسوخة فی القرآن یستدعی وجود تناف بین آیاته الکـریمة، الامر الذی یناقضه قوله تعالی : «افلا یتدبرون القرآن ولو کان من عند

۱ــ الاتقان ج ۲ ص ۲۰ والمناهل ج ۲ ص ۷۰ والبحار ج ۹۲ ص ۹۵.

غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (١) و بهـذا الاستدلال تمسك سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ فى نكران وجود هكذا نسخ فى القرآن الكريم (٢).

(الجواب) : ان الاختلاف الذى تنفيه الاية الكريمة، هو ما اذا كان حقيقياً فى ظرف الواقع. اما اذا كان شكليا و فـى ظاهر الامر ـ كما بين الناسخ والمنسوخ ـ فلا تناقضه الاية اطلاقاً.

مثلا يشترط فى الاختلاف الحقيقى (التناقض) امور ثمانية (٣) منها وحدة الزمان و وحدة الملاك والشرط، و اذا تخلف احدها فلا تنافى ولا اختلاف، كما فى الناسخ، ظرفه متأخر، و ملاكـه مصلحة اخرى، تبدلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ.

اذن فالتنافى بين الناسخ والمنسوخ بدوى ظاهـرى، اما بعـد التعمق و ملاحظة فترتى نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الاولى ثم الثانية، فان هذا التنافى والاختلاف يرتفع نهائياً.

(الشبهة الرابعة) : مـاهى الفائـدة المتوخـاة وراء ثبت آيـة فى المصحف، هى منسوخة الحكم، لتبقى مجرد ألفاظ يلوكها القراء عبر القرون ؟ ؟

(الجواب) : اولا ـ لاتنحصر فائدة آية قرآنية فى الحكم التشريعى فحسب، بل التشريع هدف واحد من أهداف كثيرة و متنوعـة نزل لاجلها القرآن الكريم.

و دليلا على ذلك ان آيات الاحكام لا تتجاوز الخمسمأة آيـة، بينما القرآن تربو آياته على ستة آلاف آية، نزلت فى شؤون شتى، تجمعها هداية عامة و معجزة خالدة تحدى بها القرآن عبر العصور.

---

١ ـ سورة النساء : ٨٢.

٢ ـ راجع : البيان ص ٣٠٦.

٣ ـ راجع : المنطق للعلامة المظفر ج ٢ ص ٤٢.

وثانياً ـ كثير من آيات قرآنية نزلت لمناسبات خاصة و شؤون ترتبط واحداثاً وقتية لاتعم الاجيال والاعصار، ولااثر لها ـ فيما عدا الاعجاز والتحدى العام ـ سوى الدلالة على مراحل اجتازتها الدعوة الاسلامية، والاحداث التى مرت عليها، و هى من اكبر الفوائد الباقية كنصوص تاريخية ثابتة تعين لنا مراحل اجتازهاسير الزمن فى الغابر لتكون عبرة للحاضر والاتى.

واخيرا ـ فالدلالة على مراحل التشريع الاسلامى من مرحلة الى مرحلة حسب استعداد الامة من ضعف الى قوة، و من وهن الى شوكة، لمن اكبر الفائدة المترتبة على هذه الايات كما لايخفى.

وهناك شبهات اخرى هىاشبه بسفاسفالكلام، لاطائل فىالتعرض لها وهى اوهن من نسج العنكبوت.

عرض

آيات منسوخة

كان البحث لحد الان متجها الى امكان وقوع النسخ في القرآن، و دفع شبهات اوردها الناكرون. والان جاء دور عرض آيات ثبت نسخها دليلا على الامكان بالوقوع، و قد عالج الناكرون هذه الايات معالجات بعيدة نناقشهم عليها في العرض التالي:

١ـ آية النجوى:

«يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة، ذلك خير لكم و اطهر، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم» (المجادلة : ١٢).

كان المسلمون يكثرون السؤال عن مسائل غير ذوات شأن، شاغلين اوقاته الكريمة ـ صلى الله عليه وآله ـ على غير طائل. فنزلت الاية بفرض صدقة درهم واحد عند كل مسألة، فرضاً على الاغنياء دون الفقراء. فاشفق اكثرية الصحابة عن المسألة، ضناً بالمال.

قال المفسرون : لم يعمل بهذه الفريضة سوى اميرالمؤمنين عليه السلام كان له دينار فباعه بعشرة دراهم وجعل يتصدق بها واحدة واحدة ازاء كل مسألة حتى جاء الناسخ:

«ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات. فاذلم تفعلوا

و تاب الله عليكم فاقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اطيعوا الله و رسوله والله خبير بما تعملون».

(المجادلة : ١٣)

والنسخ هنا من القسم الناظر، و من ثم لم يناقش فيه أحد.

***

٣ـ آية عدد المقاتلين

«يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون» (الانفال : ٦٥).

كانت قوة الايمان بالله والثقة به تستوجب مقابلة كل مؤمن بعشرة من الكفار، و نزلت الاية بذلك، و فرضت الجهاد فيما اذا بلغ المسلمون عشر عدد المقاتلين الكفار. لكن المسلمين ابدوا آنذاك ضعفاً فخفف الله عنهم، و فرض الجهاد فيما اذا بلغوا نصف الكفار المقاتلين.

والناسخ هو قوله تعالى: «الان خفف الله عنكم و علم ان فيكم ضعفاً، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مأتين و ان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله» (الانفال : ٦٦).

قال الامام الصادق عليه‌السلام: «نسخ الرجلان العشرة» (١).

والنسخ هنا ـ ايضاً ـ من القسم الناظر.

(ملحوظة) : قد يستغرب البعض وقوع الناسخ عقيب المنسوخ مباشرة. لكن سبق ان ثبت الايات الموضعى لا يصلح دليلا على ترتيب النزول، فان الايات سجلت أحياناً على غير ترتيب نزولها، و ربما تأخر

١ـ راجع : الفيض ـ الصافى ـ ج ١ ص ٦٧٦.

نزول آية عن اخرى بفترة طويلة او قصيرة، ولكنها سجلت اثــرهــا مباشرة، و تقدم البحث عن ذلك في الجزء الاول (١) فراجع.

هذا.. و قدانكر سيدنا الاستاذ ــ دامظله ــ وقوع نسخ بينالايتين اطلاقاً، قال: فان القول بالنسخ يتوقف على اثبات الفصل بين الايتين نزولا، و اثبات ان الثانية نزلت بعد العمل بالاولى، لئلا يلزم النسخقبل حضــور وقت الحاجــة، والا كان التشريع الاول لغواً. قال: اضف الى ذلك ان سياق الايتين اصدق شاهد على انهما نزلتا مرة واحدة.

و نتيجة ذلك ان الحكم فيالاية الاولى استحبابى ... (٢).

لكنه ــ دام ظله ــ لم يذكر سند استظهاره الاخير، و كيف ان السياق يدل على اتصال نزولهما معاً من غير فصل زمنى؟

و من ثم فان العكس هو الظاهر من السياق، فــان قولــه تعالى: «الان خفف الله عنكم و علم ان فيكم ضعفاً» يدل بوضوح على تــأخر نزول الثانية عن الاولى بفترة، ربما غير قصيرة، مرت خلالها تجربة عنيفة على المسلمين، ظهر منها ضعفهم و تثاقلهم عن التكليف الاول. فان لفظة «الان» تدل دلالة واضحة على تلك الفترة، ولولاها لميكن موقع لهذه اللفظة اصلا. و هكذا التعبير بالتخفيف يدل على تكاليف سابق شاق، الامر الذى يتناسب مع كونه الزامياً لا الاستحباب. وأخيراً فان قوله «علم ان فيكم ضعفاً» ايضاً خير شاهد على ذلك، اذالمعنى: ظهر ان فيكم ضعفاً، مما يتناسب مع وقوع تجربة تبدى خلالها ضعف المسلمين و وهنهم عن مقاتلة اضعافهم بعشرات.



١ــ صفحة : ٢١٤ ــ ٢١٧.

٢ــ البيان ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦.

٣ـ آية الامتاع :

«والذين يتوفون منكم و يذرون ازواجاً، وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج، فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم» (البقرة : ٢٤٠).

كانت عدة المتوفى عنها زوجها ـ في الجاهلية ـ سنة كاملة، و كان اذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئاً ـ بعرة او ما شاكلها ـ فتقول : البعل (تريد المتجدد) أهون على من هذه. فلا تكتحل ولا تتمشط ولاتتطيب ولاتتزوج الى سنة، و كان ورثة الميت لايخرجونها من بيتها، و كانوا يجرون عليها من تركة زوجها طول تلك السنة، فكان ذلك هو ارثها من مال زوجها المتوفى (١).

و هذه الاية نزلت تقرر جانبا من هذه العادة الى ان نسخت بآية المواريث وآية العدد.

قال السيد عبدالله شبر ـ رحمه الله ـ : هذه الاية منسوخة بالاجماع (٢).

وفي الحديث عن اميرالمؤمنين عليه السلام (٣) و عن الامامين الصادقين عليهما السلام (٤) في روايات متظافرة: هي منسوخة، نسختها آية «يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشراً (٥)». و نسختها آية المواريث (٦).

١ـ رسالة اصناف القرآن ـ للنعمانى ـ بنقل العلامة المجلسى في البحار ج ٩٣ ص ٦.

٢ـ تفسيره المختصر ص ٧٦ ط م.

٣ـ رسالة النعمانى ـ البحار ج ٩٣ ص ٦.

٤ـ تفسير الصافي ج ١ ص ٢٠٤.

٥ـ البقرة : ٢٣٤.

٦ـ النساء : ١٢.

وربما تبلغ مجموع روايات العامة والخاصة بهذا الصدد مبلغ التواتر راجع وسائل الشيعة ـ كتاب الطلاق ـ ابواب العدد ـ الباب ٣٠ ـ ج ١٥ ص ٤٥١ والدرالمنثور ج ١ ص ٣٠٩.

والعمدة : اجماع علماء الامة و اتفاق كلمة المفسرين، لم يشذ منهم احد.

واقوى دليل على تحقق هذا الاجماع : ان احداً من فقهاء الامة سلفاً و خلفاً لم يأخذ بمفاد الاية الاولى و لم يفت بمضمونها لافرضاً ولاندباً. الامر الذى يدل دلالة واضحة على اتفاقهم على أن الاية منسوخة كلمة واحدة.

ولم يتعرض سيدنا الاستاذ لهذه الاية فى «البيان» ضمن ماناقشه من آيات انكر نسخها، فعرضتها عليه و تحدثت اليه بشأنها بالمشافهة، و كان بعض الافاضل المعاصرين ايضاً حضور المجلس، فكان جوابه ـ دامظله ـ : انها محكمة ايضاً غير منسوخة، اذ لايوجد فى آية العدد والمواريث نظر الى هذه الاية، و هو ـ دام ظله ـ ينكر النسخ فيما سوى هذا النوع الناظر ـ على ما سبق ـ بحجة امتناع وقوع التنافى بين آيتين قرآنيتين.

واضاف ـ دامظله ـ ان الروايات الواردة بشأن النسخ هنا كلها ضعيفة الاسناد او مقطوعة لا حجية فيها (١).

عرضت عليه : فما يقول سماحته فى اتفاق كلمة الفقهاء جميعاً على عدم الاخذ بمفاد آية قرآنية لوكانت محكمة؟

قال : لاعبرة بهذا الاجماع، لاسيما و معقده قضية عدمية المفاد.

قلت : و لم لم يأخذ سماحتكم بمفادها لحد الان. ولم نجد فى رسائلكم العملية فتوى باستحباب الامتاع المذكور ؟ فوعد ـ دام ظله ـ

١ـ اذا كانت الرواية مستفيضة ودعمها عمل الفقهاء واطباقهم و لاسيما القدامى، فانها تصبح حجة شرعية، فضلا عن موافقتها مع نص الكتاب.

انه سوف يفتي بذلك و يسجلها فيما يكتبه من رسائل جديدة او يتجدد طبعها.

وقد انقضى من ذلك الوقت اكثر من عشرين عاماً ولم يتحقق الوعد.

٤ـ آية جزاء الفحشاء:

«واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم. فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل‌الله لهن سبيلا».

«واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا و اصلحا فاعرضوا عنهما، ان‌الله كان تواباً رحيماً» (النساء: ١٥ ـ ١٦).

كانت المرأة اذا فجرت و قامت عليها الشهود، حبست في بيت و هوجرت الامن يأتي اليها بطعام وشراب حتى تموت. (١)

و كان الرجل اذا فجر اوذي بالتعيير والسباب والكلام القبيح حتى يتوب. (٢)

قال الامام الصادق عليه‌السلام: هي منسوخة. والسبيل هي‌الحدود الجلد والرجم.

والاحاديث بهذا المضمون متظافرة، متفق عليها عند المفسرين. و هذا مما لاشك فيه و لاسيما بعد ملاحظة ان التشريع الاسلامي القائم بشأن الزناة هو الجلد او الرجم، باجماع من‌الفقهاء، قديماً و حديثاً. اما ما ذكرته الاية الكريمة فلم يفت به أحد من الفقهاء اطلاقاً، و هو دليل على اجماعهم على النسخ.

١ـ في حديث الامام الصادق ـ عليه‌السلام ـ برواية العياشي ـ ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ والصافي ج ١ص ٣٣٩.

٢ـ الدر المنثور ج ٢ ص ١٣٠. الصافي ج ١ ص ٣٣٩.

والفاحشة هي الزنا باجماع المفسرين، و باتفاق الروايات المفسرة للاية. (١)

نعم شذ ابو مسلم بقوله: المراد بالفاحشة في الاية الاولى هي المساحقة، وفي الاية الثانية هي اللواطة.

قال الطبرسي : «و هذا القول (يعني مذهب ابي مسلم) مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون، فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا» (٢).

وقال الجصاص : «ان الامة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين» (٣).

***

و ذهب سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ الى احكام الايتين، و فسر الفاحشة هنا وفق مذهب ابي مسلم، بدليل تثنية الموصول في الاية الثانية، فتكون هي بدورها قرينة على ارادة المساحقة في الاية الاولى ايضاً.

قال: اما الاجراء المتخذ في الاية بشأن الفاجر والفاجرة فليس حداً لهما، بل هو من قبيل دفع المنكر، الثابت وجوبه في جميع الامور المهمة، بل في مطلق المنكرات الشرعية، اذن لا تنافي بين الايتين و بين آيات الرجم والجلد. (٤).

لكن التأمل في الايتين و ملاحظة ملابساتهما يرجح جانب المشهور.

١و ٢ـ مجمع البيان، للطبرسي ـ ج ٣ ص ٢٠.

٣ـ احكام القرآن ـ ج ٢ ص ١٠٧.

٤ـ البيان ـ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢.

اولا ـ لامستند للجزم بنزول الثانية بعد الاولى، فلعلها نـزلت قبلها ـ كماقيلـ كانت عقوبة الزانى فـىبدء الاسلام هـى الاذى والتعيير، فنسخت بتشريع الحبس والتضييق عليه، و اخيراً جـاءت شريعة الجلد والرجم ناسخة للجميع و استمرت (١).

وثانياً ـ اذا كانت الايتان نزلتا معاًفماهو السبب فيجمع الموصول فيالاولى و تثنيته فى الثانية؟ ليستدعى ذلك تكلف اخذ الثانية قرينة على الاولى فى ارادة التثنية ايضاً؟!

وثالثاً ـ ان لهجة الايتين تنادى ـ بوضوح ـ انها لهجة تشريع صارم خاص بشأن فاجر قطعاً لفجوره، نظير آية القطع والجلد، الامر الذى لايتناسب وكونها من آيات عامة فى دفع المنكرات.

و اخيراً ـ فاما اننأخذ بظاهر الاية المعهود وفقالتفسير المأثور، ونلتزم بنسخها. اونكف عن تفسيرها اطلاقاً، لعدم موجب لحملها على ارادة خصوص اللواطة والمساحقة، فاما ان نحملها على مطلق الفحشاء الجنسى والافلا دليل على الخصوص.

و على اية حال فحمل الايتين على ارادة دفع مطلق المنكرات مخالف لظاهر سياقها فضلا عن الخروج عن اتفاق المفسرين والاثار الواردة.

كما ان قوله تعالى: «اويجعل الله لهن سبيلا» اخيراً اكبر شاهد على ان التشريع الوارد فى الاية تشريع موقت سوف ينسخ بتشريع آخر، و هذا مما يتنافى و ارادة دفع مطلق المنكرات الثابت تشريعه مع الابد.

***

(ملحوظتان).

الاولى ـ قد يزعم البعض ان التشريع اذا كان محدداً منالبدء،

١ـ راجع: مجمعالبيان ج ٣ ص ٢١. و شبر ص ١١٠.

فمجيء البيان لايسمى نسخاً في المصطلح. و عليه فالاية غيرمنسوخة اصطلاحاً حيث جاءت فيها الاشارة الى حكم جديد يأتي.

قال العلامة الطبرسي : ليس الامر في الاية كذلك، اذ التحديد هو ما اذا كان صريحاً بحيث ينتهي الحكم بنفس الامد المضروب فيه من الاول، اما في مثل الاية التي جاءت فيها الاشارة الى مجيء ناسخ، فان الحكم فيها كان يبقى بطبعه، حتى يجيء ناسخ جديد، فاحتياج الاية الى بيان آخر جديد، اردفها مع المنسوخات لامحالة (١).

اذن فالفرق بين المنسوخ والمحدود، ان الثاني ماكان ينتهي بنفس التحديد الذي كان فيه، من غير حاجة الى بيان جديد، اما اذا كان محتاجاً الى ذلك، بحيث يبقى معالابد مالم يأت البيان فهو من المنسوخ لامحالة.

(الثانية) ـ قال سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ : لايصح تفسير «السبيل» في الاية الكريمة بالجلد والرجم، نظراً لمكان اللام المفيدة للنفع «او يجعل الله لهن سبيلا» اى مخرجاً من هذا الضيق والتشديد، قال: و هل ترضى المرأة العاقلة الممسكة في البيت مرفهة الحال، ان ترجم او تجلد، و كيف يكون الجلد اوالرجم سبيلا لها؟ و اذا كان ذلك سبيلا لها فماهو السبيل عليها ؟! (٢).

لكن لادليل على ان اللام ـ مطلقاً ـ مفيدة للنفع ، لان وضع اللام انما هو الاختصاص على انحائه المعروفة، و ربما تفيد النفع وقد لاتفيده، كما في قوله تعالى «ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» ـ آل‌عمران : ١٧٣ ـ وقوله : «ولهم عذاب عظيم» ـ آل‌عمران : ١٧٦ ـ و قوله : «بل هو شرلهم» ـ آل‌عمران : ١٨٠ ـ وقوله: «وقيل بعداً للقوم الظالمين» ـ سورة هود : ٤٤ ـ و غيرها من آيات وشواهد

١ـ راجع: مجمع البيان ج ٣ ص ٢١.

٢ـ البيان ص ٣٣٠.

اخرى و هى كثيرة جداً.

و قد ثبت فىالاصول ان اللام ـ وكذا غيرها من ادوات ـ اداة ربط و انما تختلف انحاء الربط حسب اختلاف المقامات، فمعنى الاية: حتى يأتى بشأنهن بيان آخر، وليست الاية فى مقام نفع او ضرر كى يستفاد منها ذلك.

و ايضاً فان الاية ليست بصدد امتنان كىيستفاد من «السبيل» الترفيه او ماشاكل لتكون تلميحاً الى طريقة تخليصها منالعذاب. اذ ذلك يتنافى و مقام تشريع قانون العقوبات، الذى يتناسب مع لهجة التشديد الصارمة.

اذن ليست الاية سوى تلميح الى تشريع آخر بشأنها يكون من سنخ العقوبات كماجاء فىالاثار، و اتفق عليها المفسرون.

***

٥ـ آية التوارث بالايمان:

«ان الذين آمنوا و هاجروا وجاهدوا بأموالهم و انفسهم فى سبيلالله، والذين آووا و نصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ـ الانفال: ـ ٧٢ ».

كان المسلمون الاوائل يتوارثون بالمؤاخاة فى الدين،دون التقارب النسبى. فكان اذا مات المؤمن ورثهاخوه فىالايمانوالهجرة دون اخيه فى النسب والرضاع، حتى نسخ ذلك بآية اولى الارحام. هذا مما اتفق عليه المفسرون:

قال ابوجعفر الباقر عليهالسلام : كان المسلمون يتوارثون بالمؤاخاة الاولى (١).

١ـ مجمع البيان ج ٤ ص ٥٦١.

وقال علی بن ابراهیم : کان اذا مات الرجل ورثه اخوه فیالدین دون ورثته، فان الحکم کان فـی اول النبوة التـوارث بالاخـوة لاالولادة (١).

وقال ابن عباس: جعلالله المیراث للمهاجرین والانصار دون الارحام (٢).

وقال السید عبدالله شبر: کان المهاجـرون والانصار یتوارثون بالهجرة والایمان دون القرابة والرحم (٣).

وقال السید الطباطبائی: کان التوارث فی صدر الاسلام بالهجرة والموالاة فی الدین (٤).

و قالالسیوری:کانوا یتوارثونبالاسلام والهجرة لابالقرابة(٥).

ثم لما وقعت الهجرة کانت المهاجرة شرطاً فیالتوارث زیادة علی شرط الایمان.

قال تعالی ـ تعقیباً علی الایة الاولی ـ : «والذین آمنوا و لم یهاجروا مالکم من ولایتهم من شیء حتی یهاجروا. و ان استنصروکم فیالدین فعلیکم النصر ـ ٧٣».

وبعد واقعة بدر الاولی نزلت: «و اولوا الارحام بعضهم اولی ببعض فی کتابالله منالمؤمنین والمهاجرین ـ الاحزاب : ٦» فنسخت التوارث بالایمان والهجرة، الی التوارث بالقرابة والرحم (٦).

***

١ـ الصافی ج ١ ص ٦٧٨ و راجع : تفسیر القمی ج ١ ص ٢٨٠.

٢ـ الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٦.

٣ـ راجع: التفسیر ص ١٩٨ و ص ٣٩٧ ط مصر.

٤ـ المیزان ج ١٦ ص ٢٩٢.

٥ـ کنزالعرفان ـ الفاضل المقداد ـ ج ٢ ص ٣٢٤.

٦ـ راجع: رسالة النعمانی ـ البحار ج ٩٣ ص ٨ و غیرها منالتفاسیر.

قديقول البعض: لادليل فى لفظ الاية على ارادة التوارث، و لعلها تعنى النصرة والمعاونة الودية ـ كما يراه الاصم (١) ـ ولاسيما اذا ضعفنا روايات التفسير بالتوارث.

قلنا : ـ اولا ـ هذا اجماع من المفسرين ، سواء القـدامى منهم والمحدثون. ولم نر من خالف هذا الاجماع فيما عرفنا من تفسير. وهم يطلقون كلامهم فى ذلك كاصل مسلم لاموضع للشك اوالترديد فيه.

و ثانياً ـ أن الاية المتعقبة للاية الاولى ـ ٧٣ ـ تنفى الولاية لمن لم يهاجر و تثبت النصرة لهم، فلابد ان الولاية شيء غير النصرة او التعاون الدينى.

وثالثاً ـ ان الاية الاخيرة الناسخة ـ الاحزاب : ٦ ـ تثبت الولاية للارحام وتنفيها عن المؤمنين المهاجرين.

و عمدة ما جعلتنا نعترف بالنسخ هنا هى هذه القرينة الاخيرة فى الاية الناسخة فانها ناظرة الى حكم سابق كان للمؤمنين المهاجرين و قد ارتفع بهذه الاية، والا لم يستقم لها مفهوم صحيح. فالاية الاولى ـ بضم التفسير الوارد بشأنها ـ توضح ذلك الحكم المنظور اليه فى الاية الاخيرة.

٦ـ آيات الصفح :

«قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون ايام الله ـ الجاثية: ١٤».

«ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً. حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق. فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ـ البقرة : ١٠٩».

الاية الاولى أمر بالصفح عن المشركين، اذ كان المؤمنون بمكة

١ـ راجع: مجمع البيان ج ٤ ص ٥٦١.

في ضعف شديد، والاية الثانية أمر بالصفح عن اهل الكتاب في بدء الهجرة حيث لم تلتئم بعد عرى شوكة المسلمين.

فنسخت الاولى بالاذن في القتال اولا: «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير ـ الحج : ٣٩» ثم التحريض عليه: «يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ـ الانفال : ٦٥» و اخيراً باستئصال المشركين عامة : «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ التوبة : ٥».

وكذا نسخت الثانية بمنابذة اهل الكتاب «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ـ التوبة : ٢٩».

***

وقال سيدنا الاستاذ ـ دام ظله ـ : «هاتان الايتان (الجاثية : ١٤) و (البقرة : ١٠٩) محكمتان، غير منسوختين: اما الاولى فان مفادها ادب اخلاقي و سلوك عاطفي مع الخصوم، و هو حكم تهذيبي لايزال (١) و اما الثانية فهي بمعزل عن النسخ المصطلح، حيث فيها تلميح بالتوقيت. ولان اهل الكتاب لايجوز مقاتلتهم لمجرد انهم اهل كتاب، الامع ضم موجب آخر من اقدام منهم على حرب المسلمين او القاء فتنة بينهم او امتناعهم عن دفع الجزية (٢).

ولكن هل الاغضاء عن اعتداء معتد غشوم ادب و خلق كريم ؟!. او هل كان سكوت المؤمن أمام تجاوز الكافر الملحد صفحاً مجيداً؟ انما هذا و ذاك ضعف و وهن و جبن، الامر الذي يتنافى و عزة الايمان، ولا سيما و كان المصفوح عنهم في الاية: «من لايرجون أيام الله». فكيف يكون الصفح عن مثل هؤلاء الظالمين ادباً و خلقاً اسلامياً

١ـ البيان ص ٣٨٦.
٢ـ البيان ص ٣٠٨.

نبيلا! نعم كان سكوت الضعيف امام القوى والغض عن تعدياته الغاشمة ــ اضطراراً ــ حفظاً على نفسه و على اخوانه المؤمنين عن الابــادة والهلاك، الامر الذى يتناسب مع الايام التى كان المسلمون فى مكة ضعفاء لايستطيعون المقاومة تجاه المشركين، و كذلك فى بدءهجرتهم الى المدينة، اما و بعد قوتهم و ازدياد شوكتهم فقد جاء الامر بمعاملة المعتدين مثلا بمثل : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» (البقرة : ١٩٤) و فى ذلك تتمثل شوكة المسلمين و عزة جانبهم.

و اما قضية الاشارة الى التوقيت فلاتنافــى النسخ بعدان كــان الحكــم بطبعــه صالحاً للبقاء والاستمرار مالم يأت بيان جديد. و هذا هو النسخ بعينه كما قدمنا فى الملحوظة الاولى فى ذيل الايةالمنسوخة رقم : ٤ (١).

و الامر بشأن اهل الكتاب أوضح، فقد أمر المسلمون فى بادى الامر بالصفح عنهم رأساً ــ البقرة : ١٠٩ ــ و هذا الحكم ارتفع بعــد ذلك نهائياً بفرض مقاتلتهم حتى يعطوا الجزية عنيد وهم صاغرون ــ التوبة : ٢٩ ــ .

٧ــ آيات المعاهدة :

هناك آيــات تقرر المعاهدات التى كانت بين رسول اللهصلى الله عليه وآله و طوائف المشركين من قريش و غيرهم نسختها سورة براءة فى العام التاسع الهجرى:

فمن الايات التى تقرر المعاهدة قوله تعالى: «فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم ولياً ولانصيراً. الا الذين يصلون

١ــ راجع : صفحة ٣٠٧.

الی قوم بینکم و بینهم میثاق ـ النساء : ٩٠».
ومنها قوله: «و ان کان من قوم بینکم و بینهم میثاق فدیة مسلمة الی اهله و تحریر رقبة مؤمنة ـ النساء : ٩٢» ـ : و ذلك ان من قتل مؤمناً خطأً من قوم لهم عهد، کان یجب دفـع دیته الی اهله الکفار بموجب العهد.
ومنها قوله : «و ان استنصروکم فی الدین فعلیکم النصر الاعلی قوم بینکم و بینهم میثاق ـ الانفال : ٧٢».
ومنهاقوله: «وآتوهم ماانفقوا ... ولیسألوا ما انفقوا ـ الممتحنة: ١١».

لما صالح رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله بالحدیبیة مشرکی قریش علی أن من‌اتاه من اهل مکة رده علیهم، و من اتی مکة من اصحابه فهو لهم لایردونه ـ جاءت سبیعة الاسلمیة مهاجرة لائـذة بالنبی صلی‌الله علیه‌وآله فأقبل زوجها یطلبها و هو مشرك، فقال: یا محمد اردد علی زوجتی و هذه طینة الکتاب لم‌تجف، فنزلت الایة «یا ایها الذین آمنوا اذا جاءکم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بایمانهن فـان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الی الکفار. لاهن حل لهم، ولاهـم یحلون لهن. وآتوهم ـ ای ولکن اعطوا ازواجهن ـ ما انفقوا ـ من مهور و أصداق ـ الممتحنة ـ ١١» قال الزهری : لولا الهدنة لم یرد الی المشرکین صداق (١).
قال قتادة: ثم نسخ هذا الحکم بنزول براءة، فنبذ کل عهد الـی صاحبه.
و هکذا نسخت جمیع الایات التی کانت تقرر تلکم المعاهدات.
نسختها سورة براءة «براءة من‌الله و رسوله الی الذیـن عاهدتم من‌المشرکین...» فأخذها علی علیه‌السلام و قرأها علی ملاءالمشرکین

١ـ مجمع البیان ج ٩ ص ٢٧٤.

بالموسم، معلناً : من كان بينه و بين رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله عهد فعهده الى مدته. و من لم تكن له مدة فمدته اربعة اشهر... ولم يجز بعد ذلك عقد معاهدة مع‌المشركين.

٨ـ تدريجية تشريع القتال :

كان المسلمون ـ وهم بمكة ـ ممنوعين عن مناوشة المشركين، نظراً لموقفهم المتأرجح غير الثابت. و كذلك بدء هجرتهم الى المدينة، بعد لم تتماسك عرى شوكتهم.

ثم لماقوى جانبهم وترسخت مركزيتهم كأمة متماسكة لها كيان ولها حق‌اثبات الوجود، أذن لهم في‌منابذة من‌يحاول هدم‌هذاالكيان، دفاعاً عن حقهم الانساني العام.

وقد اجتاز تشريع الجهاد مراحل، ابتدأ بمجرد الاذن بعد تحريم سابق، و انتهت باستئصال المشركين : اين ما ثقفوا اخذوا و قتلوا تقتيلا (الاحزاب : ٦١).

المرحلة الاولى: الاذن المجرد، ترخيصاً في الدفاع عن حقهم الانساني: «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و ان‌الله على نصرهم لقدير، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله..» (الحج : ٣٩).

المرحلة الثانية : منابذة من كان يتعرض لهم من المشركين : «فان لم يعتزلوكم و يلقوا اليكم السلم و يكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ـ النساء : ٩١» «و ان جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على‌الله ـ الانفال : ٦١».

المرحلة الثالثة : مقاتلة من يليهم من الكفار دون من يبعد عنهم: «يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من‌الكفار، وليجدوا فيكم

غلظة، و اعلموا ان‌الله مع المتقين ـ التوبة : ۱۲۳» قال الحسن: كان هذا قبل الامر بقتال المشركين كافة (۱).

المرحلة الاخيرة : اعلان حرب عوان على عامة المشركين لغاية استئصالهم، لايعقد معهم عهد ولاتقبل منهم ذمة : «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ـ التوبة: ۳٦». «فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و خذوهم واحصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد ـ التوبة : ٥».

و اما اهل‌الكتاب فقتال او قبول جزية : «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولايحرمون ما حرم‌الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من‌الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن‌يد وهم‌صاغرون ـ التوبة : ۲۹» ولاشك ان‌كل مرحلة لاحقة نسخت سابقتها و اصبح كل ناسخ بالامس منسوخاً في غده و هكذا.

۱ــ مجمع البيان ج ٥ ص ٨٤.

قائمة المنسوخات

تلك ـ التى قدمنا من آيات منسوخة ـ هى ما ثبت نسخها بدليل قاطع، و هى لم تتجاوز بضع‌عشرات. و هناك من‌انهى الايات‌المنسوخة فى‌القرآن الى مايربو على المأتين. و هى غاية فى المبالغة، و قدجمعها كثير ممن كتبوا فـى «الناسخ والمنسوخ» كابن حـزم الاندلسى و عبدالرحمان العتائقى و غيرهما.

ونحن نتابعهم فى‌تعداد الاى المنسوخة حسب نظم‌القرآن، ونعقب كل آية بما صح لدينا من رفض او قبول بايجاز :ـ

من سورة البقرة ـ ست وعشرون آية :

١ـ «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصـارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر و عمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ـ ٦٣».

قال ابن عباس : نسختها «و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ـ آل‌عمران : ٨٥».

قال الطبرسى : هذا بعيد، لان النسخ لايجوز ان يدخـل الخبر الذى هو متضمن للوعد، و انما يجوز دخوله فى‌الاحكام الشرعية التى

يجوز تغيرها و تبدلها بتغير المصلحة، فالاولى تفنيد هذه النسبة الى ابن‌عباس (١).

والاية الاولى تعني: ان الذين آمنوا بأفواههم و كذا اليهود والنصارى و الصابئون جميعاً ان آمنوا بالله صدقاً، وسلموا لرسول‌الله اخلاصاً فلهم اجرهم... و هذا المعنى ثابت غير منسوخ، و متوافق مع الاية الثانية ايضاً.

٢ـ «وقولوا للناس حسناً ـ ٨٣».

عن قتادة: انها منسوخة بآية السيف ـ التوبة: ٥ (٢).

لكنه غريب بعدان كان الكلام الجميل والخلق الكريم مما حبذ اليه الاسلام بصورة عامة. «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن» (النحل: ١٢٥) «ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» (الانعام: ١٠٨) هذا فضلا عن كونها حكاية عن ميثاق سابق اخذه تعالى على بني‌اسرائيل، فلامجال للقول‌بنسخها بتشريع القتال مع‌المشركين المناوئين‌للاسلام.

٣ـ «فاعفوا و اصفحوا حتى يأتي الله بأمره ـ ١٠٩».

نسختها آية «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم‌الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من‌الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم‌صاغرون» (التوبة: ٢٩).

و تقدمت صحة هذا النسخ برقم ٦.

٤ـ «فاينما تولوا فثم وجه‌الله ـ ١١٥».

عن قتادة: انها منسوخة بقوله تعالى: فول وجهك شطرالمسجد الحرام و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» (البقرة: ١٤٥) (٣).

١ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٢٧.

٢ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٥٠.

٣ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٩١.

لكن الاية رد على اليهود فى انكارهم تحويل القبلة الى الكعبة، فان التوجه الى الله فى العبادة ليس وقفا على جهة دون اخرى، لان الله لايحويه مكان دون مكان، فالتوجه الى جهة خاصة أمر تعبدى صرف لحكمة اجتماعية. فالتوجه الى القدس او الكعبة كلاهما توجه الى الله، غير ان المصلحة اقتضت هذا التحويل، من غير ان يكون الله قابعاً فى زاوية بيت المقدس او فى الكعبة المكرمة.

٥ـ «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ـ ١٥٩».

قال ابن حزم : نسختها الاية التالية : «الاالذين تابوا و اصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم و انا التواب الرحيم ـ ١٦٠» (١).

لكنه استثناء وخروج موضوعى، وليس من النسخ فى شىء.

٦ـ «انما حرم عليكم الميتة والدم ـ ١٧٣».

قال ابن حزم : نسخها قوله صلى الله عليه وآله: احلت لناميتتان و دمان : السمك والجراد، والكبد والطحال.

وهذا تخصيص فى الحكم بالنسبة الى بعض افراد العام، وليس من النسخ.

قال: و كذا نسخها قوله : «فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه» (٢).

وهذا ايضاً تبدل موضوعى بطروء حالة غير اختيارية يتبدل معها الحكم الثابت اولا من غير ان يكون ذلك نسخاً.

٧ـ «والانثى بالانثى ـ ١٧٨».

عن ابن عباس: نسختها آية «النفس بالنفس ـ المائدة ـ ٤٥» (٣).

١ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٠.

٢ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦١.

٣ـ الدر المنثور ج ١ ص ١٧٢.

ظاهر الاية ان الرجل لايقتل بالمرأة، وهذا عام الافيما اذا ادى اهل المقتولة نصف ديـة الرجل، كما رواه الطبرى فـى تفسيره عن امير المؤمنين على عليه‌السلام والعياشى فى تفسيره عن الامام الصادق عليه‌السلام (١) فهو تخصيص لانسخ.

٨ـ «كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين ـ ١٨٠».

قيل: انها منسوخة بآية المواريث. و قيل بحديث «الا لاوصية لوارث». و قيل بالاجماع (٢).

قال الطبرسى: والصحيح عند المحققين من اصحابنا انها غير منسوخة اصلا، اذلا منافاة بين آية الوصية و آية المواريث، والحديث لم يصح عندنا، والاجماع لم يتحقق (٣).

نعم قام الاجماع على ان الوصية ليست بفرض، فبذلك نرفع اليد عن ظاهر الوجوب فى الايـة، اما الاستحباب المـؤكد فباق لايزال، والاحاديث بذلك من طرقنا متظافرة (٤)، فهذا رفع لظاهر اطلاق الاية، لا لاصل حكمها، فليس من باب النسخ.

٩ـ «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ـ ١٨٣».

قال جلال الدين: انها منسوخة بقوله تعالى: «احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نساءكم» وبقوله تعالى: «وكلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض» (البقرة: ١٨٧) (٥).

١ـ راجع: الطبرى ج ٢ ص ٦١ والعياشى ج ١ ص ٧٥.
٢ـ الاتقان ج ٢ ص ٢٢.
٣ـ مجمع البيان ج ١ ص ٢٦٧.
٤ـ راجع «الوسائل» ج ١٣ ص ٣٧٣.
٥ـ الاتقان ج ٢ ص ٢٢.

أخذ القائل بالنسخ بعموم التشبيه لتكون الاية الاولى فرضت الصيام على المسلمين بالكيفية التى كانت على الامم السالفة طابق النعل بالنعل فلايجوز لهم مقاربة النساء، ولا تناول الطعام والشراب اذا قاموا بعد العشاء الاخرة. و هذا الحكم منسوخ بالاية الثانية لامحالة.

لكن على فرض التسليم فهو تخصيص للحكم لانسخ له رأساً. والعمدة ان التشبيه هنا ينظر الى ناحية اصل وجوب الصوم، تخفيفاً لوطئة هذا التكليف، اما الاية الثانية فهو ترخيص فى مقام توهم الحظر، او هو رفع لحكم ثبت بالسنة، فان حرمة مقاربة النساء والاكل والشرب بعد عشاء الاخرة ليست مما تستفاد من الاية الاولى.

١٠ـ «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ـ ١٨٤».

قال ابن حزم : نسخها قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه ـ ١٨٥ (١).

هؤلاء فسروا الاطاقة هنابالقدرة، فكان ظاهر الاية تخيير المتمكن بين الصوم والفداء. لكن الاطاقة هنا بمعنى بلوغ غاية الجهد، كناية عن المشقة البالغة فى الصوم، فهذا مرخص له فى الافطار والفداء، اذن فهذه الايةتخصيص فى الحكم المستفادمن الاية الثانية، كماهو تخصيص فى الحكم المستفاد من صدر الاية الاولى ايضاً.

١١ـ «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ـ ١٩٠».

لما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتله من المشركين ويكف عمن كف عنه، فنسخت بقوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ التوبة : ٥» (٢).

وقد تقدم انه من التدرج فى أمر القتال.

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٢ و راجع مجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٤.

٢ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٤.

١٢ـ «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ـ ١٩١».

قال ابن حزم: نسختها «فان قاتلوكم فاقتلوهم ـ ١٩١»! و هذا غريب بعدان كان هذا تفريعاً على مفهوم الغاية، اى تصريح بالمفهوم، فهو تثبيت لما يستفاد من السابقة لانسخ لحكمها ـ كما لا يخفى.

١٣ـ «فان انتهوا فان الله غفور رحيم ـ ١٩٢».

ان كان المراد هو الانتهاء عن الشرك بقبول الاسلام فالاية محكمة، و قدتبدل الموضوع (١). و ان كان المراد الانتهاء عن القتال فهى منسوخة بآية السيف (٢): «فاقتلوا المشركين ـ التوبة: ٥» و عليه فهو تدرج في أمر القتال.

١٤ـ «ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ـ ١٩٦».

قال ابن حزم: نسختها «فمن كان مريضاً اوبه اذى من رأسه ففدية ـ ١٩٦».

وهذا استثناء و خروج ببعض افراد العام، وليس من النسخ فى شيء.

١٥ـ «يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللو الدين والاقربين ـ ١٢٥».

قال السدى: انها نسخت بآية «انما الصدقات للفقراء والمساكين ـ التوبة: ٦٠» (٣).

لكن لامنافاة بين الايتين، بعد ان كانت الاولى ندباً فى مطلق الصدقات المستحبة، و كانت الثانية فرضاً فى الزكاة الواجبة خاصة.

١٦ـ «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه

١ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٦.

٢ـ الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٢.

٣ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٠.

كبير ـ ٢١٧».

قيل : انها منسوخة بآية السيف و بقوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنةـ البقرة: ١٩٣» (١) والصحيح: انها بالنسبة الى مبادءة القتال محكمة، اما اذا ابتدأ الكفار بالقتال فتجوز مقاتلتهم فى الاشهر الحرم، نظير مقاتلتهم عند المسجد الحرام. نعم شرعت المبادءة عام الفتح فقط ثم رجع الحكم الى ما سبق أبداً، قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله: ان‌الله أحلها لى فى هذه الساعة ولم يحلها لاحد من بعدى الى يوم القيامة (٢). فالاية اذن ليست منسوخة، ولاسيما اذا قلنا بان ناسختها هى آية السيف، و ذلك لانها مشروطة بانسلاخ الاشهر الحرم (٣) الامر الذى نستغربه من ابن حزم.

١٧ـ «يسألونك عن‌الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير و منافع للناس ـ ٢١٩».

قال ابن حزم : نسختها «و اثمهما اكبر من نفعهما». وكذا قوله: «لاتقربوا الصلاة و انتم سكارى ـ النساء : ٤٣». و اخيراً قوله‌تعالى: «فهل انتم منتهون ـ المائدة : ٩١».

اقول : ليس هذا نسخاً، بل هو من‌التدرج في الاحكام الى اللحن الاشد، والا فالخمر كانت محرمة منذ البدء، غير أن لحن التحريم اشتد شيئاً فشيئاً ازالة لما تمكن فى نفوس القوم من هذه العادة الخبيثة.

١٨ـ «يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ـ ٢٢٠».

العفو : ما فضل عن نفقة الاهل والعيال. كان المسلمون قد امروا فى بدء الهجرة بانفاق ما يفضل لديهم من مال من غير تعيين للمقدار. ثم نسخت هذه الشريعة بتشريع الزكاة المفروضة «خذمن اموالهم

١ـ مجمع البيان ج ١ ص ٣١٠.

٢ـ مجمع‌البيان ج ٢ ص ٣١٢.

٣ـ «فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ التوبة: ٥».

صدقة ـ التوبة ١٠٣» ـ كذا روى عن ابىجعفر الباقرعليهالسلام (١).

لكن هذا رفع لظاهر اطلاق الاية فيالوجوب، اما أصلاستحباب اتفاق العفو فثابت غير منسوخ ـ و قدمر نظيره فى آية الوصية برقم ٨. فهو نسخ جانبى لاكلى.

١٩ـ «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ـ ٢٢١».

قال مجاهد : انها منسوخة بآية «والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ـ المائـدة : ٥» هذا بناء علـى شمول لفـظ «المشركات» للكتابيات (٢) و عليه فآية المائدة تخصيص فى آية البقرة لانسخ.

٢٠ـ «وبعولتهن احق بردهن ـ ٢٢٨».

قال ابن حزم: انها منسوخة بقوله تعالى: «الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ـ البقرة : ٢٢٩» (٣). فبعد الطلقةالثالثة ليس للزوج ان يرجع الا بمحلل. كما انجواز الرجوع مخصـوص ـ ايضاً ـ بالرجعيات دون البائنات.

وهذا تخصيص في الحكم من غير ان يكون نسخاً له.

٢١ـ «ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ـ ٢٢٩».

قال ابن حزم : نسختها قوله بعد ذلك : «الا ان يخافا ان لايقيما حدود الله».

ولا يخفى ان الاستثناء تخصيص فى عموم الحكم لانسخ له.

٢٢ـ «والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ـ ٢٣٣».

قال ابن حزم : هذه الاية نسخت بالاستثناء بقوله : «فان ارادا فصالاعن تراض منهما وتشاور فلاجناح عليهما» فصارت هذه الارادة باتفاق الجانبين ناسخة للحولين.

١ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٦.

٢ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٨.

٣ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٥.

وقد مران الاستثناء تخصيص فى الحكم لاغير.

٢٣ـ «والذين يتوفون منكم و يذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج ـ ٢٤٠».

نسختها «والذين يتوفون منكم و يذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشراً ـ البقرة : ٢٣٤». و نسختها آية المواريث.

والنسخ فى هذه الاية اجماع (١) و قد مضى شطر من الكلام حولها (٢).

٢٤ـ «لااكراه فى الدين ـ ٢٥٦».

قال ابن‌مسعود: «انها منسوخة بآية السيف ـ التوبة : ٥». (٣).

والصحيح: ان الاية تعنى أمراً لا يقبل نسخاً ولا تخصيصاً:

ان دين الله دين فطرة و عقيدة، منبعث من‌الاعماق، فتبعث على الاستقامة فى مجالى العقيدة والسلوك. ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .. (٤) قولا منبعثا من اعماق فطرتهم، و استقامة فى جميع اتجاهاتهم. و هذا لابد ان يسبقه يقين صادق و ايمان جازم راسخ، الامر الذى تعجز القوة القاهرة عن تكوينه الا ببرهان رشيد و بيان رصين.

وهناك فرق كبير بين الاسلام والاستسلام، قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ـ اى استسلمنا ـ (٥).

والمطلوب الاقصى هو الايمان الصادق. و هو امر قلبى، ولاسلطة لسوى البرهان على القلوب، و من ثم فان من طبيعة الدين الذاتية

١ـ راجع تفسير شبر ص ٧٦ ط مصر.

٢ـ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥ آية الامتاع برقم ٣.

٣ـ روح المعانى ـ الالوسى ـ ج ٣ ص ١١.

٤ـ فصلت : ٣٠.

٥ـ الحجرات : ١٤.

هوالاختيار لاجبرو لااكراه.

و من ثم قال تعالى تفريعاً على الاية المذكورة: قد تبين الرشد من الغى.

قال السيد شبر ــ رحمه‌الله ــ : لم يجر الله أمر الدين على الاجبار بل على الاختيار، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر (۱) (۲). وليست المشيئة في الاختيار ترخيصاً شرعياً، بل تنويهاً بشأن هذا الدين الحق الذى لايعالجه سوى وضح البرهان و قدرة البيان.

و ما ذكروه سبباً لنزول هذه الاية شاهد آخر على ارادة هذا المعنى (۳).

۲۵ــ «و اشهدوا اذا تبايعتم ــ ۲۸۲».

قال ابن حزم: نسختها «فان امن بعضكم بعضاً فليؤد الذين اؤتمن امانته ــ ۲۸۳».

قلت: هذا تخصيص في الحكم العام. و ليس من النسخ المصطلح.

۲۶ــ «و ان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ــ ۲۸۴».

روى عن ابى هريرة ــ في حديث ــ : انها منسوخة بآية «لايكلف الله نفساً الاوسعها ــ البقرة : ۲۸۶» (۴).

قال الطبرسى ــ رحمه‌الله ــ: و هذا لايصح، لان تكليف ماليس في الوسع غير جائز فكيف نسخ؟! (۵).

والصحيح : ان الاية تهدف المحاسبة على نية السوء لافى امثال الوساوس والخواطر اللااختيارية، فالمرء محاسب على مايعزم من السوء

۱ــ الكهف : ۲۹.
۲ــ تفسير شبر ص ۷۹ ط مصر.
۳ــ مجمع البيان ج ۲ ص ۳۶۳ ــ ۳۶۴.
۴ــ الدر المنثور ج ۱ ص ۳۷۴.
۵ــ مجمع البيان ج ۲ ص ۴۰۱.

بأخيه او بأمته، و من ثم قيل: نية الكافر شر من عمله. و ان مناوى السوء لتؤثر على الاقوال والاعمال كما هى تؤثر على التفكير والسلوك، و ان هكذا انساناً ليتجه بكليته حسب ما توجهه عقيدته و عزماته.

و ان شخصية كل انسان مختبئة طى مناويه و عزماته، فتتجلى على مسارب سلوكه و اتجاهاته.

و اذا كانت النية ـ و هى عقد القلب الجازم ـ هى ركيزة بناء شخصية الفرد عقيدة و سلوكاً، فجدير بها ان يحاسب عليها «لكل امرء مانوى». «انما الاعمال بالنيات». قال اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ : وبما فى الصدور يجازى العباد.. (١)

فهكذا نية، توجه مصير الانسان فى الحياة، لاغرابة ان يؤاخذ الانسان عليها، والاية الكريمة تهدف الى هذا المعنى. اما النية العابرة غير المؤثرة على السلوك فمعفو عنها والاية لاتعنيها.

***

من سورة آل عمران ـ خمس آيات :

٢٧ـ ـ١ ـ «فان تولوا فانما عليك البلاغ ـ ٢٠».

قال ابن حزم: منسوخة بآية السيف «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ التوبة : ٥» (٢).

قلت: اولا هذه الاية حديث عن نصارى نجران جاء وفدهم يحاجون النبى صلى الله عليه وآله. و آية السيف تعنى قتال المشركين. و ثانياً ـ ان هذه الاية تسلية للنبى صلى الله عليه وآله لئلا تذهب نفسه

١ـ تفسير الصافى ج ١ ص ٢٣٧.

٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٧.

حسرات عليهم (١) حيث مسؤوليته صلى‌الله عليه‌وآله تنحصر في‌اطار الدعوة والتبليغ، اما و قبول اولئك للاسلام و عدم توليهم او اعراضهم فليس من بنود مسؤوليته كي يضيق صدره الشريف، انك لاتهدي من احببت. (٢)

٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ (٢ ـ ٣ ـ ٤) ـ «كيف يهدي‌الله قوماً كفروا بعد ايمانهم ـ الى تمام الاية الثالثة ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨».

نزلت في رهط ارتدوا عن الاسلام (٣).

ثم استثنى واحد منهم ـ و هو الحارث بن سويد بن الصامت ـ في الاية الرابعة «الا الذين تابوا ـ ٨٩» آل عمران.

قال ابن حزم: هذه الاية الرابعة نسخت الايات الثلاث قبلها.

وقد عرفت ان الاستثناء تخصيص لانسخ.

٣١ ـ ـ ٥ ـ «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا و انتم مسلمون ـ ١٠٢».

قال ابن عباس: لما نزلت شق ذلك على المسلمين و انزعجوا انزعاجاً عظيماً، و قالوا: يا رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله و من يطيق ذلك !؟ فنزلت: «فاتقوا الله ما استطعتم» (التغابن: ١٦) فنسخت الاولى (٤).

قال ابن حزم لما شكى المسلمون الى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله ثقل هذا التكليف نزلت آية اخرى اشد، و هي: «وجاهدوا في الله حق جهاده ـ الحج: ٧٨» فكادت تتفطر قلوبهم و تطير عقولهم، فلما علم‌الله ما قد نزل بهم خفف عنهم بنزول الناسخ، فكان تيسيراً بعد

١ـ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ـ فاطر: ٨.

٢ـ القصص: ٥٦.

٣ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٤٩.

٤ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٥٩.

تعسير و تخفيفا بعد تشديد (١).

قال الطبرسی: فی‌الاية قولان. احدهما: انها منسوخة. عن السدی و قتادة والربيع. و هو المروی عن ابی‌جعفر و ابی عبدالله ـ عليهما السلام ـ . والاخر انها غير منسوخة. عن ابن عباس و طاووس. و انكر الجبائی نسخ هذه الاية لما فيه من اباحة بعض المعاصی (٢).

قال ابو بصير: سألت ابا عبدالله عليه‌السلام عن هذه الاية؟ فقال: منسوخة. قلت: و ما التی نسختها؟ قال: اتقوا الله ما استطعتم (٣).

اقول: لامجال للقول بالنسخ المصطلح فی الاية الكريمة ـ اولا ـ لان الالتزام بالنسخ هنا، يستدعی ان تكون الاية الاولی قد أوجبت تكليفا فوق المستطاع حتی نسخت بالتكليف وفق المستطاع.! و هذا محال علی‌الله سبحانه.

و ثانياً ـ لاتنافی بين الايتين كی تكون احداهما ناسخة للاخری، و ذلك لان القدرة شرط عام لكل تكاليف الشريعة، والامر بالتقوی ـ العمل بالوظائف المقررة ـ فی الاية الاولی متقيد بالاستطاعة عقلا و اجماعاً بلاشك، لا سيما بعد ما ورد فی تفسيرها عن رسول‌الله صلی‌الله عليه وآله و عن الامام الصادق عليه‌السلام: ان يطاع و لايعصی (٤) والاطاعة مشروطة بالاستطاعة لامحالة، اذن فالايه الثانيه جاءت مفسرة للاية الاولی و موضحة لفحواها فكيف تكون ناسخة لها؟!

نعم فی بادیء البدء قديفهم من‌الاية وجوب العمل بجميع‌التكاليف الواردة فی الشريعة كملا كما انزلها الله و كما ارادها تامة كاملة. استفادة من اضافة التقی الی‌الله. ولعل المسلمين الاوائل هكذا فهموا

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٦٧

٢ـ مجمع‌البيان ج ٢ ص ٤٨٢.

٣ـ تفسير العياشی ج ١ ص ١٩٤.

٤ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٥٩. تفسير الصافی ج ١ ص ٢٨٤.

من‌الاية الكريمة. غير ان النظر الدقيق ـ و بعد ان حرر المحققون من‌الفقهاء اصول احكام التشريع ـ يقتضى فهماً غير هذا. و ان لا فرق بين الايتين فى تقيد التكليف بالاستطاعة.

ولعل النسخ فى كلام الامام ـ على فرض صحة الرواية ـ و كذا فى كلام السلف يعنى ازالة ما كانت تتوهمه أفهام العامة فى ظاهر الاية الاولى من‌التكليف المطلق.

***

من سورة النساء ـ اثنتان و عشرون آية:

٣٢ـ ١ ـ «و اذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ـ ٨».

قال سعيدبن المسيب: انهامنسوخة بآية المواريث: ١١ (١) وكذا روى عن الامامين الصادقين عليهما السلام (٢).

قال ابن‌عباس: والله مانسخت هذه‌الاية، ولكنه مماتهاون به‌الناس. امر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم ان يصلوا ارحامهم و ايتامهم ومساكينهم من‌الوصية، فان‌لم‌تكن وصيةوصلوا اليهم من‌مواريثهم (٣)

قال ابوبصير: سألت الامام الباقر عليه‌السلام عن هذه الاية : أمنسوخة هى؟ قال: لا، اذا حضروك فأعطهم (٤).

قلت: ظاهر الوجوب منسوخ، اما الاستحباب فباق (٥) بمعنى ان الامر فى الاية لم‌يرد به من الاول سوى الندب المؤكد الى منح‌هؤلاء

١ـ مجمع‌البيان ج ٣ ص ١١.
٢ـ تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
٣ـ الدر المنثور ج ٢ ص ١١٣.
٤ـ تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٢.
٥ـ تفسير الصافى ج ١ ص ٣٣٤.

شيئا من التركة، ولكن القوم فهموا منه الوجوب على ظاهر اطلاق الامر، فجاءت الاية الثانية مبينة لذلك و ليس نسخاً مصطلحاً.

٣٣ـ ٢ ـ «وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً ـ ٩».

قال ابن حزم: انها منسوخة بآية «فمن خاف من موص جنفاً او اثماً فاصلح بينهم فلا اثم عليه ـ البقرة: ١٨٢».

اقول: اى منافاة بين تحريم الحيف فى الوصية و ترخيص الاصلاح حسب قانون الشريعة؟ فاذا كان الموصى قد اوصى بما يزيد عن الثلث فهو حيف على الورثة فللوصى حينئذ ان يصلح بين الورثة والموصى لهم، فان رضوا بذلك والا بطلت الوصية فيما زاد.

و كان الاولى ان تكون آية الاصلاح نسخاً لاية حرمة تبديل الوصية (البقرة: ١٨١) ـ كما فى الرواية عن الامام الباقر عليه السلام(١) ولكن نسخاً لاطلاق الاية لا لاصلها وليس من النسخ المصطلح.

٣٤ ـ ٣ ـ «ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً ـ ١٠».

قال ابن حزم: لما نزلت هذه الاية امتنع المسلمون من التصرف فى اموال اليتامى و اعتزلوا عنهم، فدخل الضرر على الايتام. فنزلت: «ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم» (البقرة: ٢٢٠) فكان ترخيصاً فى المخالطة. ثم نزلت: «و من كان غنيا فليستعفف و من كان فقيراً فليأكل بالمعروف» (آل عمران: ٦). فهذه الاية نسخت الاولى (٢).

قلت: لانرى تنافياً بين تحريم اكل مال اليتيم ظلماً و جواز اكله بالمعروف ازاء مايقوم به من خدمات. فلا مبرر للقول بالنسخ هنا، بل

١ـ تفسير الصافى ج ١ ص ١٦٣.

٢ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين ـ ج ٢ ص ١٦٩.

الاية الاولى باقية على احكامها كالاية الثانية.

ولعل ابن حزم اشتبهت عليه هذه الاية ـ هنا ـ بآية «و آتـوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب. ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوباً ـ اى اثماً ـ كبيراً ـ النساء: ٢» فقد روى انه لما نزلت هذه الاية كره المسلمون مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا الى رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله فانزل الله سبحانه: يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير و ان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المصلح من‌المفسد ـ البقرة : ٢٢٠» و هذا هو المروى عن الامامين الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ (١).

وليس هذا ايضاً من النسخ المصطلح، و انما جاءت الثانية لبيان جوانب الرخصة من مخالطة اليتامى، ليكون النهى فى الاولى موجها الى اولئك الطامعين في اموال الصغار، اما مريد الاصلاح فهو محسن لاملامة عليه ولم يشمله ذلك التحريم اصلا، فهو ترخيص فى مقام توهم الحظر، لا أنها اجازة بعد تحريم، فلا نسخ بتاتاً.

٣٥ـ ٤ ـ «واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم ـ ١٥».

روى جابر عن الامام الباقر عليه‌السلام انهـا منسوخـة بفرض الحدود. (٢) و تقدم الكلام فى ذلك مفصلا فراجع (٣).

٣٦ ـ ٥ ـ «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ـ ١٦».

قال ابو مسلم: الفاحشة في الاية الاولى ـ ١٥ـ هو السحق. و فى الاية الثانية ـ ١٦ ـ هواللواط، فالايتان محكمتان.

قال الطبرسى: و هذا بعيد، لان الذى عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة فى الاية الزنا، و ان الحكم فى الاية منسوخ بالحد المفروض

١ـ مجمع‌البيان ج ٣ ص ٣ ـ ٤.

٢ـ تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢٧.

٣ـ فيما اخترناه من النسخ برقم ٤ ص ٣٠٥.

فـى سورة النور: ٢ ـ ٣. ذهب الى ذلك الحسن و مجاهـد و قتادة والسدى والضحاك و غيرهم. او بفرض الحدود رجماً او جلداً. كما عن بعضهم (١) و قد تقدم كلامنا فى ذلك.

٣٧ـ ٦ ـ «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انىتبت الان. ولا الذين يموتون وهم كفار ـ ١٨».

قال الربيع: انها منسوخة بقوله تعالى: «ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ٤٨ و ١١٦ النساء» (٢).

قلت: لامنافاة بين الايتين، لان الايــة الاولــى تعنى ان التوبة الحقيقية التى تجعل من صاحبها كمن لاذنب له و تنجيه من العقاب بتاً هى التى تقع قبل معاينة الموت، اما و بعــد المعاينة فـانها توبة اضطرارية لاتفيده شيئاً، فهو و من يموت بلا توبة سواء.

هذا هو مفاد الاية الاولى. ثم الذى يموت بلا توبة او يتوب فى وقت لا تنفعه هل يخلد فىالنار من غير ان يكون له رجاء المغفـرة والخلاص ابداً؟ هذا شيء لاتتعرض له الاية الاولى. نعم تتعرض له الاية الثانية بالتفصيل بين معصية الاشراك و سائر المعاصى، فمع الشركمخلد فى العذاب ابداً. و امامع سائر المعاصى فانله رجاء الخلاص والغفران ان شاءالله.

والخلاصـة : ان الايـة الاولى تتعرض لشرائـط التوبة النافعة الناجعة. والاية الثانية تتعرض لمن يموت بلاتوبة. فاين المنافاة؟

٣٨ـ ٧ ـ «ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ـ ١٩».

قال ابن حزم: نسخهـا الاستثناء بعدها: «الا ان يـأتين بفاحشة مبينة».

و قد مر عليك ان الاستثناء تخصيص فى عموم العام لا النسخ.

١ـ مجمع البيان ج٣ ص ٢١.

٢ ـ مجمع البيان ج ٣ ص ٢٣

٣٩ ـ ٨ ـ «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ـ ٢٢».

قال ابن حزم: نسخها الاستثناء: «الا ما قد سلف»: (١).

و قد سلف تغاير الاستثناء والنسخ.

٤٠ـ ٩ ـ «و ان تجمعوا بين الاختين ـ ٢٣».

قال: نسخها «الاماقد سلف». و هذه كسابقتيها.

٤١ـ ١٠ ـ «فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ـ ٢٤» انها تعنى متعة النساء.

قال محمد بن ادريس الشافعي: نسختها «والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ـ المؤمنون: ٧».

قال: و اجمعوا على ان المتمتع بها ليست بزوجة و لا ملك يمين، فدخلت فيمن ابتغى وراء ذلك (٢).

و روى عن ابن مسعود: نسختها آيات «الطلاق» و «الصداق» و «الاعتداد» و «الميراث» (٣) اذ ليست للمتمتع بها هذه الامور الاربعة، فليست بزوجة، و يجب حفظ الفرج على غير الزوجة.

قلت: قد بحثت عن هذه الاية في رسالة خاصة كتبتها في مشروعية المتعة ابداً، و ان الاية محكمة لا ناسخ لها لا في القرآن ولا في السنة المطهرة، و جميع ما يروونها في الموضوع انما هي تلفيقات واهية و روايات ضعيفة لاحجية فيها اطلاقاً.

وخلاصة القول ـ هناك ـ: ان المتمتع بها زوجة، و لا دليل على ان من شرائط تحقق الزوجية مطلقاً تصادق الامور الاربعة المذكورة عليها ـ على ان لها الاعتداد ـ نصف الدائمة ـ و صداقها اجرها،

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٠.

٢ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧١.

٣ـ الدر المنثور ج ٢ ص ١٤٠.

كما ان صداق الدائمة مهرها.

٤٢ - ١١ - «ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل - ٢٩».

عن عكرمة والحسن: لما نزلت هذه الاية تحرج الرجل ان يأكل عند احد من الناس، حتى نسخت بقوله تعالى «ولاعلى انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم... النور: ٦١».

وعن ابن مسعود: انها محكمة مانسخت ولن تنسخ الى يوم القيامة. و هذه الرواية صحيحة عندهم (١).

ولا يخفى ان آية النور تخصيص في عموم آية النساء من غير ان تكون نسخاً لها. هذا على فرض ارادة الأكل المتعارف من الاية الاولى. والصحيح ان المراد به تداول المال والتعامل به.

و من ثم كان الاستثناء «الا ان تكون تجارة عن تراض». اذن فآية النساء تعنى المعاملات، و آية النور تعنى تناول الطعام، من غير ان يكون تناسب بينهما أصلا.

٤٣ - ١٢ - «والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم - ٣٣».

قال على بن ابراهيم القمى: نسختها آية «و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض - الانفال : ٧٥» (٢).

اقول : هذه الاية واردة بشأن ميراث ضامن الجريرة، قال الصادق عليه السلام: «اذا والى الرجل الرجل فله ميراثه و عليه معقلته» (٣) نعم ميراث ولاء الضمان مشروط بعدم وجود وارث نسبى ولازوجية ولا ولاء عتق، فهو آخر أسباب الارث - على ما يفصله الفقهاء في كتاب المواريث - .

فالنسخ في كلام القمى وغيره يراد به القيد والشرط لا اكثر.

١- الدر المنثور ج ٢ ص ١٤٣.

٢- تفسير الصافى ج ١ ص ٣٥٣

٣- التهذيب ج ٩ص ٣٩٦ حديث ٢٠.

فاذا كان هناك رحم فلا ميراث للضامن، فالايــة تقيدت بآيــة اولى الارحام.

٤٤ـ ١٣ ـ «فاعرض عنهم و عظهم ـ ٦٣».

قال ابن حزم : انها منسوخة بآية السيف (التوبة : ٥) (١).

قلت : الاية تعنى المنافقين بالمجاملة معهم والمداراة، و لم يؤمر صلى‌الله عليه وآله ان يصارحهم او يفضحهم حتى آخر حياته، فلـم تنسخ الاية مدة بقائه صلى‌الله عليه وآله و من ثم فان القول بنسخهـا بآية السيف عجيب.

٤٥ ـ ١٤ ـ «ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً ـ ٦٤».

قال ابن حزم : نسختها آية براءة : «استغفر لهم اولاتستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفرالله لهم ـ ٨١».

قلت: الاية الاولى تعنى اولئك النادمين المستغفرين. والثانية تعنى اولئك المعاندين ممن اصروا على الاستهزاء بالمؤمنين، و من ثم جاء التعقيب : ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله. ليكون تيئيس الرسول من المغفرة لهم ناظراً الى عدم قابليتهم لشمول الرحمة والغفران، بسبب تمردهم العاتى، و صمودهم على الغواية والضلال. والله لايهدى القوم الفاسقين ـ التوبة ٨١.

٤٦ـ ١٥ ـ «يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعاً ـ ٧١».

قال ابن حزم: نسختها «و ما كان المؤمنون لينفـروا كافة ـ التوبة : ١٢٢» (٢).

قلت: ثبات جمع ثبة بمعنى مجموعة.

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص١٧١.

٢ـ بهامش الجلالين ج٢ ص ١٧٢.

فالاية الاولى تحذر المؤمنين من الخروج الى الجهاد فرادى، بل يخرجون اما بصورة كتل صغار و هى السرايا المبعوثة الى الجهات. او فى كتلة كبيرة وهو الجيش كله فى مقابلة عسكر العدو فى الغزوات.

والاية الثانية تحذر المؤمنين من الخروج بكليتهم ليتركوا النساء و الاطفال فى المدينة بلارجال فيخلو الجو للعدو الغادر.

فلا منافاة بين الايتين فيما تستهدفه كل واحدة.

٤٧ ـ ١٦ ـ «و من تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ـ ٨١».

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت : الاية تعنى مسؤولية الرسول صلى الله عليه وآله المحدودة، فهو مسؤول عن التبليغ وليس مسؤولا عن قبول هؤلاء او اعراضهم. انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ـ الغاشية : ٢٢.

٤٨ ـ ١٧ ـ «فاعرض عنهم و توكل على الله ـ ٨١».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف. قلت: الاية تعنى المنافقين بين اظهر المؤمنين و لم يؤمر صلى الله عليه وآله بفضحهم و مقاتلتهم مدة حياته.

٤٩ ـ ١٨ ـ «الا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق ـ الى قوله ـ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ـ ٩٠».

نسختها آية براءة و آية السيف.

حيث لم يصح بعد ذلك عهد للمشركين ولا ذمة ابداً. و قد تقدم ذلك فيما اخترناه من النسخ برقم : ٧.

٥٠ ـ ١٩ ـ «ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم و يأمنوا قومهم ـ ٩١».

نزلت فى منافقى المشركين فكان عدم ترخيص التعـرض لهم مشروطاً باعتزالهم والقاء السلم الى المسلمين، ثم نسخ ذلك بآية السيف.

٥١ ـ ٢٠ ـ «و ان كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة

الى اهله و تحرير رقبة مؤمنة ـ ٩٢».

هنا ثلاثة احكام:

١ـ من قتل مؤمنا خطأ فعليه تحرير رقبة مؤمنة ـ كفارة ـ ودية مسلمة الى اهله.

٢ـ من قتل مؤمنا خطأ من قوم كفار لهم عهد، فعليه تحرير رقبة مؤمنة ـ كفارة ـ ودية مسلمة الى اهله.

٣ـ من قتل مؤمنا خطأ من قوم كفار ليس لهم عهد فعليه تحرير رقبة مؤمنة من غير دفع دية. والاية الكريمه تعنى الحكم الثانى، و من ثم فهى منسوخة بآية براءة، حيث لاعهد للمشركين بعدها. و قد تقدم ذلك.

٥٢ ـ ٢١ ـ «و من يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خـالداً فيها ـ ٩٣».

قال ابن حزم : هى منسوخة بقوله تعالى «و يغفر مادون ذلك لمن يشاء : ٤٨ ـ النساء» و بآيات قبول التوبة (١).

قلت: الاية الاولى تعنى من قتل مؤمنا قصداً لايمانه، لا لعداوة شخصية، فهذا محارب للدين و مخلد فى النار، فان مات قبل ان يتوب، فهو داخل فى قوله: «ان الله لايغفر ان يشرك به». نعم هى مخصوصة بادلة قبول التوبة، و ليس ذلك نسخاً. كما ان آية عدم غفران الشرك ايضاً مخصوصة بما اذا مات على الاشراك.

٥٣ ـ ٢٢ ـ «ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ـ ١٤٤».

قال ابن حزم : منسوخة بما بعدها «الا الذين تابوا و اصلحـوا و اعتصموا بالله و اخلصوا دينهم لله ـ ١٤٥» قلت: هذا استثناء و ليس بنسخ. و معنى الاستثناء هنا: ان المنافقين بصورة عامة محكومون باللعنة الابدية، ويستمر عليهم هذا الحكم ما استمروا على النفاق. اللهم الا اذا

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٢.

انقطعوا و تابوا واصلحوا فان هذا الحكم ـ ايضاً ـ ينقطع و يرتفع بطبعه، نظراً لتبدل الموضوع.

***

من سورة المائدة ـ تسع آيات:

٥٤ ـ ١ ـ «يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله. و لا الشهر الحرام. ولا الهدى ولا القلائد.
ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم و رضواناً..
ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا.
و تعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان ـ ٣».
قال اكثر المفسرين: انها منسوخة بآية السيف و بآية «انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ـ التوبة: ٢٨» (١).
و قال قوم: انها لم تنسخ. و هو المروى عن ائمة اهل البيت عليهم السلام (٢).
قلت: اما المقطع الاول من الاية الى قوله: «و رضواناً» فلا يعقل نسخها، بعد ان كان حكما ثابتاً فى الشريعة لايزال. فلا تحل شعائر الله ابداً. ولا الشهر الحرام. ولا الهدى ولاالقلائد. ولا يمس القاصدون لبيت الله بسوء ابدا. لا سيما وهم يبتغون فضلا من الله و رضوانا، و لاشك انهم بهذه السمة مسلمون مؤمنون، فيجب ان يكونوا آمنين، حكماً اسلامياً مع الابد.
و اما المقطع الثانى فظاهر الاية البدائى ان المقصود بالقوم هم

١ـ مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٥. الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٤.
٢ـ تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨.

المشركون، فقد أمر المسلمون ان لا يتعرضوا لهم و لا يمنعوهم عن المسجد الحرام، و لايقوموا بعملية الانتقام والمقابلة بالمثل ازاء صدالمشركين بوجه المسلمين قبل ذلك.

و هذا المعنى قد نسخ قطعاً بآية السيف و آية «انما المشركون نجس».

نعم للاية مسحة عموم: لاينبغى للمسلم ان تأخذه حمية جاهلية فيتذكر عداء قديما و يقوم بعملية انتقامية وهو فى طريق عبادة الله. اذيجب ان يتناسى حينئذ جميع ما بينه و بين ما سواه تعالى، و يتفانى فى الله عز شأنه. و من ثم عبر بقوله «ان تعتدوا» و عقبه بكلية «ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» تأكيداً على ان القيام بأى عملية انتقامية حينذاك اثم و ظلم، و هذا المعنى لايقبل نسخاً ابداً.

فلعل المقطع الثانى ـ ايضاً ـ يعنى من اسلم من المشركين، فيجب ان يتناسى المسلمون وشائج العداء القديم التى فتهـا الاسلام، فـان الاسلام يجب ما قبله، والمسلمون جميعاً اخوان على صعيد الايمـان. و هذا نظير قوله تعالى بعد خمس آيات: «ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى و اتقوا الله». روى: انها نزلت بعد فتح مكة، امر الله المسلمين ان لا يكافئوا اهل مكة بما سلف منهم.

و فى رواية اهل‌البيت عليهم السلام ان سورة المائدة هى آخر السور نزولا. و ان ما فيها من احكام كلها محكمة و ناسخة لما قبلها، و ليس فيها حكم منسوخ، اذ لم ينزل بعدها سورة.

قال على عليه‌السلام: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، و انما كان يؤخذ من امر رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله بآخره. فكان من آخر مـا نزل عليه سورة المائدة، فنسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء... فعمل رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله وعملنا» (١) .

١ـ تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨.

٥٥ ـ ٢ ـ «فاعف عنهم واصفح ـ ١٣» بشأن اليهود.
نسختها : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا بـالـيوم الاخـر... من‌الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ـ التوبة : ٢٩» و قد تقدم ذلك.

و قال الجبائي: نسختها: «واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ـ الانفال : ٥٨» (١) لـكن سورة الانفال ثانية سورة نزلت بالمدينة. والمائدة من آخر ما نزل. فكيف تكون آية من تلك ناسخة لهذه؟ ـ هذا على تقدير صحة روايات الترتيب ـ او لعل هذه الايات من‌المائدة نزلت قبل ثم سجلت في سورتها ـ و هذا ايضاً محتمل.
٥٦ ـ ٣ ـ «انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الارض فساداً ان يقتلوا ـ ٣٣».

قال ابن حزم : نسختها الاية بعدها: «الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ـ ٣٤».

و هذا استثناء بتبدل موضوع الحكم، و ليس بنسخ.
٥٧ ـ ٤ ـ «فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعـرض عنهم. و ان تعرض‌عنهم فلن‌يضروك شيئاً. وان‌حكمت فاحكم بينهم‌بالقسط ـ٤٢».
قال الطبرسي ـ رحمه‌الله ـ : «والظاهر فی روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت فی‌الشرع للائمة والحكام. قال: و هو قول قتـادة وعطاء والشعبی و ابراهيم.

و قال الحسن و مجاهد و عكرمة: انها منسوخة بقوله تعالى: وان احكم بينهم بما انزل الله ـ المائدة : ٤٩». (٢).
لكن ليست الاية الثانية بصدد وجوب تعيين الحكم، بل بصدد

١ـ مجمع‌البيان ج ٣ ص ١٧٣.
٢ـ مجمع البيان ج ٣ ص ١٩٦.

وجوب كون الحكم وفق ما انزل الله. و هذا لا يتنافى مع كون وجوب اصل الحكم تخييرياً كما فى الاية الاولى، فلا نسخ.

٥٨ ـ ٥ ـ «ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون و ما تكتمون ـ ٩٩».

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

و قد سبق: ان امثال الاية تعنى محدودية مسؤولية الرسول صلى الله عليه وآله بالتبليغ والانذار. اما القبول والامتثال فهو من شأن المبعوث اليهم، من غير ان يدخل فى اطار مسؤولية الرسول: انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر. فهو صلى الله عليه وآله مسؤول عن التبليغ وليس مسؤولا عن التأثير. و هذا المعنى لا يرتبط و نفى مسؤوليته عن القيام بجهاد، بل الجهاد داخل فى نطاق التبليغ الواجب، فانه رفع الحواجز عن طريق بلوغ الدعوة.

٥٩ ـ ٦ ـ «يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم ـ ١٠٥».

قال بعضهم: انها منسوخة بوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) (آلعمران ١١٠).

قلت: مسؤولية الجماعة المؤمنة عن تكوين مجتمع ايمانى، لتبتدىء بالمسؤولية عن النفس اولا، ثم عن الاهل والعشيرة ثانياً، وتنتهى بالمسؤولية عن الامة والناس جميعاً. فانه يجب على كل مسلم ـ اولا و بالذات ـ ان يهتم بتهذيب نفسه و اصلاح شؤونه الاخلاقية، وهى اللبنة الاولى لبناء هيكل المجتمع الصالح. ثم بذوى قرابته و اهله ممن يعولهم و تشملهم سلطته، فى تكوين مجتمع صغير يتألف منه المجتمع الكبير.

و اخيراً مسؤولية الدعاء العام الى سائر الناس.

و هذه الاية الكريمة تعنى المرحلة الاولى التى لاتمس مسالك

١ـ ابن حزم ـ بهامش الجلالين ج٢ ص ١٧٤.

الاخرين في حد ذاتها، اذليس ضلال الاخرين مبرراً للانشغال عن تربية النفس و تهذيبها. كما ليس معنى هذا ان يتخلى الانسان عن وظيفته و مسؤوليته في الاهتمام بشؤون غيره و في سبيل دعوة الناس الى الهدى. فلم تكن سائر الايات ناسخة لهذه الاية، و انما وقعت في طولها حسب الترتيب الطبيعي للامر.

فالاية : «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم و اهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ـ التحريم: ٦» تشير الى المرحلة الثانية. و اما المرحلة الثالثة فتشير اليها الاية الكريمة:

«و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ـ البقرة : ١٤٣».

والمراحل الثلاث مندمجة في بعضها و متشابكة مع بعضها، من غير فصل بينها بتاتاً، انها مسؤوليات متلازمة و في نفس الوقت متلاحقة، ولكن تلاحقاً حسب الترتيب الطبعي، حيث المسؤولية عن النفس اولى المسؤوليات ثم المسؤولية عن الاهل، و اخيراً المسؤولية عن الجماعة. و هذا لا يعني تفككها حسب الوجود والفعلية.

٦٠ ـ ٧ ـ «يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذواعدل منكم او آخر ان من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت ـ ١٠٦».

قال جلال الدين السيوطي: منسوخة بقوله : «و اشهدوا ذوي عدل منكم ـ الطلاق : ٢» (١).

و قال ابو عبيدة : جل العلماء يتأولونها في اهل الذمة ويرونها محكمة.

و قال الطبرسي: و يقوى هذا القول تتابع الاثار بقلة النسخ في

١ـ الاتقان ج٢ ص ٢٣.

سورة المائدة و انها من محكم القرآن و آخر ما نزل (١).

قلت: التشريع الوارد فى هذه الاية ثابت عندنا لم ينسخ. فتقبل شهادة غير المسلمين فى باب الوصية فى السفر اذا لم يوجد مسلم. قال الامام الصادق عليه‌السلام: اذا كان الرجل فى بلد ليس فيه مسلم جازت شهادة من ليس بمسلم على الوصية (٢) و به قال ابو حنيفة على الشروط التى جاءت فى الاية و كذا احمد بن حنبل. نعم ذهب مالك والشافعى الى عدم القبول و ان الاية منسوخة (٣).

و اما آية الطلاق فلاتصلح ناسخة لايةالوصية. اولا ـ لان اشتراط العدالة فى شهود الطلاق لاينافى جواز شهادة الكافر فى الوصية فى السفر اذالم يوجد مسلم. فان هذا باب له احكام و ذاك باب آخر له احكام ولا تلازم بين البابين فى الحكم والموضوع.

و ثانياً ـ آية الطلاق مطلقة و آية الوصية مقيدة، ولا يصلح المطلق ناسخاً للمقيد.

و ثالثاً ـ سورة المائدة من آخر ما نزل و آياتها هى التى تنسخ ما سبقها لا العكس (٤).

٦١ ـ ٨ ـ «فان عثر على انهما استحقا اثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ـ١٠٧» اى اثنان من اولياء الميت يشهدان بدل شهادة الخائنين.

قال ابن حزم: نسختها آية الطلاق: ٢.

قلت: الاولى ان يعبر بالتقييد بدل النسخ. اذآية الطلاق تشترط العدالة فى الشاهد. و آية الوصية فى هذا الفرض مطلقة. و قد تقدمان

١ـ مجمع البيان ج ٣ ص ٢٥٧.

٢ـ الوسائل ج ١٣ ص ٣٩١.

٣ـ بداية المجتهد ـ ابن رشد ـ ج ٢ ص ٥٠٠. تفسير الالوسى ج ٧ص٤٥.

٤ـ راجع تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨٨.

لامناسبة بين الايتين.

٦٢ ـ ٩ ـ «ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اويخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ـ ١٠٨» باعتبار جواز تحليف الشاهد اذا لم يوجد من يزكيه (١).

قال: هى منسوخة بشهادة اهل الاسلام (الطلاق : ٢) (٢). و قد تقدم وهنه.

***

من سورة الانعام ـ ثلاث عشرة آية:

٦٣ ـ ١ ـ «قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ـ ١٥».

قال ابن حزم :منسوخة بقوله: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ـ الفتح : ٢».

قلت : **هذا كلام غريب!** فان الاية تعريض بالمشركين، نظير قوله تعالى: «ومالى لا اعبد الذى فطرنى و اليه تحشرون ـ يس : ٢٢». يقول قبل ذلك: «قل أغير الله اتخذ ولياً... قل انى امرت ان اكون اول من اسلم... ثم يقول : قل انى اخاف...» كما يأتى ايضاً من قوله: «قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله. قل لااتبع اهواءكم قد ضللت اذاً و ما انا من المهتدين ـ الانعام ـ ٥٦». و هذا كله تعريض بالمشركين و تأنيب لموقفهم العاتى. فليس المقصود احتمال تحقق المعصية منه صلى‌الله عليه و آله ولو مشروطاً.

ثم ان العصيان فى هذه الاية يعنى الاشراك، و هو مما ليس يغفر ابداً. فكيف يتصور انه صلى‌الله عليه وآله لو أشرك ـ والعياذبالله ـ يغفر له ؟!

١ـ تفسير الالوسى ج ٧ ص ٤٥.

٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٤.

و أخيراً فان الذنب المغفور له صلى‌الله عليه و آلـه فى سورة الفتح لايراد به الذنب الحقيقى الذى هو معصية لله تعالى بل الذنب‌فى اعين الناس، وهو الخروج على تقاليدهم و نبذ أعرافهم. فاذا فتح‌الله على يده و اظفره على اعدائه، وحقق له امانيه و اهدافـه، فان هـذا النجاح الباهر سوف يبرر جميع ما انتقده خصومه منه، حيث كان ذاك التهديم مقدمة لهذا البناء الشامخ.

و هكذا كل عملية اصلاحية عامة تتخللها مسارب للانتقاد، سوف ترمم بما يحققه المصلح العظيم من اصلاحات هامة.

قال الامام الرضا عليه‌السلام: لم يكن احد عند مشركى قـريش اعظم ذنباً من رسول‌الله، سفه احلامهم و نبذ آلهتهم. فلما فتح الله عليه صار ذنبه مغفوراً بظهوره عليهم (١).

٦٤ ــ ٢ ــ «قل لست عليكم بوكيل ــ ٦٧ ــ».

قال الزجاج : اى لم اؤمر بحربكم (٢) و من ثم فهى منسوخة بآية السيف (٣).

قلت : نفى للمسؤولية خارج اطار التبليغ، فليس صلى‌الله‌عليه وآله مسؤولا عن التأثير والقبول.

٦٥ ــ ٣ ــ «و ما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ــ ٦٩».

رخص للمؤمنين فى مجالسة المشركين ــ كما فى الرواية عـن الامام الباقر ــ عليه‌السلام (٤).

قال ابن جريج : نسختها «فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فـى حديث غيره ــ النساء : ١٤٠» (٥).

١ــ تفسير الصافى ج ٢ ص ٥٧٨.
٢ــ مجمع البيان ج ٤ ص ٣١٦.
٣ــ الناسخ والمنسوخ لابن‌العتائقى ص ٢٠١.
٤ــ مجمع‌البيان ج ٤ ص ٣١٦.
٥ــ الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠.

قلت : ليس هذا نسخاً مصطلحاً، لان المنسوخ لم يكن حكما تشريعياً جاءت به الشريعة ثم تنسخه. بل كانت مجالسة المؤمنين الى المشركين باقية على اباحتها الاصلية، لم يرد بها نهى عند ما نهى النبى صلى‌الله‌عليه وآله بالخصوص.

نعم أوهم نهى النبى صلى‌الله عليه وآله تعميماً فى‌الحكم، فتحرج المؤمنون عن مجالسة المشركين و ذلك عندما نزلت: «و اذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره. و اما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع‌القوم الظالمين ـ الأنعام: ٦٨» نهى موجه الى النبى صلى‌الله عليه وآله خاصة فزعمه المؤمنون من باب «اياك اعنى و اسمعى ياجارة» قالوا: كيف نصنع ان كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا و تركناهم فلا ندخل اذن المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت؟!

فنزلت : «و ما على الذين يتقون من حسابهم من شيء. ولكن ذكرى لعلهم يتقون ـ ٦٩» ـ اى هذا النهى لايمسكم، ولستم بمسؤولين عن عمل المشركين، ولكن اذا قعدتم اليهم او التقيتم بهم فنصحاً و وعظا لعلهم يرشدون.

اذن كان المؤمنون من ناحية مجالسة المشركين على الاباحة الاولية. و عليه فالنهى فى سورة النساء : ١٤٠ هو اول تشريع جاء بهذا الصدد، لا نسخ لتشريع سابق.

٦٦ ـ ٤ ـ «وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً ـ ٧٠».

قال قتادة : منسوخة بآية السيف ـ التوبة : ٥.

و قال مجاهد : ليست بمنسوخة، و انما هى‌تهديد و وعيد (١).

٦٧ ـ ٥ ـ «ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ ٩١».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف.

١ـ مجمع البيان ج ٤ ص ٣١٨.

قال الطبرسي: ليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار، بل على ضرب من التوعد والتهديد (١).

٦٨ ــ ٦ ــ «فمن ابصر فلنفسه و من عمى فعليها و ما انا عليكم بحفيظ ــ ١٠٤».

قال الطبرسي: و هذا قبل الامر بقتالهم، فلما امر بالقتال صار حفيظاً عليهم و مسيطراً على كل من تولى (٢).

قلت: اذا كانت الاية بصدد نفي مسؤولية النبي صلى‌الله عليه وآله عن القبول والتأثير، فالاية غير منسوخة بآية السيف. و قد تقدم نظير ذلك.

٦٩ ــ ٧ ــ «واعرض عن المشركين ــ ١٠٧».

قال ابن عباس: نسختها آية السيف.

قال الطبرسي: قيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم، ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الاسلام. فحكمه ثابت غير منسوخ (٣).

٧٠ ــ ٨ ــ «و ما جعلناك عليهم حفيظا و ما انت عليهم بوكيل ــ ١٠٨».

قيل: نسختها آية السيف. و قد مر الكلام في نظيرتها برقم ٦٨.

٧١ ــ ٩ ــ «ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ــ ١٠٩».

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. (٤).

قلت: بل هي محكمة مادام التعليل قائماً. فانه تسبيب في هتك

١ــ مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٣.
٢ــ مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٦.
٣ــ مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٦.
٤ــ بهامش الجلالين ــ ج ٢ ص ١٧٦.

مقدسات الدين و هو حرام مع الابد.

۷۲ ـ ۱۰ ـ «فذرهم و ما يفترون ـ ۱۱۲».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف.

قال الطبرسی: هی كماقال: اعملوا ماشئتم. تهديدلاترخيص. (۱).

۷۳ ـ ۱۱ ـ «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ـ ۱۲۱».

قال ابن حزم : نسختها «وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ـ المائدة : ٥».

قلت: على فرض التسليم فهو تخصيص لانسخ، لان الاية الاولى حرمت ذبائح الكفار من مشركين و اهل كتاب. و هذه الاية الثانية أحلت ذبائح اهل الكتاب فقط. فهو استثناء من ذلك العموم وتخصيص فيه، لاناسخ (۲).

و اما على مذهبنا فالاية باقية على احكامها. ولاتحل ذبائح الكفار اطلاقاً من غير استثناء. و كذا لو ترك الذابح المسلم التسمية قصداً فان ذبيحته محرمة عندنا ايضاً وفق نص الاية الكريمة (۳).

ثم ان الطعام فی آية المائدة ليس نصاً فی الذبيحة ـ و ان فسرته بذلك جماعة ـ بل هو كل ما يتناول من الغذاء، و لعل الاية ترخيص فی تناول ما يهيؤه اهل الكتاب من انواع الاغذية، و ربما تحرج المسلمون عن تناولها خشية نجاستها عندما يعالج تهيئتها اوطهيها من لايتقيد بأحكام الاسلام. فجاءت الاية بالترخيص، نظراً لاصالة الطهارة فی الاشياء مالم يعلم نجاستها يقيناً.

و بذلك يفتی فقهاؤنا فی جميع ما يستجلب من بلاد الكفر من الادوية والاغذية غير الذبائح.

۱ـ مجمع البيان ج ٤ ص ۳٥۳.

۲ـ راجع : بداية المجتهد لابن رشد ج ۱ ص ٤۷۱.

۳ـ راجع: الوسيلة لاية الله الاصبهانی ص ۱۷٦.

والطعام فى اللغة : الحبوب، و قد يختص بالبر (الحنطة). فقد روى ابوسعيد «ان النبى صلىالله عليه وآله امر بصدقة الفطر صاعاً من طعام او صاعاً من شعير» (١). هذا ولم يعهد استعمال الطعام فى نفس الذبيحة.

٧٤ ـ ١٢ ـ «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدارانه لايفلح الظالمون ـ ١٣٥».

قال ابن حزم : انها منسوخة بآية السيف.

قلت: انهاكبر تهديد موجه الى المشركين، فكيفيكون منسوخاً؟

٧٥ ـ ١٣ ـ «ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شىء انما امرهم الىالله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ـ ١٥٩».

قال الكلبى : يعنى لست مأموراً بقتالهم حينئذ فى شىء. و من ثم نسختها آية السيف (٢).

قلت: والاية تهديد لاذع بالمشركين بمستقبل سيىء، و تبرئة لساحة قدس الرسالة عن ان تكون على شاكلة هؤلاء الخبثاء او من جنسيتهم اللئيمة، و كناية عن لزوم ابتعاد مخالطتهم و مقاربتهم خارجاً عن سبيل الدعوة.

***

من سورة الاعراف ـ آيتان:

٧٦ ـ ١ ـ «و ذروا الذين يلحدون فى اسمائه ـ ١٨٠».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف.

قلت: هى تهديد صارم.

١ـ مفردات الراغب ص ٣٠٤.

٢ـ مجمع البيان ج ٤ ص ٣٨٦.

٧٧-٢- «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين-١٩٩».

قال السدى: نسختها آية الزكاة و آية القتال: اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا - الحج: ٣٩ (١)».

والصحيح ان الاية محكمة، تأمر بمكارم اخلاق هـى من المثل العليا في الاسلام. انه ادب كريم في معاملة الناس و مجاملة الجاهلين. و قد فسره جبرائيل للنبى صلى‌الله عليه وآله فقال: يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك و تعطي من حرمك و تصل من قطعك (٢).

و قال النبى صلى‌الله عليه وآله: الا ادلكم على مكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة، فذكر مثل ذلك، ثم تلاهذه الاية (٣).

والاية نظيرة قوله تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن - النحل : ١٢٥».

* * *

من سورة الانفال - ست آيات:

٧٨ - ١ - «يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله - ١».

فسروا الانفال بغنائم الحرب مطلقاً، و من ثم قالوا: هى منسوخة بآية الخمس: «واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى - الانفال : ٤١». (٤).

فالاية الاولى جعلت الغنائم كلها لله و للرسول. والثانية خصصت

١- الدر المنثور ج ٣ ص ١٥٤.

٢- مجمع البيان ج ٤ ص ٥١٢.

٣- الدر المنثور ج ٢ ص ١٥٤.

٤- روح المعانى - الالوسى - ج ٩ ص ١٤٢.

خمسها فقط، و عممت المستحق الى ذوى القربى واليتامى... الخ.

و هذا تفسير خطاء، لان الانفال غير الغنائم، و هى تخص الرسول دون سائر المسلمين. اما الغنائم فخمسها للرسول و صنفه والباقى للمحاربين.

والانفال ــ على ما فى تفسير اهل البيت ــ كل ما أخذ من دارالحرب بغير قتال، و كل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ــ و هو المعروف عند الفقهاء بالفيء ــ كذلك ميراث من لا وارث له. وقطائع الملوك من غير غصب. والاجام و بطون الاودية والارضون الموات. و نحو ذلك (١).

والغنائم : ما أخذ من معسكر العدو بعد هزيمتهم، من المنقول نقوداً و أمتعة.او أخذ من دارالحرب ــ من المنقول ــ بعد الاستيلاء عليها بقتال.

فآية الانفال تعنى شيئاً. و آية الغنيمة تعنى شيئاً آخر. فلا نسخ حينئذ.

٧٩ ــ ٢ ــ «و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم و ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ــ ٣٣».

قال ابن حزم : نسختها الاية بعدها: «و مالهم ان لا يعذبهم الله و هم يصدون عن المسجد الحرام ــ ٣٤».

قلت: الاية الاولى نزلت جواباً عن تحدى المشركين، اذقالوا: اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم ــ ٣٢».

فقد عللت الاية امتناع نزول العذاب بأمرين ــ على سبيل مانعة الخلو ــ الاول ــ وجود النبى صلى‌الله عليه وآله بين اظهرهم، و وجوده صلى‌الله عليه‌وآله رحمة تمنع نزول العذاب. الثانى ــ وجود

١ــ مجمع‌البيان ج ٤ ص ٥١٧. الصافى ج ١ ص ٦٣٦. و راجع : الوسائل ج٦ ص ٣٦٤.

من يستغفر من مؤمنى قريش فى مكة، فان المؤمن لا يعذب بعذاب المشركين.

فهم مأمونون عن العذاب فى ظل هذين او احدهما.

والاية الثانية اوضحت استحقاق المشركين ـ فى حد ذاتهم ـ لنزول العذاب عليهم، بسبب ما يقومون من اعمال اعتدائية ظالمة.

فهم فى حد ذاتهم مستحقون للعذاب لولا الامانان. اذن فالاية الثانية ذكرت أصل الاستحقاق والاقتضاء. والاية الاولى ذكرت المانع من النزول، جواباً للتحدى المذكور.

و من ثم لما هاجر النبى صلى‌الله عليه وآله من مكة، و هاجر المؤمنون، ارتفع الحاجز و نزل العذاب على المشركين بأيدى المؤمنين، و عمهم الخزى والفضيحة والعار.

و عليه فالاية محكمة و عامة و جارية مع الابد: قال امير المؤمنين عليه‌السلام: «كان فى‌الارض أمانان من عذاب الله و قد رفع احدهما فدونكم الاخر، فتمسكوا به ـ و قرأ الاية ـ» (١).

٨٠ـ ٣ـ «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ـ ٣٨».

قال ابن حزم : نسختها الاية بعدها : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله ـ ٣٩» (٢).

قلت : الاية الاولى تعنى الانتهاء عن الكفر والاشراك بقبول الاسلام، و هذا المعنى غير منسوخ قطعاً، فان الاسلام يجب ما قبله، ولا يجوز قتال من اعتنق الاسلام وتاب الى الله . فالامر بالقتال فى الاية الثانية انما هو فى صورة عدم الانتهاء و عدم التوبة.

٨١ ـ ٤ ـ «و ان جنحوا للسلم فاجنح لها ـ ٦١».

قال الحسن وقتادة : انها منسوخة بآية السيف (التوبة : ٥) و آية

١ـ مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٩.

٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٨.

القتال (التوبة : ٢٩).

قال الطبرسی: آیتا التوبة نزلتا فی سنة تسع. و قد صالحرسول‌الله صلی‌الله علیه وآله وفـد نجران بعدها. الامر الذی یدل علی ان آیة السلم غیر منسوخة بهاتین ـ (١).

وعلق الشعرانی علی کلام الطبرسی هذا ـ بـأن النبی صلی‌الله علیه وآله عاقد وفد نجران علی قبول الذمة، ولیس هذا صلحاً.

قلت: قد سبق ان تشریع القتال اجتاز مراحل، نسخت کل تالیة سابقتها، و فی رسالة النعمانی: ان التی نسختها هـی قوله «ولا تهنوا و تدعوا الی السلم و انتم الاعلون والله معکم ولن یترکم اعمالکم ـ القتال ٣٥» (٢).

٨٢ ـ ٥ ـ «ان یکن منکم عشرون صابرون ـ ٦٥».

نسختها الایة بعدها : «الان خفف الله عنکم ـ ٦٦» و قد تقدم ذلك برقم ٢ فیما اخترناه من النسخ ص ٣٠١.

٨٣ ـ ٦ ـ «ان الذین آمنوا و هاجروا وجـاهدوا بأموالهـم و انفسهم فی سبیل‌الله والذین آووا و نصروا اولئك بعضهم اولیاء بعض ـ ٧٢».

نسختها : «و اولـوا الارحام بعضهم اولی ببعض فـی کتاب‌الله من‌المؤمنین والمهاجرین ـ الاحزاب : ٦».

و قد تقدم ذلك برقم ٥ فیما اخترناه من‌النسخ ص ٣٠٩.

****

من سورة التوبة ـ ثمانی آیات:

٨٤ ـ ١ ـ «فسیحوا فی‌الارض اربعة اشهر ـ ٢ ـ».

١ـ مجمع البیان ج ٤ ص ٥٥٥.

٢ـ بحار الانوار ج ٩٣ ص ٧.

قال ابن حزم : نسختها «فاذا انسلخ الاشهـر الحرم فـاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ ٥ ـ».

قلت: من شرط النسخ انلايكون الحكم المنسوخ محدوداً او مشروطاً، ينتهى بانتهاء أمده، او ينتفى بانتفاء شرطه.

٨٥ ـ ٢ ـ «فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهم ـ ٥ ـ».

قال ابن العتائقى : نسختها «فان تابوا و اقاموا الصلاة و آتـوا الزكاة فخلوا سبيلهم ـ ٥ ـ» قال: و هذا من عجائب القرآن، اذآية السيف تنسخ مأة و اربعاً و عشرين آية، ثم هى تنسخ بذيلها (١).

قلت: اذا اختلف الشرط و تبدل الموضوع فلا نسخ حينذاك.

٨٦ ـ ٣ ـ «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فـى سبيل‌الله ـ ٣٤».

قال ابن حزم : نسختها آية الزكاة الواجبة.

قلت : لا منافاة بين تحريم كنز المال دون تصريفها و انفاقهـا، و وجوب الزكاة عند توفر شروطها. فاذا كان المقصود بسبيل‌الله هو الجهاد المقدس فالانفاق فى‌سبيله فرض‌واجب على‌المتمكنين الاثرياء، مستقلا عن وجوب الزكاة، التى يجب صرفها علـى الفقراء و فـى المصالح العامة.

٨٧ ـ ٤ـ «ان لا تنفروا يعذبكم عذاباً اليماً ـ ٣٩ ـ».

قال ابن حزم : نسختها «و ما كان المؤمنون لينفروا كافة ـ التوبة : ١٢٢».

قلت : الاية الاولى تشريع يوجب اصل النفر..والاية الثانية تقييد فى كيفيته و تخصيص فى عمومه، من غير نسخ.

٨٨ ـ ٥ ـ «عفا الله عنك لم اذنت لهم ـ ٤٣ ـ».

و وهم ابن حزم فزعمها منسوخة بقوله «فاذا استأذنـوك لبعض

١ـ الناسخ والمنسوخ ـ لابن العتائقى ص ٢٠٥.

شأنهم فأذن لمن شئت منهم ـ النور : ٦٢» (١) في حين ان آية النور نزلت قبل آية التوبة بأعوام. وليته ـ و هو يحاول تكثير جانب النسخ هنا ـ عكس القضية.

والتحقيق : ان مورد آية التوبة يختلف عـن مورد آيـة النور اختلافاً كلياً، و ذلك: أن آية النور تصف اجتماع المؤمنين و التفافهم حول رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله لا يفارقونه فيمابيهم من امور عامة، اللهم الاعرضت لهم عارضة فيستأذنون النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فـي ترخيص معالجتها، فامره الله بالاذن لهم: ـ

«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله. و اذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه. ان الذين يستأذنونك اولئك‌الذين يؤمنون بالله و رسوله. فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فـأذن لمن شئت منهم ـ النور : ٦٢».

فموضوع الترخيص استيذان المؤمنين حقاً.

و اما آية التوبة فتعني اولئك المنافقين المتعنتين، كانوا يلتمسون المعاذير للفرار عن الزحف : ـ

«لوكان عرضاً قريباً و سفراً قاصداً لاتبعوك. ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله‌لواستطعنا لخرجنا معكم. يهلكون انفسهم. والله يعلم انهم لكاذبون ـ ٤٢».

«عفاالله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين ـ ٤٣».

«لايستأذنك الذين يؤمنون بـالله واليوم الاخـر ان يجـاهدوا بأموالهم و انفسهم والله عليم بالمتقين. انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في‌ريبهم يترددون ـ ٤٤ـ٤٥».

«ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة. ولكن كره الله انبعاثهم

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٩.

فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ـ ٤٦».

«و منهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى .الافى الفتنة سقطوا و ان جهنم لمحيطة بالكافرين ـ ٤٩».

«و يحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ـ ٥٦».

هذه جملة الايات، ليستبين منها الباحث مدى مابين موردها و مورد آية النور من اختلاف.

ولعل النبى صلى‌الله عليه وآله اذن لبعضهم استناداً الى الاختيار الذى خوله الله له فى آية النور، جرياً على ظاهر اسلامهم. فجاءته آية التوبة معاتبة فى عتاب لطيف، بدأته بالعفو والسماح ثم العتاب الودى الرقيق. و موضحة ان مورد الاذن المجاز غير هؤلاء الذين مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ـ التوبة : ١٠٢.

فليس هنا نسخ البتة. و انما هو تنبيه على تشابه حصل فى تطبيق حكم على غير مورده اللائق.

٨٩ ـ ٦ ـ «استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ـ ٨٠».

قال ابن حزم: منسوخة بآية «سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ـ المنافقون : ٦».

ولعله نظر الى ما ورد من قوله صلى‌الله عليه وآله: والله لازيدن على السبعين (١) فنزلت الثانية بعدم جدوى الاستغفار للكفار اطلاقاً. غير ان الاحاديث بذلك مضطربة، و لامستند صحيحاً لها عندنا. وحاشا النبى صلى‌الله عليه وآله و هو من صميم العرب، أن يأخذ من عدد السبعين فى امثال هذا الكلام خصوصية العدد، دون المبالغة فى الكثرة!

١ـ راجع: البخارى ج ٦ ص ٨٥.

والتحقيق: ان الاية الاولى اخبار بصورة الطلب، كقول كثير عزة : «أسيئى بنا او احسنى لاملـومة». اى سـواء أسأت ام احسنت. فكانت الاية الاولى كالثانية من غير فرق، فلا اختلاف ولانسخ (١).

٩٠ ـ ٧ ـ «الاعراب اشد كفراً و نفاقاً و اجدران لايعلموا حدود ما انزل الله ـ ٩٧».

٩١ ـ ٨ ـ «و منالاعراب من يتخذ ما ينفق مغـرماً و يتربص بكم الدوائر ـ ٩٨».

قال ابن حزم : نسختهما «و من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر و يتخذ ما ينفق قربات عندالله ـ ٩٩».

اقول : هذا استثناء و تخصيص بعد تعميم. فالاعراب بنوعيتهم اهل كفر و نفاق، الاالبعض ممن اهتدى الىالايمان والاسلام. وهذا لايمس باب النسخ بشيء.

* * *

من سورة يونس ـ ثماني آيات:

٩٢ ـ١ ـ «انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ـ ١٥».

قال ابن حزم: نسختها «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ـ الفتح : ٢»

وقد تقدم: ان الذنب فى آية الفتح يراد به الخروج على عادات الناس و اعرافهم، فانه يغفر بالظفر و تحقق الاهداف الاصلاحية التى يحاولها المصلح الموفق. و اينذا و عصيان الله تعالى فى آية يونس، مراداً به مخالفة الوحى و متابعة اهواء الناس.

ومنالمحتم انه صلىالله عليهوآله ـ فىالفرض المحال ـ لوخان

١ـ راجع مجمعالبيان ج ٥ ص ٥٥. والكشاف ـ الهامش ـ ج ٢ ص ٢٩٥.

ربه و بدل القرآن حسب اهواء المشركين لم يكن يغفر الله له ذلك ابداً. ونحن نستغرب كيف وهم ابن حــزم في شمول المغفرة لمعصية فيها تبديل كلمات‌الله و تحريف شريعته؟!

۹۳ـ ۲ ـ «قل انتظروا انی معکم من‌المنتظرین ـ ۲۰».

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الاية تهديد بعذاب عاجل. فهو تمهيد لاية السيف، فكيف تنسخ بها؟

۹٤ـ۳ـ «و ان كذبوك فقل لی عملی ولكم عملكم ـ ٤١».

قال: نسختها آية السيف.

قال الطبرسی: لامنافاة بين الايتين، لان هذه براءة و وعيد. وهی لاتنافی الجهاد (۱).

۹٥ ـ ٤ـ «و اما نرينك بعض الذی نعدهــم اونتوفينك فالينا مرجعهم ـ ٤٦».

قيل: هی وعد للنبی صلی‌الله عليه‌وآله بالانتقام من عدوه اما فی حياته او بعد وفاته، من غير تحديد بوقت. و من ثم فهی منسوخة بآية الفتح و آية السيف (۲).

قلت: الوفاء بالوعد ليس نسخاً.

۹٦ـ ٥ ـ «أفأنت تكره الناس حتی يكونوا مؤمنين ـ ۹۹».

قال ابن العتائقی: نسختها آية السيف.

قلت: الاية تسلية للنبی صلی‌الله عليه و آلــه و تأييس كما فــی نظائرها: «لست عليهم بمسيطر ـ الغاشية: ۲۲». «و ما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ـ يــوسف: ۱۰۳» «فلا تــذهب نفسك عليهم حسرات ـ فاطر: ۸».

۱ـ مجمع البيان ج ٥ ص ۱۱۱.

۲ـ الناسخ والمنسوخ لابن العتائقی ص ۲۰۷.

٩٧ ـ ٦ ـ «قل فانتظروا انی معكم من المنتظرين ـ ١٠٢».
قال: نسختها آية السيف. قلت: هی تهديد و وعيد شديد، تمهيداً لنزول السيف.

٩٨ ـ ٧ ـ «و من ضل فانما يضل عليها و ماانا عليكم بوكيل ـ ١٠٨».
قال ابن حزم: نسختها آية السيف.
قلت: قد سبق ان امثال الاية تعنی محدودية مسؤولية الرسول بالابلاغ والانذار، اما التأثير والقبول، فهذا شیء خارج عن اطار مسؤوليته صلی‌الله عليه وآله.

٩٩ ـ ٨ ـ «و اتبع مايوحی اليك و اصبر حتی يحكم الله و هو خير الحاكمين ـ ١٠٩».
قال ابن العتائقی: نسختها آية السيف (١).
قلت: انها تصبير للنبی صلی‌الله‌عليه وآله و وعد له بالنصر، كما هو وعيد للمشركين. والصبر شيمة الانبياء، و كانت آية السيف بالنسبة الی هذه تحقيقاً للوعد. والوفاء بالوعد ليس نسخاً.

* * *

من سورة هود ـ اربع آيات:

١٠٠ ـ ١ ـ «انما انت نذير ـ ١٢».
قال: نسختها آية السيف. قلت: هی ايضا تحديد للمسؤولية فی التبليغ دون التأثير.

١٠١ ـ ٢ ـ «من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف اليهم اعمالهم فيهاوهم فيها لايبخسون ـ ١٥».

١ـ الناسخ والمنسوخ ص ٢٠٧.

قال ابن حزم: نسختها «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ـ الاسراء : ١٨».
قلت : الاية الثانية تخصص الاولى و تقيدها بما يتوافق والمصلحة التى يراها الله. فليس كل من يريد الدنيا حصل عليها. و قد سبق ان التخصيص غير النسخ.

١٠٢ ـ ٣ ـ «وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون ١٢١».
قال ابن حزم : نسختها آية السيف.
قلت : سبق أنها تهديد و وعيد تمهيداً للجهاد.

١٠٣ ـ ٤ ـ «و انتظروا انا منتظرون ـ ١٢٢».
قال: نسختها آية السيف. لكنها كسابقتها غير منسوخة.

* * *

من سورة الرعد ـ آيتان:

١٠٤ ـ ١ ـ «و ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ـ ٦».
قال ابن حزم : الظلم ـ هنا ـ الشرك. و من ثم فالاية منسوخة بقوله تعالى: «ان الله لايغفران يشرك به ـ النساء : ٤٨».
قلت: الظلم مطلق العصيان، فهو ظلم على النفس بحرمانها سعادة الطاعة. و ظلم على الله بكفران نعمه. لكنه تعالى واسع المغفرة: ان الله يغفر الذنوب جميعاً ماعدا شركاً يموت عليه الكافر. فهو تخصيص لانسخ.

١٠٥ ـ ٢ ـ «فانما عليك البلاغ و علينا الحساب ـ ٤٠».
قال : هى منسوخة بآية السيف.
لكنها تحديد لمسؤولية الرسول فى التبليغ دون التأثير. و قد

سبق ذلك.

* * *

من سورة ابراهيم ـ آية واحدة :

١٠٦ ـ ١ ـ «و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار ـ ٣٤».

قال ابن‌زيد: منسوخة بقوله تعالى: و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم ـ النحل : ١٨».

قال ابن حزم : لكن جمهور المفسرين على انها محكمة (١) اذلا منافاة بين ظلم العباد و غفران المولى تعالى.

* * *

من سورة الحجر ـ خمس آيات :

١٠٧ ـ ١ ـ «ذرهم يأكلوا و يتمتعـوا ويلههم الامـل فسوف يعلمون ـ ٣».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف.

لكنه تهديد بمستقبل أسود، و ليس معناه ترك الدعاء الى‌الاسلام.

و قد مر نظيره فى سورة الانعام الاية ٩١.

١٠٨ ـ ٢ ـ «فاصفح الصفح الجميل : ٨٦».

قال مجاهد: منسوخة بآية القتال (الحج: ٣٩). و قد سبق ذلك فى آيات الصفح برقم: ٦ ص ٣١١.

١٠٩ ـ ٣ ـ «لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم: ٨٩».

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨١.

قال ابن‌حزم : نسخت بآية السيف.

لكنه نهى ان يحفل الرسول صلى‌الله عليه وآله بما اعطى الله من يريد امتحانه و ابتلائه، و هذا معنى لايقبل نسخاً أبداً.

١١٠ ـ ٤ ـ «و قل انى انا النذير المبين : ٩٠».

قال: نسختها آية السيف.

قلت : اثبات النذارة لايستدعى نفى ماعداها، فلا تنافى بينها وبين تشريع الجهاد.

١١١ ـ ٥ ـ «واعرض عن المشركين : ٩٥».

قال الطبرسى : اى لاتخاصمهم حتى تؤمر بقتالهم (١) وهى من آيات الصفح المنسوخة.

* * *

من سورة النحل ـ خمس آيات:

١١٢ ـ ١ ـ «تتخذون منه سكراً و رزقاً حسناً : ٦٨».

روى العياشى عن الامام الصادق عليه‌السلام: انهـا نـزلت قبل تحريم الخمر، ثم نسخت بآية التحريم (المائدة : ٩١) (٢).

والاية توطئة لتحريم الخمر، لانها تلميح الى ان الرزق الحسن غير الخمر، والخمر ماحرمت بصورة تدريجية فى‌اربعة مواقف انتهت الى آية المائدة. والتشريع التدريجى يستدعى نسخ كل مرتبة تالية لمرتبة سابقة. و هذا ليس من النسخ المصطلح، اذلم تكن المـرحلة السابقة مرحلة ترخيص لتتبدل الى تحريم بل توطئة و تمهيد لهـذا التحريم النهائى. و من ثم قال المحدث الفيض: و معنى النسخ هنـا

١ـ مجمع البيان ج ٦ ص ٣٤٦.

٢ـ تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٦٣.

نسخ السكوت، حيث لم تكن الخمر حلالا في وقت (١).

١١٣ ـ ٢ ـ «فان تولوا فانما عليك البلاغ : ٨٢».

قال ابن حزم : نسخت بآية السيف.

و قدسبق مكرراً انها تسلية للنبى صلى‌الله عليه وآله بانه ليس مسؤولا عن تأثير الدعوة، فلا عتب عليه ولالوم في اعراض قريش عن قبول الاسلام. وليس في الاية دلالة على منع التعرض لهم بالخصومة.

١١٤ ـ ٣ ـ «من كفر بالله من بعد ايمانه : ١٠٧».

قال : نسختها : «الا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان» في ذيل الاية.

و هذا عجيب من مثل ابن حزم، لأن المستثنى والمستثنى منه كلام واحد، ولامعنى لنسخ المستثنى للمستثنى منه. فانه تخصيص.

على ان الاستثناء هنا منقطع، لان موضوع الحكم اولا هو الكفر بالله حقيقة. و موضوع الحكم الثانى هو الكفر بالله ظاهرياً، فهواستثناء على حسب ظاهر الكلام. و على اى تقدير فان الحكم الاول لم ينسخ.

١١٥ ـ ٤ ـ «وجادلهم بالتى هى احسن: ١٢٦».

١١٦ ـ ٥ ـ «واصبر و ما صبرك الا بالله: ١٢٧».

قال ابن حزم : نسختهما آية السيف.

قلت : المجادلة بالطريقة الحسنى، والصبر فى سبيل اداء الرسالة، هما من اوليات واجب الرسول «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ آل عمران: ١٥٩» الامر الذى لا يقبل النسخ ابداً.



١ـ تفسيرالصافى ج ١ ص ٩٣٠.

من سورة الاسراء ثلاث آيات :

١١٧ ـ ١ ـ «وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً : ٢٤».

قال ابن حزم : ان جانباً من هذه الاية منسوخ بقوله تعالى: «ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى ـ التوبة : ١١٣».

و هذا تخصيص لانسخ.

١١٨ ـ ٢ ـ «وما ارسلناك عليهم وكيلا : ٥٥».

قال : نسختها آية السيف. قلت : قد سبق انها تسلية للنبى وتحديد لمسؤوليته صلى‌الله عليه‌وآله.

١١٩ ـ ٣ ـ «اياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى : ١١٠».

قال : نسختها «و اذكر ربك فى نفسك تضرعاً و خيفة و دون الجهر من‌القول ـ الاعراف : ٢٠٥».

قلت : لامنافاة بين الايتين، فان الاولى ترخيص فى تسميته تعالى ـ عند الدعاء ـ بأى اسمائه الحسنى. والثانية تشترط ان يكون الدعاء بتضرع وخيفة. فهى قيد للاولى لاناسخة.

ففى سورة الاسراء : «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمان ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى. ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها و ابتغ بين‌ذلك سبيلا : ١١١».

و فى سورة الاعراف : «و اذكر ربك فى نفسك تضرعاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو والاصال : ٢٠٥».

* * *

من سورة الكهف ـ آية واحدة:

١٢٠ ـ ١ ـ «فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر : ٢٩».

قال السدى : انها منسوخة بقوله تعالى «ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ـ الانعام : ١١١» (١).

قلت : اولا ـ ان آية الكهف تهديد لاذع، وليس تعليقا على مشيئة المكلف. نظراً لتعقيبه بقوله «انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها و ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقاً : ٢٩».

و ثانياً ـ ان التعليق على مشيئة الله فى آية الانعام يراد به الالجاء والاكراه تيئيساً للنبى عن تأثير الدعوة فيهم، و هى قضية خاصة معهودة، وليست بعامة، يقول تعالى: «ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا. الا ان يشاء الله» اى الا ان يجبرهم على الايمان، والافهم حسب اختيارهم لايؤمنون ابداً (٢).

* * *

من سورة مريم ـ اربع آيات :

١٢١ ـ ١ ـ «و انذرهم يوم الحسرة : ٣٩».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف. قلت: لامنافاة بين وجوب الانذار اولا ثم وضع السيف فيهم.

١٢٢ ـ ٢ ـ «فسوف يلقون غياً : ٥٩».

قال : نسخها الاستثناء : «الا من تاب : ٦٠».

قلت : فى الاستثناء يتبدل الموضوع، و بذلك ينتفى شرط تحقق النسخ.

١ـ رسالة الناسخ والمنسوخ ـ لابن حزم ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٣.

٢ـ راجع: مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥١.

١٢٣ ـ ٣ ـ «قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً: ٨٤».
قال: نسختها آية السيف. قلت: الاية تعنى الاستدراج بالكافر المعاند، مضافاً الى كونها تهديداً صريحاً بالاستئصال، و بقية الاية: «حتى اذا رأوا مايوعدون، اما العذاب ـ و هو الاستئصال على أيدى المؤمنين ـ و اما الساعة ـ اى عذاب الاخرة فيما اذا ماتوا على اثر ظفر المؤمنين بهم ـ فسيعلمون من هو شر مكانا و اضعف جنداً: ٧٥».
و هذا التهديد بهذا الاسلوب الصارم توطئة للامر بقتالهم المباشر قريباً، فهو ايذان بالقتال لامنسوخ به.

١٢٤ ـ ٤ ـ «فلا تعجل عليهم انما نعدلهم عداً : ٨٤».
قال ابن حزم : نسختها آية السيف. قلت : هى كالاية السابقة تهديد بقتال مباشر قريب.

* * *

من سورة طه ـ ثلاث آيات:

١٢٥ ـ ١ ـ «ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه: ١١٤».
قيل : كان النبى صلى‌الله عليه وآله يملى بالقرآن على اصحابه فور نزله قبل الانتهاء منه، حرصاً على التبليغ و خوفاً من النسيان. فجاءت الاية تؤنبه على ذلك، و هكذا قوله: «لاتحرك به لسانك لتعجل به. ان علينا جمعه و قرآنه. فاذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم ان علينا بيانه: القيامة : ١٩».
قالوا : غير ان هذه الايات لم تؤمن عليه الحفظ، فلم يزل صلى‌الله عليه وآله يخشى النسيان، فكان يتعب نفسه الشريفة فى حفظ ما ينزل عليه من القرآن. خوف ان يصعد جبرئيل و قد نسى شيئا مما نزل به.

كذا روى عن السدى (١) ـ حتى نزلت: «سنقرئك فلا تنسى ـ الاعلى: ٦» فزال قلقه صلى‌الله عليه وآله. قال ابن حزم: فكانت هذه الاخيرة ناسخة للاولتين، لكن نسخاً معنوياً، اى ازالت سبب خوفه صلى‌الله عليه وآله مما لم تزله الايتان بصراحة (٢).

قلت: سورة الاعلى من اوليات ما نزل بمكة، و لعلها السورة الثامنة فى ترتيب نزولها. و اما سورة طه فنزلت بعد الاربعين (٣). و هكذا سورة القيامة كانت الواحدة والثلاثين. فكيف تكون المتقدمة ناسخة للمتاخرة ؟!.

ثم فى تعقيب آية طه جاء قوله: «وقل رب زدنى علماً ـ ١١٥» مما تؤمن عليه الحفظ يقيناً. و هكذا جاء التأمين فى سورة القيامة.

والظاهر: ان الايات الثلاث تعنى شيئا واحداً. وجاءت كل واحدة مؤكدة للاخرى مؤمنة على النبى ماكان يخشاه. الامر الذى يشى بمبلغ اهتمام النبى بهذا القرآن و حرصه على هذا الدين. و أخيراً فقد ارتاح صلى‌الله عليه وآله عند ما نزل «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون ـ الحجر: ٩».

١٢٦ ـ ٢ ـ «فاصبر على ما يقولون ـ ١٣٠».

١٢٧ ـ ٣ ـ «قل كل متربص فتربصوا ـ ١٣٥».

قال ابن حزم: منسوختان بآية السيف.

قلت: الصبر من شيمة الانبياء لا يزالون عليه مادام الجهل متحكماً فى نفوس الامة. و اما الامر بالتربص فى الاية الثانية فهو تهديد و وعيد. فكلتا الايتين محكمتان.

***

١ـ الدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩.

٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٧٤.

٣ـ وهى الخامسة والاربعون حسب ترتيب نزولها. راجع: الجزء الاول ص ١٠٤.

من سورة الانبياء ـ آيتان:

۱۲۸ ـ ۱ ـ «انكم و ما تعبدون من دون‌الله حصب جهنم ـ ۹۹».
۱۲۹ـ ۲ ـ «و كل فيها خالدون لهم فيها زفير ـ ۱۰۰».
قال ابن حزم : نسختهما «ان الذين سبقت لهم منا الحسنی‌اولئك عنها مبعدون ـ ۱۰۱» (۱).

هذا بناءعلى شمول الايتين لمثل‌عيسى بن‌مريم و عزير والملائكة الذين عبدهم الناس جهلا و اتخذوهم ارباباً من عند أنفسهم. و عليه فالاية الاخيرة تخصيص و استثناء لانسخ، كما لايخفى.

لكن الظاهر: ان هذه الاية تعنى طائفة المؤمنين، تجـاه طـائفة المشركين، كما فى‌قوله: «فريق فى‌الجنة وفريق فى‌السعير ـ الشورى: ۷». و قوله: «فمنهم شقى و سعيد، فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق ... و اما الذين سعدوا ففى الجنـة خالدين فيهـا ـ هود: ۱۰۸».

* * *

من سورة الحج : خمس آيات:

۱۳۰ ـ ۱ ـ «انما أنا لكم نذير مبين ـ ٤۹ ـ».
قال ابن العتائقى، منسوخة بآيـة السيف (۲). قلت : هـى نفى للمسؤولية فى خارج اطار التبليغ.

۱۳۱ ـ ۲ ـ «و ما ارسلنا من قبلك من رسول و لانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته ـ ۵۲».
قال ابن حزم : نسختها : «سنقرؤك فلا تنسى ـ الاعلى : ٦».
قلت : سورة الحج مدنية. و سورة الاعلى مكية. و لايجوز ان

۱ـ بهامش الجلالين ج ۲ ص ۱۸۵.
۲ـ الناسخ والمنسوخ ص ۲۱۳.

يتقدم الناسخ على المنسوخ بعشرات السنين!

والصحيح : ان آية «سنقرؤك فلا تنسى ــ الاعلى : ٦» و آية «كذلك لنثبت به فؤادك ــ الفرقان : ٣٢»، و آية «نثبت به فؤادك ــ هود : ١٢٠»، وآية «لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ــ الاسراء : ٧٤»، كل ذلك دلائل واضحة على عصمة النبي صلى‌الله عليه وآله من احابيل ابليس. «و اما ينزغنك من‌الشيطان نزغ فاستعذ بالله ــ فصلت : ٣٦».

فقد كان النبي صلى‌الله عليه وآله بنص هذه الايات في عصمة الله و في كنفه القويم منذ أن كان بمكة، قبل ان تنزل عليه سورة الحج بالمدينة.

اما آية الحج فتعني محاولة الشيطان بأساليبه الخداعة في انحراف الامة عن جادة الهدى و انقلابهم على اعقابهم بعد وفاة الرسول‌صلى‌الله عليه وآله كما جاءت الاشارة اليه في سورة آل‌عمران آية: ١٤٤ والتفصيل نؤجله الى مجال التفسير.

١٣٢ ــ ٣ ــ «الملك يومئذ لله يحكم بينهم ــ ٥٦».

قال : نسختها آية السيف.

قلت : ليس معنى الاية انه تعالى لايحكم عليهم في هذه الدنيا ابداً، و يؤجله الى يوم القيمة فحسب. ليكون تشريع قتالهم نسخاً لها.

فالحكم الفصل بين المؤمن والكافر يوم القيامة ثابت لامحالة، من غير منافاة لوجوب منابذتهم في هذه الحياة ايضاً.

١٣٣ ــ ٤ ــ «و ان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ــ ٦٨».

قال ابن العتائقي : نسختها آية السيف (١) نظراً لان هذا كان قبل الامر بالقتال (٢).

١ــ الناسخ والمنسوخ ــ ص ٢١٣.

٢ــ مجمع البيان ج ٧ ص ٩٤.

قلت : كان اليهود او المشركون يعيرون شريعة الاكل من ذبيحة الهدى، فنزلت «لكل امةجعلنا منسكاهم ناسكوه فلاينازعنك فيالامر، و ادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم، وان جادلوك فقلالله اعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يومالقيامة فيما كنتم فيه تختلفون ــ ٦٩» فنهى الله نبيه ان يفتح فيوجه خصومه بابالمجادلة فيانحاء التشريع، حيث الدين تعبد كله، و ما تستطيع البشرية من الوقوف على اسرار التشريعيات، ولا سيما فى باب العبادات. فلكل امة شريعة و منهاج يسلكونه انقياداً لله، فكما ان فى شريعة الاسلام اسراراً خافية كذلك فى شرائع سلفت، وليس حكم تلك الشرائع بذلك الوضوح الذى تستوضحونه فى أحكام الاسلام.

فأمر النبى صلىالله عليه و آله فى مواصلة دعوته، غير آبه بتعيير خصومه، مادام مستيقناً بهدى طريقته المستقيمة، و عليه فالاية محكمة.

١٣٤ ــ ٥ ــ «وجاهدوا فيالله حق جهاده ــ ٧٨».

قال : نسختها «فاتقوا الله ما استطعتم ــ التغابن: ١٦».

قلت : القدرة شرط عقلى فى التكليف ،ولاتكليف مع العجز اصلا. و عليه فلا يعقل ان تكون الاية الاولى اوجبت فوق المستطاع كى تنسخها الاية الثانية، و انما الثانية بيان للاولى، و ان حق الجهاد هى المجاهدة على قدر المستطاع، نهياً عن التوانى والتكاسل فى أمر الدين. فلا تنافى بين الايتين اصلا. و قدسبق نظير هذا الكلام فى الاية (١٠٢) من سورة آل عمران برقم ٣١.

* * *

من سورة المؤمنون ــ آيتان:

١٣٥ ــ ١ ــ «فذرهم فى غمرتهم حتى حين ــ ٥٤».

١٣٦ ــ ٢ ــ «ادفع بالتى هى احسن السيئة ــ ٩٦».

قال ابن حزم : نسختهما آية السيف.

قلت: اما الاية الاولى فتعنى الاستدراج بالمعاندين، و هذا تهديد و وعيد بليغ. والاية الثانية تعنى المجاملة الحسنة التى هى شيمة خاصة بالانبياء و من يحذو حذوهم من مصلحين محنكين. بشاهد أنها جاءت في سورة «فصلت» قبل نزول سورة «المؤمنون» بزيادة هى توضح هذا المعنى، قال تعالى: «ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم ـ الاية : ٣٤».

* * *

من سورة النور ـ ست آيات :

١٣٧ ـ ١ ـ «الزانى لاينكح الازانية اومشركة والزانيةلاينكحها الازان او مشرك و حرم ذلك على المؤمنين ـ ٣».

قال سعيد بن المسيب: منسوخة بقوله تعالى: «و انكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ـ ٣٢» (١). و بالاجماع على جواز التزويج والتزوج بالزانى والزانية ـ نعم على كراهية في الشريعة ـ (٢).

قلت : الاية الاولى ليست بصدد تشريع حكم، بل بصدد تفظيع عملية الزنا والتشنيع عليها، انها فعلة تستبشعها نفسية المؤمن الكريمة، ولا يرتكبها من يرتكبها و هو مؤمن، و انما هى حالة نفسية قذرة بعيدة عن حوزة الايمان الطاهرة. وفي ذلك ترغيب بنفوس مؤمنة عن الانسجام مع هذا الصنف المدنس من الناس، فلاترغب نفس صالحة في عقد رباط مع نفس خرجت عن وشائج الايمان بارتكاب هذه الشنعة. فان الطيور على أشكالها تقع.

١ـ مجمع البيان ج ٧ ص ١٢٥.

٢ـ وقد أخذ احمد بن حنبل بظاهر التحريم فى الاية.

قال السيد عبدالله شبر : اى الذى من شأنه الـزنا لا يرغب فيه الصلحاء، و حرم ذلك على المؤمنين اى نزهوا عن الرغبة فى نكاح زانية.

وعليه فالاية محكمة. لان من شـرط النسخ ان يكـون المنسوخ ذاحكم تشريعى.

١٣٨ ـ ٢ ـ «ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً : ٤».

قال ابن حزم : نسختها «الا الذين تابوا : ٥».

و قد سبق ان الاستثناء يغاير النسخ.

١٣٩ ـ ٣ـ «لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على اهلها ـ ٢٧».

قال ابن حزم : نسختها «ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم: ٢٩».

قلت : الموضوع فى الايتين مختلف، والشرط ايضاً مختلف.

١٤٠ ـ ٤ ـ «وقل للمؤمنات يغضضن من ابصـارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن : ٣١».

قال : نسختها «والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن : ٦٠».

و هذا تخصيص فى الحكم الاول حسب المصطلح.

١٤١ ـ ٥ ـ «فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الا البلاغ المبين : ٥٤».

قال : نسختها آية السيف. قلت : الاية بيان لحدود مسئولية كل من المنذر والمنذر اليهـم، فمسؤوليته فـى اطار التبليغ والدعـوة الصريحة. و مسؤوليتهم هو القبول والرضوخ للحق. ولا يتحمل احد تبعة مسؤولية الاخر. ولاتزر وازرة و زر اخرى.

١٤٢ ـ ٦ ـ «ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن : ٥٨».

قال : نسختها «و اذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا : ٥٩».
قلت : اختلف الموضوع والشرط فلانسخ.

* * *

من سورة الفرقان ــ آيتان :

١٤٣ ــ ١ ــ «و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً : ٦٣».
قال ابن حزم: نسختها آية السيف.
قلت : الاية الاولى تعني شيمة الحلم التي يتحلى بها عباد الرحمان تجاه سفاسف الجاهلين، لا تغيظهم ولاتزلهم عن مراسخ التؤدة و الاتزان وهذا معنى ثابت مع الابد.
١٤٤ ــ ٢ ــ «و من يفعل ذلك يلق أثاماً : ٦٨».
قال : نسختها «الا من تاب و آمن و عمل صالحاً : ٦٩».
قلت : هذا استثناء وتبدل في الموضوع.

* * *

من سورة الشعراء ــ آية واحدة :

١٤٥ ــ ١ ــ «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم‌تر أنهم في كل واد يهيمون و أنهم يقولون مالا يفعلون: ٢٢٦».
قال ابن حزم : نسختها «الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيراً: ٢٢٧».
قلت: اختلف الشرط فلانسخ.

* * *

من سورة النمل ـ آية واحدة :

١٤٦ ـ ١ ـ «و من ضل فقل انما انا من المنذرين: ٩٢».
قال ابن حزم : نسختها آية السيف.
وقد سبق انها تحديد لمسؤولية النبى ـ صلىالله عليه و آله ـ فى اطار الدعوة والتبليغ دون القبول والتأثير.

***

من سورة القصص ـ آية واحدة:

١٤٧ـ ١ ـ «و اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه و قالوا لنا اعمالنا و لكم اعمالكم لا نبتغى الجاهلين: ٥٥».
قال ابن حزم : نسختها آية السيف.
قلت: الاية تصف المؤمنين بنعوت هى من سمات العقلاء ابدياً.

***

من سورة العنكبوت ـ آيتان:

١٤٨ ـ ١ ـ «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن: ٤٦».
قال قتادة : منسوخة بآيةالسيف(١) . وقيل بآية قتال اهلالكتاب (التوبة : ٢٩) (٢).
قال الطبرسى: الاية محكمة لان الجدال علـى الوجه الاحسن هو الواجب الذى لايجوز غيره. و قد مر نظيره فى الاية ٩٦ فى سورة

١ـ مجمع البيان ج ٨ ص ٢٨٧.
٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٩.

المؤمنون برقم ١٣٦.

١٤٩ــ٢ــ «و انما انا نذير ــ ٥٠» قال ابن العتائقي: نسختها آية السيف (١) قلت: تحديد لامكانات الرسول صلى‌الله‌عليه وآلــه في مجال الدعوة والتبليغ.

* * *

من سورة الروم ــ آية واحدة:

١٥٠ ــ ١ــ «فاصبر ان وعــد الله حــق و لا يستخفنك الذيــن لايوقنون ــ ٦٠» قال ابن العتائقي: نسختها آية السيف. قلت: الايــة تصبير للنبي و وعد محتم بالنصر و وعيد للمشركين.

***

من سورة لقمان ــ آية واحدة (٢):

١٥١ ــ ١ ــ «و من كفر فلا يحزنك كفره: ٢٣».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف.

قلت: الاية تسلية للنبي صلى‌الله عليه‌وآله «فلا تذهب نفسك‌عليهم حسرات ــ فاطر : ٨» و وعيد شديد، نظراً لتعقيبها بقوله: «نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ».



١ــ الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧.

٢ــ اشتبه على ابن حزم فزعمها من سورة الروم. راجع هامش الجلالين ج ٢ ص ١٨٩.

من سورة السجدة ـ آية واحدة :

١٥٢ ـ «فأعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون : ٣٠».
قال : منسوخة بآية السيف. قلت: بل تيئيس للنبى صلى‌الله عليه وآله عن تأثير الدعوة بالنسبة الى عتاة قريش، كما هى تهديد بعذاب قريب، نظراً لوقوعها بعد قولتهم : «متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ـ ٢٨».

***

من سورة الاحزاب ـ آيتان:

١٥٣ ـ ١ ـ «ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم و توكل على‌الله: ٤٨».
قال الكلبى: اى كف عن اذاهم والتعرض لهم. و ذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (١) فنسخت بتشريع القتال.
قلت: ان كان ثبت الاية حسب ترتيب نزولها فى‌السورة، فهى متأخرة عن‌تشريع القتال. حيث صدرالسورة تفصيل عن‌وقعة الاحزاب فلعل الاية تنويه بسمة نبوية مثلى، تجعل من الداعية وسطاً، لااندماجاً ذائبا مع العامة، ولااصطداماً عنيفاً. هذا اذا كانت «الأذى» مضافة الى المفعول به.
و اما اذا كانت مضافة الى الفاعل فيصير معنى الاية: لاتجاملهم فى مداهنة، ولاتهتم بدسائسهم الخبيثة، بعد ان ذهب رونقهم وانكسرت شوكتهم. فلا تحفل بموقفهم المتدهور، ولاتبال بشأنهم الخافت، بعد هذا الحين.

١ـ مجمع البيان ج ٨ ص ٣٦٣.

١٥٤ ــ ٢ ــ «لا يحـل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج : ٥١».

قال ابن حزم : نسختها الاية قبلها: «انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن : ٥٠».

قالت عائشة : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى احل الله له ان يتروج من النساء ماشاء (١).

قلت: والاوفق بظاهر التعبير ان تكون هذه الاية ــ ٥١ ــ ناسخة لاية التحليل ــ ٥٠ ــ لاالعكس. و قد اضطربت كلمات المفسرين هنا. كما اختلفت الروايات فى سبب النزول و فى تعيين مدلول الاية، وندع التفصيل الى مجال التفسير.

***

من سورة سبأ ــ آية واحدة :

١٥٥ــ ١ ــ «لاتسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون : ٢٥».

قال ابن حزم : نسختها آية السيف، قلت: بل هى كقوله تعالى: «ولاتزر وازرة وزر اخرى ــ الزمر: ٧».

***

من سورة فاطر ــ آية واحدة :

١٥٦ ــ «ان انت الا نذير: ٢٣».

قال: نسختها آية السيف. قلت بل هى تسلية و تحديد لمسؤولية النبى ــ كما سبق. و بدليل ماقبلها «وما انت بمسمع من فى القبور»

١ــ الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٢.

وكذا الاية بعدها «و ان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم: ٢٦».

***

من سورة يس ــ آية واحدة :

١٥٧ ــ «فلا يحزنك قولهم: ٧٦».
قال ابن العتائقی: نسختها آية السيف (١). قلت: انها تسلية للنبی صلی‌الله عليه وآله و تهديد للمشركين.

***

من‌سورة الصافات ــ اربع آيات :

١٥٨ ــ ١ ــ «فتول عنهم حتى حين: ١٧٤».
١٥٩ ــ ٢ ــ «و ابصرهم فسوف يبصرون : ١٧٥».
١٦٠ ــ ٣ ــ «و تول عنهم حتى حين: ١٧٨».
١٦١ ــ ٤ ــ «و ابصرهم فسوف يبصرون: ١٧٩».
قال ابن حزم: نسخن جميعاً بآية السيف. قلت: بل هن تهديد و وعيد، بدليل الايتين بينهن، «أفبعذأبنا يستعجلون. فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين. ١٧٦ــ ١٧٧».

***

من سورة ص ــ ثلاث آيات :

١٦٢ ــ ١ ــ «انما انا منذر ــ ٦٥».

١ــ الناسخ والمنسوخ ص ٢١٩.

١٦٣ ـ ٢ ـ «انما انا نذير مبين: ٧٠».
١٦٤ ـ ٣ ـ «لتعلمن نبأه بعد حين : ٨٨».
قال ابن العتائقى : نسخن بآيـة السيف (١). قلت: اما الاولى والثانية فتحديد لامكانات الرسول فى مجال الدعوة. والثالثة تهديد بعذاب قريب، تمهيداً للسيف لانسخاً به.

* * *

من سورة الزمر ـ سبع آيات:

١٦٥ ـ ١ ـ «ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون: ٤».
قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: بل الاذن فى قتال الكفار هو حكم سوف يحكم به الله. فالاية وعيد بعذاب و غير منسوخة.
١٦٦ ـ ٢ ـ «قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم: ١٤».
قال: نسختها «ليغفر لك الله ـ الفتح : ٢». قلت: سبق ان الاية محكمة (٢).
١٦٧ ـ ٣ ـ «فاعبدوا ماشئتم من دونه: ١٦».
قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: الامر هنا تهديد، وليس ترخيصاً فلا نسخ.
١٦٨ ـ ٤ ـ «و من يضلل الله فماله من هاد: ٢٤».
قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هو معنى ثابت، و تيئيس عـن ثؤوب الغواة العتاة.
١٦٩ ـ ٥ ـ «قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عـامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم: ٤٠».

١ـ الناسخ والمنسوخ ص ٢٢٠.
٢ـ تقدم الكلام فى ذلك برقم ٦٣ ص ٣٤٥ و رقم ٩٢ ص ٣٥٨.

قال : نسختها آية السيف. قلت: بل هو تهديد صارم ـ كماسبق.

١٧٠ ـ ٦ ـ «و ما انت عليهم بوكيل : ٤١».

قال : نسختها آية السيف. بل هى تحديد لمسؤولية الرسول صلى‌الله عليه وآله.

١٧١ ـ ٧ ـ «انت تحكم بين عبادك : ٤٦».

قال : نسختها آية السيف. بل هى تهديد غير مباشر.

* * *

من سورة المؤمن ـ ثلاث آيات :

١٧٢ ـ ١ ـ «فالحكم لله العلى الكبير : ١٢».

١٧٣ ـ ٢ ـ «فاصبر ان وعدالله‌حق: ٥٦».

١٧٤ ـ ٣ ـ «فاصبر ان وعدالله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم : ٧٧».

قال ابن العتائقى : نسخن جمع بآية السيف.

قلت : اما الأولى فهى تهديد غير مباشر. و اما الاخيرتان فتصبير للنبى صلى‌الله عليه وآله و تأكيد بوقوع النصر.

* * *

من سورة فصلت ـ آية واحدة :

١٧٥ـ «ادفع بالتى هى احسن: ٣٥» قال ابن حزم: نسختها آية السيف. و قدسبق انها محكمة (١).

* * *

١ـ برقم ١٣٦ ص ٣٧١ و رقم ١٤٨ ص ٣٧٥.

من سورة الشورى ثماني آيات:

١٧٦ــ ١ ــ «ويستغفرون لمن في الارض : ٥».

قال: نسختها آية المؤمن «ويستغفرون للذين آمنوا ــ غافر: ٧».

قال الطبرسي في الاية الاولى: اي يستغفرون لمن فيالارض من المؤمنين (١) وعليه فالاية الثانية تقييد للاولى، والتقييد غير النسخ.

١٧٧ ــ ٢ ــ «و ما انت عليهم بوكيل : ٧».

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. و قد سبق انها تسلية و تحديد للمسؤولية.

١٧٨ ــ ٣ ــ «لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا: ١٥».

قال الطبرسي : هذا قبل ان يؤمر بالقتال (٢). فنسخت بتشريع القتال.

قلت: تعني الاية ان لاموقع للاحتجاج بعد وضوح الحق. و من ثم جاءت الاية التالية «والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له، حجتهم داحضة: ١٦».

١٧٩ ــ ٤ ــ «من كان يريد حرث الاخرة نزدله في حرثه، و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، و ما له في الاخرة من نصيب: ٢٠».

قال ابن حزم: نسختها «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. و من اراد الاخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ــ الاسراء : ١٩».

قلت: الاية الثانية تخصيص فيالاولى و تقييد لفحواها، من غير نسخ أصلا. و قد سبق نظير ذلك من سورة هود برقم ١٠١ ص ٣٦٠.

١ــ مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢.

٢ــ مجمع البيان ج ٩ ص ٢٤.

١٨٠ ــ ٥ ــ «قل لااسألكم عليه أجراً الا المودة فيالقربى: ٢٣».

قال ابن حزم: نسختها «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ــ سبأ : ٤٧» (١).

قلت: لاموجب للقول بالنسخ هنا، لان الاية الثانية لا ترفع شيئا مما جاءت به الاولى، و انما تدفع تهمة وجهها المنافقون الى ساحة النبي صلىالله عليهوآله البريئة، اتهموه بأنه صلىالله عليهوآله مندفع بدافع الرحم، حيث جعل اجر رسالته مودة قرباه، فجاءت الاية الثانية توضح جانب هذه المسألة، و انه شيء يعود عليهم هم، فان مودة قربى محمد صلىالله عليهوآله والاتصال باهلبيته الاطهار، امتداد للوسيلة التي تقربهم الىالله، و تؤمن عليهم السعادة مع الخلود، قال صلىالله عليه وآله: مثل اهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجى، و من تخلف عنها غوى و هوى (٢). و قال: انى تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى ابداً، كتاب الله و عترتى اهل بيتى (٣).

قال الامام الباقر عليهالسلام في تفسير الاية: «يقول تعالى: أجر المودة (٤) الذى لم اسألكم غيره فهو لكم، تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة» (٥).

١٨١ ــ ٦ ــ «والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون: ٣٩».

١٨٢ ــ ٧ ــ «ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل: ٤١».

قال ابن حزم: نسختهما «ولمن صبرو غفران ذلك لمن عزم

١ــ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٤.

٢ــ الالوسى في التفسير ــ روح المعانى ــ ج ٢٥ ص ٣٠.

٣ــ الدر المنثور ــ للسيوطى ــ ج ٦ ص ٧.

٤ــ من اضافة البيان : اى الاجر الذى هوالمودة.

٥ــ الكافى ج ٨ الروضة ــ ص ٣٧٩ الحديث : ٥٤٧.

الامور : ٤٣». قلت: الاية الاخيرة ندب الى الصبر والشكيمة، لافرض. فللمظلوم حق الانتصار، و ان كان مقام العفــو اسمى و ابــر. لاسيما والمؤمنون يومئذ بمكة، فكانت التؤدة والصبر اوفق بموقفهم ذاك.

١٨٣ ــ ٨ ــ «فما ارسلناك عليهم حفيظا : ٤٨».

قال: نسختها آية السيف. و قد سبق انها تسلية و تحديد لمسؤولية النبى صلى‌الله عليه وآله.

* * *

من سورة الزخرف ــ ثلاث آيات :

١٨٤ ــ ١ ــ «فانا منهم منتقمون: ٤١». قال‌ابن العتائقى: منسوخة بآية السيف.

قلت: بل هى تهديد بعذاب محتم.

١٨٥ ــ ٢ ــ «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون: ٧٣».

١٨٦ ــ ٣ ــ «فاصفح عنهم و قل سلام فسوف يعلمون : ٨٩».

قال ابن حزم: نسختهما آية السيف. لكنهما تهديد و وعيد، نعم قد نسخ الصفح بتشريع القتال. و ربما قيل بانه صفح عن سفههم (١) كقوله: «سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ــ القصص: ٥٥». اذن لانسخ اطلاقا.

* * *

من‌سورة الدخان ــ آية واحدة :

١٨٧ ــ «فارتقب انهم مرتقبون : ٥٩».

١ــ مجمع البيان ج ٩ص٥٩.

قال: منسوخة بآية السيف. لكنها تهديد صريح.

***

من سورة الجاثية ـ آية واحدة :

١٨٨ ـ «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون ايام‌الله: ١٤».
انها من آيات الصفح المنسوخة بتشريع القتال. و قد سبقت فيما اخترناه من النسخ برقم: ٦ ص ٣١١.

***

من سورة الاحقاف ـ آيتان :

١٨٩ ـ ١ ـ «و ما ادرى ما يفعل بى‌ولابكم: ٩».
قال ابن حزم: نسختها «ليغفر لك الله ـ الفتح : ٢».
قلت: الاية الاولى تنفى علم الغيب الذاتى عن النبى صلى‌الله عليه وآله الاما علمه الله. والثانية غفران لما اقترفه من آثام لم‌تكن‌هى‌سوى الخروج على عادات مألوفة و تقاليد موروثة. و قد سبق ذلك برقم: ٦٣ ص ٣٤٥.
١٩٠ ـ ٢ ـ «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل : ٣٥».
قال : نسختها آية السيف. قلت: الصبر شيمة الانبياء يرافقونها حتى الوفاة.

***

من سورة محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ آيتان:
١٩١ ـ ١ ـ «فامامناً بعد و اما فداء : ٥».

قال قتادة والسدى: منسوخة بقوله «فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهم ـ التوبة : ٥». و بقوله «فاما تثقفنهم فى‌الحرب فشرد بهم من خلفهم ـ الانفال: ٥٧».

قلت: آية الانفال و آية التوبة تعنيان حالة قيام الحرب. و آية القتال (محمد صلى‌الله عليه وآله) تعنى بعد ان وضعت الحرب اوزارها. فحينذاك يكون الامام مخيراً بين‌المن والفداء. و ان كان يجوز له الاسترقاق. و كذا يجوز له قتل الاسير أحيانا ان رأى فى ذلك مصلحة، كما قتل النبى صلى‌الله عليه وآله عقبة بن ابى معيط، و من على ابى غرة، وفادى اسارى بدر (١).

١٩٢ ـ ٢ ـ «ولا يسألكم اموالكم: ٣٦».

قال ابن حزم: نسختها الاية بعدها «ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا و يخرج اضغانكم: ٣٧».

لكن هذه توضيح للسبب ولم يعهد ان يكون مثل ذلك نسخاً!

نعم كانت الاية الاولى مخصصة بغير الزكاة والصدقات الواجبة. والمعنى: ان الدين لايلزم بالخروج عن المال كله. فهو نفى للمجموع لانفى للجميع، و من ثم لا تنافى بينها و بين آية الزكاة الواجبة.

***

من سورة ق ـ آيتان :

١٩٣ ـ ١ ـ «فاصبر على ما يقولون: ٣٩».

١٩٤ ـ ٢ ـ «و ما انت عليهم بجبار : ٤٥».

قال: نسختهما آية السيف.

قلت: اما الصبر على سفه الجاهلين فمن شيمة الانبياء. والاية

١ـ راجع: المجمع ج ٩ ص ٩٧. و روح المعانى ـ الالوسى ـ ج ٢٦ ص ٣٦.

الثانية تحديد لمسؤولية النبى فىإطار الدعوة والتبليغ، اما التأثير والقبول فخارج عن وظيفته الرسالية مهما حاول التأثير.

***

من سورة الذاريات ـ آيتان:

١٩٥ ـ ١ ـ «وفى اموالهم حق للسائل والمحروم: ١٩».
قال: نسختها آية الزكاة. قلت: بل بينتها.
١٩٦ ـ ٢ ـ «فتول عنهم فما انت بملوم: ٥٤».
قال: نسختها «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين: ٥٥».
لكن الاية الاولى تسلية و تحديد للمسؤولية: اى لست بمسؤول عن التأثير والقبول اما التذكير فذكر فانك مسؤول عنه، والذكرى تنفع من ألقى السمع و هو شهيد كما دلت الاية الثانية، فكل من الايتين تذكر جانباً من مسؤولية النبى، سلباً و ايجاباً، من غير تصادم اصلا.

***

من سورة الطور ـ آيتان:

١٩٧ ـ ١ ـ «قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ـ ٣٠ ـ».
١٩٨ ـ ٢ ـ «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ـ ٤٨ ـ».
قال ابن العتائقي: نسختهما آية السيف. قلت: اما الاولى فتهديد. و اما الثانية فتصبير، والصبر اداة التبليغ الناجحة.

***

من سورة النجم ـ آيتان:

١٩٩ ـ ١ ـ «فأعرض عمن تولى عن ذكرنا: ٢٩».

قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هى تأييس للنبى، فلا يتعب نفسه الكريمة على لفيف صمدوا علــى المرود سفهاً. و من ثم جاء بعدهـا «ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله: ٣٠».

٢٠٠ – ٢ – «و ان ليس للانسان الا ماسعى: ٤٠».

قال: نسختها «والذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم، و ما ألتناهم من عملهم من شيء. كل امرء بما كسب رهين – الطور : ٢٢».

فان الذرية ترتفع الى درجة الاباء من غير عمل يستحقونهـا، تكرمة للاباء (١).

قلت : اذا كانت جهود الاباء فى بداية هذا الدين هى التى مهدت السبيل لهداية الابناء، فان ايمان الابناء يصبح مكسباً من مكاسب الاباء ايضاً. و ليس يوازن ايمان الذرية و قد تمهد الطريق أمـامهم، لان الاباءهم الذين مهدوا هذا السبيل. فعدم الموازنة انما هو فى الكيف لافى الكم، و عليه فلا تعقل الموازنة والمساواة ابداً. اذن فإذا رفع الله بالذرية الى درجة الاباء فانما هو تفضل، و تكريم للاباء. تكملة لنعيمهم فى الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته و ان كانوا دونه، لتقربهم عينه. ثم تلا هذه الاية (٢).

والخلاصة: ليس هناك اعتباط كى يتنافى مع آية السعى. فان هذا اللحوق من أثر مساعى الاباء. فهى مثوبة لهم فى الحقيقة. كما ان الابناء ايضاً كانت لهم مساعى، ولكن دون مساعى آبائهم فى الشأن والمرتبة لافى الكم والمقدار.

و اخيراً فان التفضل من الله تعالى غير عزيز. والاية انما تنفى

١– تفسير الجلالين ج ٢ ص ١٩٤.

٢– تفسير الصافى ج ٢ ص ٦١٣.

الطمع فى المثوبة بغير عمل. قال الامام الصادق عليه‌السلام: قصرت الابناء عن عمل الاباء، فالحقوا بهم لتقر بذلك اعينهم (١).

***

من سورة القمر ـ آية واحدة :

٢٠١ ـ «فتول عنهم ـ ٦ ـ».
قال ابن العتائقى : منسوخة بآية السيف. قلت: اى لاتخالطهم ولا تحزن عليهم فهى تسلية و تأييس بالنسبة الى فئة مقصودة بالذات.

***

من سورة الواقعة ـ آية واحدة :

٢٠٢ ـ «ثلة من الاولين و قليل من الاخرين : ١٣».
قال مقاتل بن سليمان: نسختها «ثلة من الاولين و ثلة من الاخرين: ٣٩» (٢).
قلت: ـ اولا ـ لانسخ فى الاخبار. و انما هو فى الاحكام.
و ثانياً ـ فان موضوع الاية الاولى هم السابقون المقربون. والموضوع فى الثانية هم المؤمنون اطلاقاً الذين هم اصحاب اليمين. بازاء اصحاب الشمال.

فاذا ما قيس مؤمنوا هذه الامة عبر العصور ابدياً حتى قيام الساعة، مع مؤمنى الامم السالفة، فقد تكون الفئتان متساويتين من حيث الكم والمقدار او متقاربتين، ويصح اطلاق «كمية كبيرة» على كلتا الفئتين.

١ـ تفسير الصافى ج ٢ ص ٦١٣.
٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٧.

و اما اذا قيس حواريـوا الانبياء والاوصيـاء الماضين ـ وهم السابقون المقربون الى حواريی نبينا و اوصيائه ـ صلوات‌الله عليهم اجمعين ـ فاولئك عدد جم و هؤلاء عدد ضئيل.

***

من سورة المجادلة ـ آية واحدة :

٢٠٣ ـ «يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة : ١٢».

نسختها «ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقة ـ ١٣» و قد سبق ذلك فيما اخترناه من النسخ برقم: ١ ص ٣٠٠.

***

من سورة الممتحنة ـ ثلاث آيات :

٢٠٤ ـ ١ ـ «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم: ٨».

قـال الحسن و قتـادة: ذلك قبل ان يـؤمر المسلمون بمنابذة المشركين عامة. و من ثم نسختها آية السيف (١).

٢٠٥ ـ ٢ ـ «وآتوهم ماانفقوا ـ ١٠». «وليسألوا ما انفقوا: ١٠».

قال الزهرى: لولا الهدنة لم يرد الى المشركين صداق (٢) فهى منسوخة بنزول براءة، حيث لم يثبت بعدها عهد للمشركين. و قدتقدم ذلك فيما اخترناه من النسخ برقم ٧.

٢٠٦ ـ ٣ ـ «فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا: ١١».

١ـ مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٢.

٢ـ مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٤.

قال قتادة : هذا فى الكفار الذين لهم عهد. ثم نسخت بنزول براءة (١).

* * *

من سورة القلم ـ آيتان:

٢٠٧ ـ ١ ـ «فذرنى و من يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون : ٤١».
٢٠٨ ـ ٢ ـ «فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت: ٤٨».
قال ابن حزم : نسختهما آية السيف.
قلت: اما الاولى فاستدراج. واما الثانية فحكم ثابت و ملازم للنبوات.

* * *

من سورة المعارج ـ آيتان :

٢٠٩ ـ ١ ـ «فاصبر صبراً جميلا ـ ٥ ـ».
٢١٠ ـ ٢ ـ «فذرهم يخوضوا ويلعبوا ـ ٤٢ ـ».
قال ابن العتائقى: نسختهما آية السيف (٢).
قلت: الاية الاولى تصبير و امر الى خلق رسالى كريم.
والايةالثانية تهديدلاترخيص. والتهديد تمهيدللسيفلامنسوخبه.



١ـ مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٥.
٢ـ الناسخ والمنسوخ ص ٢٣٢.

من سورة المزمل ـ سبع آيات:

٢١١ ـ ١ ـ «قم الليل ـ ٢» قال: نسختها «الا قليلا: ٢».
٢١٢ ـ ٢ ـ «قليلا ـ ٢» قال: نسختها «نصفه : ٣».
٢١٣ ـ ٣ ـ «نصفه ـ ٣» قال : نسختها «او انقص منه قليلا: ٣».
قلت: الاستثناء والبيان يغايران النسخ.
٢١٤ ـ ٤ ـ «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا : ٥».
قال : نسختها «يريد الله ان يخفف عنكم ـ النساء : ٢٨».
قلت: الثقل فيالآية الاولى اما بالنظر الى الكفار فقد وقع الاسلام عليهم ثقيلا. او ثقل الوحى، كان صلىالله عليهوآله يتغير لونه و يتعرق عند نزول القرآن. او ثقل التكليف، فان التكليف مهما بولغ في تخفيفه فهو ثقيل.
واما التخفيف في الاية الثانية فهو تخفيف في أصل التشريعالذى كان منذ البدء. فان هذا الدين سهل سمح. فلا تنافى بين الايتين في شيء.
٢١٥ ـ ٥ ـ «واهجرهم هجراً جميلا: ١٠».
قال: نسخت بآية السيف. قلت: الاية أمر بالمداراة، و هي من شيمة الانبياء.
٢١٦ ـ ٦ ـ «و ذرني والمكذبين: ١١».
قال: نسختها آية السيف. قلت: هي تهديد و وعيد.
٢١٧ ـ ٧ ـ «ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا: ١٩».
قال : نسختها «و ما تشاءون ا لاأن يشاء الله ـ الانسان: ٣٠».
قلت: قد وقعت الاية الاولى والثانية في سورة الانسان متعاقبتين. و كذا مثلهما في سورة التكوير: ٢٩.
و معنى الاية الاولى هو نفي الاكراه في الدين عقيدة و اخلاصاً،

بعد وضوح الحق. و قد سبق هذا المعنى عند آية «لااكراه فى‌الدين» برقم ٢٤ ص ٣٢٥.

والاية الثانية اخبار عن عدم ايمانهم، و هذا لايصلح ناسخاً ـ كما تقدم فى الشروط ـ والمعنى: انكم باختياركم لاتؤمنون البتة، لا اذا اكرهناكم على الايمان جبراً، الامر الذى يتنافى والاختيار فى‌الايمان.

من سورة المدثر ـ آية واحدة :

٢١٨ ـ «ذرنى ومن خلقت وحيداً : ١١».
قال : نسخت بآية السيف. قلت: هى تهديد و وعيد.

من سورة القيامة ـ آية واحدة :

٢١٩ـ «لا تحرك به لسانك لتعجل به: ١٥».
قال : نسخت بقوله «سنقرئك فلا تنسى ـ الاعلى: ٦».

قلت: الايتان متوافقتان. و سورة الاعلى نزلت قبل سورة القيامة. و قد سبق تفصيل الكلام فى ذلك برقم ١٢٥.

من سورة الدهر ـ آيتان :

٢٢٠ ـ ١ ـ «فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفوراً: ٢٤».

٢٢١ـ ٢ ـ «ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاـ ٢٩».
قال : نسختا بآية السيف.

قلت: الاية الاولى امر بالصبر و عدم الانسجام مع خلق العامة الهابط. و هى من اوليات سمات المصلحين. والاية الثانية نفى للاكراه

فی‌الدین. و قد سبقت برقم ۲۱۷.

من سورة عبس ـ آیة واحدة :

۲۲۲ـ «فمن شاء ذکره ـ ۱۱» قال: نسخت بقوله «الا ان یشاء الله ـ الانسان: ۳۰».

قلت: تقدم الجواب عن ذلك برقم ۲۱۷.

من سورة التکویر ـ آیة واحدة :

۲۲۳ـ «لمن شاءمنکم ان‌یستقیمـ ۲۸». قال‌ابن‌العتائقی: نسختها «و ما تشاءون الا ان یشاء الله ۲۹».

قلت: تعنی الایة ان لا اکراه فی‌الدین و قدتبین الرشد من الغی. و سبق هذا المعنی برقم ۲٤ و رقم ۲۱۷.

من سورة الطارقـ آیة واحدة :

۲۲٤ـ «فمهل الکافرین امهلهم رویداً: ۱۷» قـال ابن حـزم: نسختها آیة السیف.

قلت: بل هی تهدید و وعید، بدلیل الایة قبلها «وأکید کیداً».

من سورة الغاشیة ـ آیة واحدة :

۲۲۵ـ «فذکر انماانت‌مذکر. لست علیهم‌بمسیطر ۲۲ـ۲۱» قال: نسخت بآیة السیف.

قلت: سبق انها سیطرة علی القلوب. والایة تحدید لمسؤولیة النبی صلی‌الله علیه‌وآله فی التبلیغ لافی التأثیر.

من سورة التين ـ آية واحدة :

٢٢٦ـ «أليس الله باحكم الحاكمين ـ ٨». قال: نسخت بآية السيف (١).

قلت: بل هي تهديد، و اشارة الى عدله تعالى الثابت معالابدية.

من سورة العصر ـ آية واحدة :

٢٢٧ـ «ان الانسان لفي خسر ـ٢» قال: نسخت بقوله «الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات ـ ٣»! والاستثناء يغاير النسخ.

من سورة الكافرون ـ آية واحدة:

٢٢٨ـ «لكم دينكم ولي دين: ٦». قال: نسخت بآية السيف (٢).

قلت: هذا اخبار عن صمودهم على الشرك، لاترخيص، بدليل «ولا انتم عابدون ما أعبد» مكرراً. وربما فيهشيء من التهديد والوعيد نظير قوله «انتم بريئون مما اعمل وانابريء مماتعملون ـ يونس: ٤١»، و قد سبق برقم : ٩٤.

١ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٣.

٢ـ بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٤.



جريدة

الناسخ والمنسوخ فی القرآن

حسب تقرير القدامی الی جنب ملاحظات المحدثين

نمبر شمار	نمبر آیات	الآية المنسوخة	نمبر	الآية الناسخة	نمبر	سورة	ملاحظات
		سورة البقرة : ٢٦					
١	١	من آمن بالله واليوم الآخر	٦٢	ومن يبتغ غير الاسلام	٨٥	آل عمران	الآيتان متوافقتان
٢	٢	وقولوا للناس حسنا	٨٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	ادب اسلامی ثابت
٣	٣	فاعفوا واصفحوا	١٠٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون	٢٩	»	(منسوخة)
٤	٤	فثم وجه الله	١١٥	فول وجهك شطر المسجد	١٤٥	البقرة	الآية ردّ على اليهود فلا نسخ
٥	٥	ان الذين يكتمون	١٥٩	الا الذين تابوا	١٦٠	»	استثناء لا نسخ
٦	٦	انما حرم عليكم الميتة	١٧٣	فمن اضطر	١٧٣	»	اختلف شرط الحكم
٧	٧	والانثى بالانثى	١٧٨	النفس بالنفس	٤٥	المائدة	تخصيص لا نسخ
٨	٨	كتب عليكم اذا حضر	١٨٠	يوصيكم الله	١١	النساء	الاستحباب ثابت لا يزال
٩	٩	كتب عليكم الصيام كما	١٨٣	احل لكم ليلة الصيام	١٨٧	البقرة	التخصيص يغاير النسخ
١٠	١٠	وعلى الذين يطيقونه فدية	١٨٤	فمن شهد منكم	١٨٥	»	تلك تخصيص في هذه
١١	١١	ولا تعتدوا	١٩٠	فاقتلوا المشركين	٥	التوبة	(منسوخة)
١٢	١٢	ولا تقاتلوهم عند المسجد	١٩١	فان قاتلوكم فاقتلوهم	١٩١	البقرة	تفريع على مفهوم
١٣	١٣	فانتهوا فان الله غفور	١٩٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تبديل في موضوع الحكم
١٤	١٤	ولا تحلقوا رؤوسكم حتى	١٩٦	فمن كان مريضا	١٩٦	البقرة	تبديل في شرط الحكم
١٥	١٥	يسألونك ماذا ينفقون	٢١٥	انما الصدقات للفقراء	٦٠	براءة	الاستحباب ثابت لا يزال

نمبر مسلسل	نمبر شمار	الآية المنسوخة	نمبر	الآية الناسخة	نمبر	سورة	ملاحظات
		بقية سورة البقرة					
١٦	١٦	يسألونك عن الشهر الحرام	٢١٧	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	البقرة	تخصيص موقت لا نسخ
١٧	١٧	يسألونك عن الخمر والميسر	٢١٩	وإثمهما أكبر من نفعهما	٢١٩	»	تدرج في التشريع
١٨	١٨	قل العفو	٢٢٠	خذ من أموالهم صدقة	١٠٣	براءة	الاستحباب ثابت لا يزال
١٩	١٩	ولا تنكحوا المشركات	٢٢١	والمحصنات	٥	المائدة	تخصيص لا نسخ
٢٠	٢٠	وبعولتهن أحق	٢٢٨	الطلاق مرتان	٢٢٩	البقرة	» »
٢١	٢١	ولا يحل لكم أن تأخذوا	٢٢٦	إلا أن يخافا	٢٢٩	»	» »
٢٢	٢٢	والوالدات يرضعن	٢٣٣	فان أرادا فصالاً	٢٣٣	»	» »
٢٣	٢٣	متاعاً إلى الحول	٢٤٠	أربعة أشهر وعشراً	٢٣٤	»	(منسوخة)
٢٤	٢٤	لا إكراه في الدين	٢٥٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إخبار عن واقع الدين
٢٥	٢٥	وأشهدوا إذا تبايعتم	٢٨٣	فان أمن بعضكم بعضاً	٢٨٣	البقرة	تخصيص لا نسخ
٢٦	٢٦	إن تبدوا ما في أنفسكم	٢٨٤	لا يكلف الله نفساً إلا	٢٨٦	»	يختلف موضوع الآيتين
		سورة آل عمران: ٥					
٢٧	١	فإنما عليك البلاغ	٢٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لمسؤولية الرسول
٢٨	٢	كيف يهدي الله قوماً	٨٦	إلا الذين تابوا	٨٩	البقرة	الاستثناء يغاير النسخ
٢٩	٣	أولئك جزاؤهم	٨٧	» »	»	»	» »
٣٠	٤	خالدين فيها	٨٩	» »	»	»	» »
٣١	٥	اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	التغابن	لا تنافي بين الآيتين
		سورة النساء: ٢٢					
٣٢	١	وإذا حضر القسمة	٨	يوصيكم الله	١١	النساء	الاستحباب ثابت

مسلسل عام	مسلسل خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		بقية سورة النساء					
٣٣	٢	وليخش الذين لو تركوا	٨	فمن خاف من موص	١٨٢	البقرة	تخصيص لا نسخ .
٣٤	٣	يأكلون اموال اليتامى	١٠	قل اصلاح لهم خير	٢٢٠	»	يختلف موضوع الآيتين .
٣٥	٤	واللاتي يأتين الفاحشة	١٥	الزاني والزانية	٢	النور	(منسوخة) .
٣٦	٥	واللذان يأتيانها	١٦	» »	»	»	»
٣٧	٦	وليست التوبة	١٨	ويغفر ما دون ذلك	٤٨	النساء	لا تنافي بين الآيتين .
٣٨	٧	ولا تعضلوهن	١٩	الا ان يأتين بفاحشة	١٩	»	الاستثناء يغاير النسخ .
٣٩	٨	ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم	٢٢	الا ما قد سلف	٢٢	»	» »
٤٠	٩	وان تجمعوا بين الاختين	٢٣	» »	٢٣	»	» »
٤١	١٠	فما استمتعتم به	٢٤	فمن ابتغى وراء ذلك	٧	المؤمنون	لا تنافي بين الآيتين .
٤٢	١١	ولا تأكلوا اموالكم	٢٩	ان تأكلوا من بيوتكم	٦١	النور	تخصيص لا نسخ .
٤٣	١٢	فآتوهم نصيبهم	٣٣	واولوا الأرحام	٧٥	الأنفال	تقييد لا نسخ .
٤٤	١٣	فاعرض عنهم	٦٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين .
٤٥	١٤	لوجدوا الله توابا رحيما	٦٤	فلن يغفر الله لهم	٨١	»	» »
٤٦	١٥	او انفروا جميعا	٧١	وما كان المؤمنون	١٢٢	»	» »
٤٧	١٦	فما ارسلناك عليهم حفيظا	٨١	فاقتلوا المشركين	»	»	يحدد مسؤولية الرسول .
٤٨	١٧	فاعرض عنهم	٨٣	» »	»	»	يختلف موضوع الآيتين .
٤٩	١٨	الا الذين يصلون	٩٠	براءة من الله	١	»	(منسوخة) .
٥٠	١٩	ستجدون آخرين	٩١	فاقتلوا المشركين	٥	»	»
٥١	٢٠	وان كان من قوم	٩٢	براءة من الله	١	»	»

		الآية المنسوخة		الآية الناسخة		سورة	ملاحظات
		بقية سورة النساء					
٥٢	٢١	ومن يقتل مؤمنا متعمدا	٩٣	ويغفر ما دون ذلك	٤٨	النساء	يختلف موضوع الآيتين.
٥٣	٢٢	ان المنافقين في الدرك	١٤٤	الا الذين تابوا	١٤٥	»	» »
		سورة المائدة: ٩					
٥٤	١	ولا يجرمنكم شنآن قوم	٢	انما المشركون نجس	٢٨	براءة	يختلف موضوع الآيتين.
٥٥	٢	فاعف عنهم واصفح	١٣	قاتلوا الذين	٢٩	»	(منسوخة).
٥٦	٣	انما جزاء الذين يحاربون	٣٣	الا الذين تابوا من قبل	٣٤	المائدة	الاستثناء يغاير النسخ.
٥٧	٤	فاحكم بينهم او اعرض عنهم	٤٢	وان احكم بينهم	٤٩	»	لا تنافي بين الآيتين.
٥٨	٥	ما على الرسول الا البلاغ	٩٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية لا النسخ.
٥٩	٦	عليكم انفسكم	١٠٥	تأمرون بالمعروف وتنهون...	١١٠	آل عمران	يختلف موضوع الآيتين.
٦٠	٧	او آخران من غيركم	١٠٦	واشهدوا ذوي عدل منكم	٢	الطلاق	» »
٦١	٨	فآخران يقومان مقامهما	١٠٧	» »	»	»	» »
٦٢	٩	ان ترد ايمان بعد ايمانهم	١٠٨	» »	»	»	» »
		سورة الأنعام: ١٣					
٦٣	١	قل اني اخاف ان عصيت	١٥	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين.
٦٤	٢	قل لست عليكم بوكيل		فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية.
٦٥	٣	وما على الذين يتقون	٦٩	فلا تقعدوا معهم	١٤٠	النساء	لا نسخ في الاباحة الاصلية.
٦٦	٤	وذر الذين اتخذوا	٧٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد ووعيد.
٦٧	٥	ثم ذرهم في خوضهم	٩١	» »	»	»	الآية تهديد لا ترخيص.
٦٨	٦	وما انا عليكم بحفيظ	١٠٤	» »	»	»	تحديد لمسؤولية الرسول.

نمرة عامة	نمرة خاصة	الآية المنسوخة	نمرتها	الآية الناسخة	نمرتها	سورتها	ملاحظات
		بقية سورة الأنعام					
٦٩	٧	واعرض عن المشركين	١٠٧	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين .
٧٠	٨	وما جعلناك عليهم حفيظا	١٠٨	" "	"	"	تحديد للمسؤولية .
٧١	٩	ولا تسبوا الذين	١٠٩	" "	"	"	يختلف موضوع الآيتين .
٧٢	١٠	فذرهم وما يفترون	١١٢	" "	"	"	تهديد لا ترخيص .
٧٣	١١	ولا تأكلوا مما لم يذكر	١٢١	وطعام الذين اوتوا	٥	المائدة	يختلف موضوع الآيتين .
٧٤	١٢	اعملوا على مكانتكم	١٣٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد عارم .
٧٥	١٣	لست منهم في شيء	١٥٩	" "	"	"	" "
		سورة الأعراف : ٢					
٧٦	١	وذروا الذين يلحدون	١٨٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد صارم .
٧٧	٢	واعرض عن الجاهلين	١٩٩	" "	"	"	امر بمكارم الاخلاق .
		سورة الأنفال : ٦					
٧٨	١	يسألونك عن الأنفال	١	واعلموا انما غنمتم	٤١	الأنفال	موضوع الآيتين مختلف .
٧٩	٢	وما كان الله ليعذبهم	٣٣	وما لهم الا يعذبهم	٣٤	"	" "
٨٠	٣	ان ينتهوا يغفر لهم	٣٨	وقاتلوهم	٣٩	"	" "
٨١	٤	وان جنحوا للسلم فاجنح	٦١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	(منسوخة) .
٨٢	٥	ان يكن منكم عشرون	٦٥	الآن خفف الله	٦٦	الأنفال	"
٨٣	٦	اولئك بعضهم اولياء	٧٢	واولوا الأرحام	٦	الأحزاب	"
		سورة براءة : ٨					
٨٤	١	فسيحوا في الأرض	٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	اختلف شرط الحكم .

رقم عام	رقم خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		بقية سورة براءة					
٨٥	٢	فاقتلوا المشركين	٥	فان تابوا واقاموا	٥	براءة	اختلف شرط الحكم .
٨٦	٣	ولا ينفقونها في سبيل الله	٣٤	انما الصدقات	٦٠	»	اختلف موضع الآيتين .
٨٧	٤	ان لا تنفروا يعذبكم	٣٩	وما كان المؤمنون	١٢٢	»	تخصيص لا نسخ .
٨٨	٥	لم اذنت لهم	٤٣	فأذن لمن شئت منهم	٦٢	النور	مورد الآيتين مختلف .
٨٩	٦	استغفر لهم	٨٠	لن يغفر الله لهم	٦	المنافقون	لا تخالف بين الآيتين .
٩٠	٧	الأعراب اشد كفرا	٩٧	ومن الأعراب من يؤمن	٩٩	براءة	يختلف مورد الآيتين .
٩١	٨	ومن الأعراب من يتخذ	٩٨	» »	«	«	» »
		سورة يونس : ٨					
٩٢	١	قل اني اخاف	١٥	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين .
٩٣	٢	قل انتظروا	٢٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
٩٤	٣	فقل لي عملي ولكم عملكم	٤١	» »	«	«	» »
٩٥	٤	فالينا مرجعهم	٤٦	» »	«	»	تأكيد للوعد الوعيد .
٩٦	٥	أفأنت تكره الناس	٩٩	» »	«	»	تسلية وتأييس .
٩٧	٦	قل فانتظروا	١٠٢	» »	«	»	تهديد ووعيد .
٩٨	٧	ومن ضل فانما يضل	١٠٨	» »	«	»	تحديد المسؤولية .
٩٩	٨	واصبر حتى يحكم الله	١٠٩	» »	«	»	تصبير وتأكيد في الوعد .
		سورة هود : ٤					
١٠٠	١	انما انت نذير	١٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد المسؤولية .
١٠١	٢	نوف اليهم اعمالهم	١٥	عجلنا له فيها ما نريد		الأسراء	التخصيص يغاير النسخ .

تسلسل عام	تسلسل خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		بقية سورة هود					
١٠٢	٣	اعملوا على مكانتكم	١٢١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد تمهيد للسيف .
١٠٣	٤	وانتظروا	١٢٢	" "	"	"	" "
		سورة الرعد : ٢					
١٠٤	١	وان ربك لذو مغفرة	٦	ان الله لا يغفر ان يشرك به	٤٨	النساء	التخصيص يغاير النسخ .
١٠٥	٢	فانما عليك البلاغ	٤٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية .
		سورة ابراهيم : ١					
١٠٦	١	ان الانسان لظلوم	٣٤	ان الله لغفور رحيم	١٨	النحل	لا منافاة بين الآيتين .
		سورة الحجر : ٥					
١٠٧	١	ذرهم يأكلوا ويتمتعوا	٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٠٨	٢	فاصفح الصفح الجميل	٨٦	اذن للذين يقاتلون	٣٩	الحج	(منسوخة) .
١٠٩	٣	لا تمدن عينيك	٨٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تأديب اختصاصي .
١١٠	٤	وقل اني انا النذير	٩٠	" "	"	"	لا منافاة بين الآيتين .
١١١	٥	واعرض عن المشركين	٩٥	اذن للذين يقاتلون	٣٩	الحج	(منسوخة) .
		سورة النحل : ٥					
١١٢	١	تتخذون منه سكراً	٦٨	انما الخمر والميسر	٩١	المائدة	ليس من النسخ المصطلح .
١١٣	٢	فانما عليك البلاغ	٨٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد المسؤولية .
١١٤	٣	من كفر بالله بعد ايمانه	١٠٧	الا من اكره وقلبه مطمئن	١٠٧	النحل	الاستثناء يغاير النسخ .
١١٥	٤	وجادلهم بالتي هي احسن	١٢١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	ادب رسالي ثابت .
١١٦	٥	واصبر وما صبرك الا بالله	١٢٨	" "	"	"	" "

تسلسل عام	تسلسل خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		سورة الإسراء : ٣					
١١٧	١	وقل رب ارحمهما	٢٤	وما كان للنبي	١١٣	براءة	تخصيص لا نسخ .
١١٨	٢	وما ارسلناك عليهم وكيلا	٥٥	فاقتلوا المشركين	٥	»	تحديد للمسؤولية .
١١٩	٣	اياما تدعوا	١١٠	واذكر ربك في نفسك	٢٠٥	الأعراف	تقييد لا نسخ .
		سورة الكهف : ١					
١٢٠	١	فمن شاء فليؤمن	٢٩	الا ان يشاء الله	١١١	الأنعام	تهديد لا ترخيص .
		سورة مريم : ٤					
١٢١	١	وانذرهم يوم الحسرة	٣٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	لا منافاة .
١٢٢	٢	فسوف يلقون غيا	٥٩	الا من تاب	٦٠	مريم	استثناء لا نسخ .
١٢٣	٣	فليمدد له الرحمان	٧٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	استدراج وتهديد .
١٢٤	٤	انما نعد لهم عدا	٨٤	» »	»	»	تهديد ووعيد .
		سورة طه : ٣					
١٢٥	١	ولا تعجل بالقرآن	١١٤	سنقرئك فلا تنسى	٦	الأعلى	مؤكدة لا ناسخة .
١٢٦	٢	فاصبر على ما يقولون	١٣٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	ادب رسالي ثابت .
١٢٧	٣	فتربصوا	١٣٥	» »	»	»	تهديد ووعيد .
		سورة الأنبياء : ٢					
١٢٨	١	انكم وما تعبدون حصب	٩٩	اولئك عنها مبعدون	١٠١	الأنبياء	موضوع الآيتين مختلف .
١٢٩	٢	وكل فيها خالدون	١٠٠	»	»	»	» »
		سورة الحج : ٥					
١٣٠	١	انما انا لكم نذير	٤٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية .

رقم عام	رقم خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		بقية سورة الحج					
١٣١	٢	القى الشيطان فى امنيته	٥٢	سنقرئك فلا تنسى	٦	الأعلى	يختلف موضوع الآيتين .
١٣٢	٣	يحكم بينهم	٥٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٣٣	٤	فقل الله اعلم	٦٨	" "	"	"	مورد الآيتين مختلف .
١٣٤	٥	وجاهدوا فى الله حق	٧٨	فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	التغابن	لاتنافى بين الآيتين .
.		سورة المؤمنون : ٢					
١٣٥	١	فذرهم فى غمرتهم	٥٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	استدراج لا ترخيص .
١٣٦	٢	ادفع بالتى هى احسن	٩٦	" "	"	"	ادب رسالى ثابت .
		سورة النور : ٦					
١٣٧	١	الزانى لاينكح الا زانية	٣	وانكحوا الأيامى منكم	٣٢	النور	لامنافاة بين الآيتين .
١٣٨	٢	ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا	٤	الا الذين تابوا	٥	"	استثناء لا نسخ .
١٣٩	٣	لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم	٢٧	ليس عليكم جناح	٢٩	"	موضوع الآيتين مختلف .
١٤٠	٤	ولايبدين زينتهن	٣١	فليس عليهن جناح	٦٠	"	تخصيص لا نسخ .
١٤١	٥	وما على الرسول الا البلاغ	٥٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية .
١٤٢	٦	ليس عليكم ولا عليهم	٥٨	واذا بلغ الأطفال	٥٩	النور	اختلف الموضوع والشرط .
		سورة الفرقان : ٢					
١٤٣	١	واذا خاطبهم الجاهلون	٦٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نعت للمؤمن ثابت .
١٤٤	٢	يلق اثاما	٦٨	الا من تاب	٦٩	الفرقان	استثناء .
		سورة الشعراء : ١					
١٤٥	١	يقولون ما لا يفعلون	٢٢٦	الا الذين امنوا	٢٢٧	الشعراء	اختلف الشرط .

مسلسل عام	مسلسل خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		سورة النمل : ١					
١٤٦	١	انا من المنذرين	٩٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية .
		سورة القصص : ١					
١٤٧	١	اعرضوا عنه	٥٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نعت للمؤمن ثابت .
		سورة العنكبوت : ٢					
١٤٨	١	ولا تجادلوا اهل الكتاب	٤٦	قاتلوا الذين لا يؤمنون	٢٩	براءة	ادب إسلامي ثابت .
١٤٩	٢	وانما انا نذير	٥٠	فاقتلوا المشركين	٥	»	تحديد لامكانات الرسول .
		سورة الروم : ١					
١٥٠	١	فاصبر ان وعد الله حق	٦٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تصبير ووعد .
		سورة لقمان : ١					
١٥١	١	ومن كفر فلا يحزنك	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتهديد .
		سورة السجدة : ١					
١٥٢	١	فاعرض عنهم وانتظر	٣٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
		سورة الأحزاب : ٢					
١٥٣	١	ودع اذاهم	٤٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	سمة نبوية مثلى .
١٥٤	٢	لا يحل لك النساء	٥١	انا احللنا لك	٥٠	الأحزاب	مختلف فيه .
		سورة سبأ : ١					
١٥٥	١	لا تسألون	٢٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	لا تنافي بين الآيتين .
		سورة فاطر : ١					
١٥٦	١	ان انت الا نذير	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتحديد للمسؤولية .

رقمها عام	رقمها خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		سورة يس : ١					
١٥٧	١	فلا يحزنك قولهم	٧٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتهديد .
		سورة الصافات : ٤					
١٥٨	١	فتول عنهم	١٧٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٥٩	٢	وابصرهم فسوف	١٧٥	« «	«	«	« «
١٦٠	٣	وتول عنهم	١٧٨	« «	«	«	« «
١٦١	٤	وابصرهم فسوف	١٧٩	« «	«	«	« «
		سورة ص : ٣					
١٦٢	١	انما انت منذر	٦٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لمسؤولية الرسول .
١٦٣	٢	انما انت نذير	٧٠	« «	«	«	« «
١٦٤	٣	ولتعلمن نبأه	٨٨	« «	«	«	تهديد ووعيد .
		سورة الزمر : ٧					
١٦٥	١	ان الله يحكم بينهم	٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٦٦	٢	قل اني اخاف	١٤	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين .
١٦٧	٣	فاعبدوا ما شئتم	١٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد لا ترخيص .
١٦٨	٤	ومن يضلل الله	٢٤	« «	«	«	تأييس .
١٦٩	٥	اعملوا على مكانتكم	٤٠	« «	«	«	تهديد لا ترخيص .
١٧٠	٦	فانما يضل عليها	٤١	« «	«	«	تحديد للمسؤولية .
١٧١	٧	انت تحكم بين عبادك	٤٦	« «	«	«	تهديد ووعيد .

رقم عام	رقم خاص	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		سورة المؤمن : ٣					
١٧٢	١	فالحكم لله العلي الكبير	١٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد غير مباشر .
١٧٣	٢	فاصبر إن وعد الله حق	٥٦	» »	»	»	تصبير ووعيد .
١٧٤	٣	فاصبر إن وعد الله حق	٧٧	» »	»	»	» »
		سورة فصّلت : ١					
١٧٥	١	ادفع بالتي هي احسن	٣٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	ادب سلامي ثابت .
		سورة الشورى : ٨					
١٧٦	١	ويستغفرون لمن في الأرض	٥	ويستغفرون للذين آمنوا	٧	غافر	تقييد لا نسخ .
١٧٧	٢	وما انت عليهم بوكيل	٧	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتحديد للمسؤولية .
١٧٨	٣	ولكم اعمالكم لا حجة بيننا	١٥	» »	»	»	اختلاف موضوع الآيتين .
١٧٩	٤	نؤته منها	٢٠	ما نشاء لمن نريد	١٩	الأسراء	تخصيص تقييد .
١٨٠	٥	اجراً الا المودة	٢٣	من اجر فهو لكم	٤٧	سبأ	لا منافاة بين الآيتين .
١٨١	٦	هم ينتصرون	٣٩	ولمن صبر وغفر	٤٣	الشورى	» »
١٨٢	٧	ولمن انتصر بعد ظلمه	٤١	» »	»	»	» »
١٨٣	٨	فما ارسلناك عليهم حفيظاً	٤٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتحديد للمسؤولية .
		سورة الزخرف : ٣					
١٨٤	١	فانا منهم منتقمون	٤١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٨٥	٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	٨٣	» »	»	»	» »
١٨٦	٣	فاصفح عنهم وقل	٨٩	» »	»	»	(منسوخة) .

تسلسل عام	تسلسل	الآية المنسوخة	رقمها	الآية الناسخة	رقمها	سورتها	ملاحظات
		سورة الدخان: ١					
١٨٧	١	فارتقب انهم مرتقبون	٥٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
		سورة الجاثية: ١					
١٨٨	١	قل للذين آمنوا يغفروا	١٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	(منسوخة) .
		سورة الأحقاف: ٢					
١٨٩	١	وما ادري ما يفعل بي	٩	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين .
١٩٠	٢	فاصبر كما صبر	٣٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الصبر شيمة الأنبياء .
		سورة محمد ص: ٢					
١٩١	١	فاما منّاً بعدُ اما فداءً	٥	فشرّد بهم من خلفهم	٥٧	الأنفال	مورد الآيتين يختلف .
١٩٢	٢	ولا يسألكم اموالكم	٣٦	ان يسألكموها فيحفكم	٣٧	محمد	توضيح للسبب .
		سورة ق: ٢					
١٩٣	١	فاصبر على ما يقولون	٣٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الصبر خلق نبوي .
١٩٤	٢	وما انت عليهم بجبار	٤٥	» »	»	»	تحديد لمسؤولية الرسول .
		سورة الذاريات: ٢					
١٩٥	١	وفي اموالهم حق	١٩	انما الصدقات	٦٠	براءة	بيان للحق لا ناسخ .
١٩٦	٢	فتولّ عنهم فما انت بملوم	٥٤	وذكّر فان الذكرى تنفع	٥٥	الذاريات	يختلف موضوع الآيتين .
		سورة الطور: ٢					
١٩٧	١	قل تربصوا	٣٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
١٩٨	٢	واصبر لحكم ربك	٤٨	» »	»	»	تصبير للنبي ص .

نمبر سلسل	نمبر سورت	الآية المنسوخة	نمبرها	الآية الناسخة	نمبرها	سورتها	ملاحظات
		سورة النجم: ٢					
١٩٩	١	فأعرض عمن تولى	٢٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تأييس للنبي ﷺ.
٢٠٠	٢	وأن ليس للإنسان إلا	٤٠	ألحقنا بهم ذريتهم	٢٢	الطور	لا منافاة بين الآيتين.
		سورة القمر: ١					
٢٠١	١	فتول عنهم	٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسلية وتأييس.
		سورة الواقعة: ١					
٢٠٢	١	وقليل من الآخرين	١٣	وثلة من الآخرين	٣٩	الواقعة	يختلف موضوع الآيتين.
		سورة المجادلة: ١					
٢٠٣	١	فقدموا بين يدي	١٢	أأشفقتم أن تقدموا	١٣	المجادلة	(منسوخة).
		سورة الممتحنة: ٣					
٢٠٤	١	لا ينهاكم الله عن الذين	٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	(منسوخة).
٢٠٥	٢	وآتوهم ما أنفقوا	١٠	براءة من الله	١	»	»
٢٠٦	٣	فآتوا الذين ذهبت	١١	» »	»	»	» على احتمال.
		سورة القلم: ٢					
٢٠٧	١	فذرني ومن يكذب	٢١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	استدراج.
٢٠٨	٢	فاصبر لحكم ربك	٤٨	» »	»	»	تصبير النبي ﷺ.
		سورة المعارج: ٢					
٢٠٩	١	فاصبر صبرا جميلا	٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تصبير. وهو خلق رسالي.
٢١٠	٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	٤٢	» »	»	»	تأييس للنبي ﷺ.

		الآية المنسوخة		الآية الناسخة			ملاحظات
		سورة المزمل: ٧					
٢١١	١	قم الليل	٢	الا قليلا	٢	المزمل	استثناء لا نسخ .
٢١٢	٢	قليلا	٢	نصفه	٣	«	بيان لا نسخ .
٢١٣	٣	نصفه	٣	او انقص	«	«	تخيير لا نسخ .
٢١٤	٤	قولا ثقيلا	٥	يريد الله ان يخفف	٢٨	النساء	لا تنافي بين الآيتين .
٢١٥	٥	واهجرهم هجرا	١٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	المداراة شيمة الانبياء .
٢١٦	٦	وذرني والمكذبين	١١	« «	«	«	تهديد ووعيد .
٢١٧	٧	فمن شاء اتخذ	١٩	الا ان يشاء الله	٣٠	الدهر	مورد الآيتين مختلف .
		سورة المدثر: ١					
٢١٨	١	ذرني ومن خلقت	١١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد صارم .
		سورة القيامة: ١					
٢١٩	١	لا تحرك به لسانك	١٥	سنقرئك فلا تنسى	٦	الأعلى	لا تنافي بين الآيتين .
		سورة الدهر: ٢					
٢٢٠	١	فاصبر لحكم ربك	٢٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الصبر شيمة الانبياء .
٢٢١	٢	فمن شاء اتخذ الى ربه	٢٩	« «	«	«	موضوع الآيتين مختلف
		سورة عبس: ١					
٢٢٢	١	فمن شاء ذكره	١١	الا ان يشاء الله	٣٠	الدهر	يختلف موضوع الآيتين .
		سورة التكوير: ١					
٢٢٣	١	لمن شاء منكم ان يستقيم	٢٨	الا ان يشاء الله	٢٩	التكوير	يختلف موضوع الآيتين

		الآية المنسوخة		الآية الناسخة			ملاحظات
		سورة الطارق: ١					
٢٢٤	١	فمهل الكافرين	١٧	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
		سورة الغاشية: ١					
٢٢٥	١	لست عليهم بمسيطر	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد المسؤولية .
		سورة التين: ١					
٢٢٦	١	أليس الله بأحكم الحاكمين	٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد .
		سورة العصر: ١					
٢٢٧	١	إن الإنسان لفي خسر	٢	إلا الذين آمنوا	٣	العصر	الاستثناء يغاير النسخ .
		سورة الكافرون: ١					
٢٢٨	١	لكم دينكم	٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إخبار عن صمود لا ترخيص .

هذا ... ولعله سقطت منا آية قيل بنسخها ، أو كانت تعاليقنا غاية في الاختصار .

ومن ثم أجلنا التفصيل والاستيفاء إلى مجال التفسير بعون الله تعالى وتوفيقه .

وقد وقع الفراغ ليلة السبت ثامن شوال المكرم سنة ١٣٨٨ هـ في النجف الأشرف . وكان تصحيحها الأخير في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٣ هـ في بلدة قم المقدسة . وقدمت إلى الطبع في شوال سنة ١٣٩٧ هـ . والحمد لله أولاً وآخراً .

محمد هادي معرفة

٢٠ شوال ١٣٩٧ هـ

كتبه الحقير الفقير المحتاج إلى ربه الغني :

محمود اشرفي تبريزي

المحتوى

وقفة عند مسألة تواتر القراءات

١ – ٢

١ـ تصريحات أئمة الفن :

٢ـ ادلة فيوجه زاعمى التواتر :

طبقات القراء

***

مبحث

الناسخ والمنسوخ

في القــرآن

***

قائمة تفصيل المنسوخات حسب ترتيب السور

***

***